AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 01069 6510

FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO

من مكتبة
الجامعة الامريكية بالقاهرة

07-B6467
13-11-07

٩٦٩٢٥

﴿ حقوق الطبع والنشر محفوظه للمؤلف ﴾

الشهيد مبارك

DT
107.2
M3
A6
1946
V.1

صفحات من كتاب المجد والخلود
وآيات من بيانات الشهيد العظيم
ومقالاته وخطبه وآراءه السياسية
والاجتماعية ومواقفه الوطنية

المجلد الاول

تصنيف
محمد ابراهيم ابو رواع
سكرتير وكيل مجلس النواب

THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN C
LIBRARY

مطبعة كرارة بالحسين بمصر

٩٦٤,٨
ا ر ش

٧٥٨٤٧

بسم الله الرحمن الرحيم

فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه ۞ إني ظننت أني ملاق حسابيه ۞ فهو في عيشة راضية ۞ في جنة عالية ۞ قطوفها دانية ۞ كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية ۞

«قرآن كريم»

كلمة

لعل القارىء يشاركني في أن خير ما يقدم به هذا الكتاب هو ذلك النطق الملكي السامي الذي صدر أثناء تشرف وزارة صاحب الدولة محمود فهمي النقراشي باشا بالمثول بين يدي صاحب الجلالة الملك عقب تأليفها .

وان في ترديده لأفضل ما تحفظ به ذكرى الشهيد أحمد ماهر

تمهيد

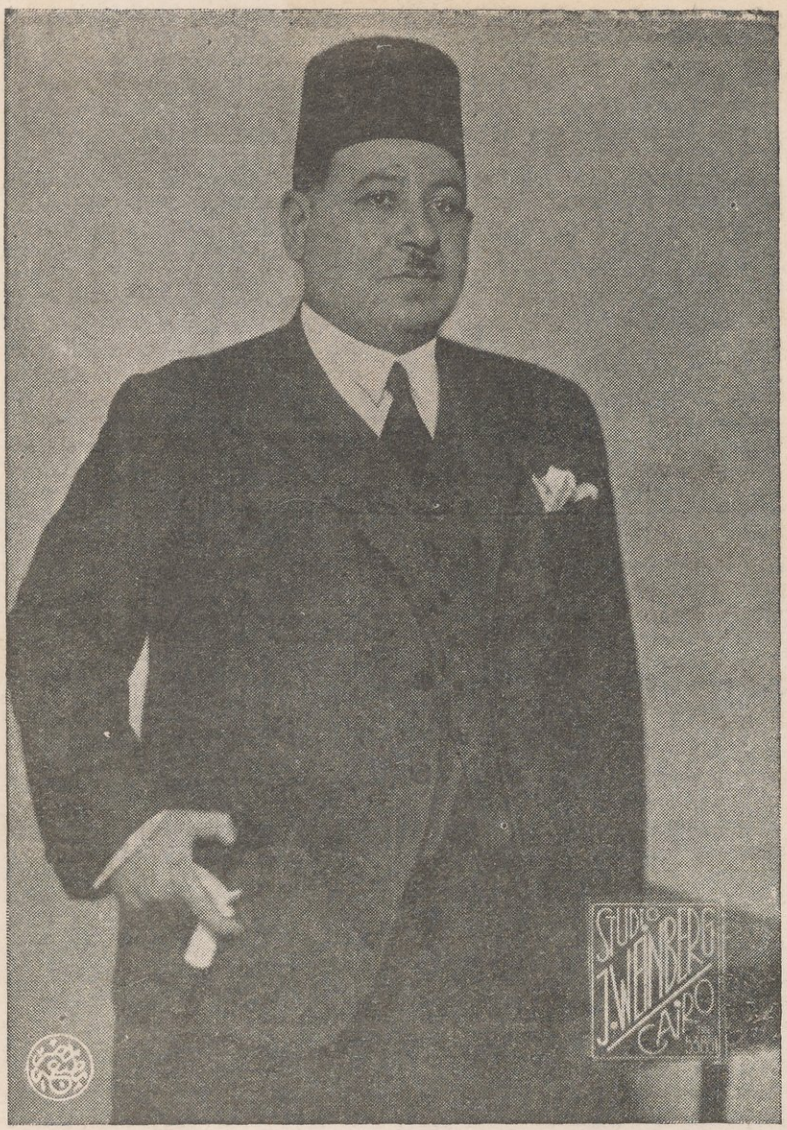

الوطنية عدل وكرامة

الزعيم الملهم

لعلكم تشعرون بأنني فقدت صديقاً كبيراً ملأ قلبه بحب مصر واستحق كل ثقتي . إن مصير البلاد لسنين طويلة في أيديكم ، وأرجو أن تنالوا بعملكم ما نال من ثقتي ، وأن يكون هذا المصاب الكبير أقوى دواعي ارتباطكم وتضامنكم في النهوض بالعبء الجسيم الملقى على كاهلكم ، وكلما مرت عوامل خلاف أحب أن تذكروا أحمد وحياته التي وهبها لوطنه وملكه ، فتصغر كل المعاني الدنيوية ، وتشتد أواصر التعاون بينكم لخير مصر الخالدة .

وإني لمطمئن أنكم ستذكرون ذلك دائماً ، وستتجهون للتحقيقه .

الاهداء

لما انتهيت من محتويات هذا الكتاب والليل ساج ، سألت نفسى لمن أهديه ، فتجاذبتنى الآراء والخواطر ، واستولت على الحيرة ، فلم اجد من اصالة الرأى ان اتحكم فيه . فنهضت الى فراشى ، وأنا على غير هدى .

وفى لحظة والنفس تتراءى أمامها صور شتى ، يدركها الانسان ويذكرها بعد صحوه . . .

رأيت الشهيد العظيم ، وقد هبط من قصر عال ، تحفه الأشجار والأزهار فيممت شطره وقبلت يده ، واذا به يباركنى فى عملى ، ويخرجنى من حيرتى ، ويسدى الى النصح والارشاد .

فأخذتنى العبرات ، ثم صحوت ، وبعد صحوى . أحست النفس رغبته أن أرفعه الى كريمته .

فالى تلك السيدة المصونة سميحة هانم ماهر

لئن مات والدك ، وقتل فى سبيل الله والوطن « فلا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون »

ولئن مات ولم يترك لك ثروة مالية تنتفعين بها ، فقد ترك لك ثروة وطنية تفخرين بها . يوم يعتز كل إنسان بمجده ، ويوم يباهى الأبناء بمآثر الآباء .

سيدتى :

هذه صفحات من كتاب المجد والخلود ، وآيات من بيانات والدك العظيم وآرائه السياسية والاجتماعية ومواقفه الوطنية ، هى ثروة من مجد أبيك الكريم وتراثه الغالى ، وبقية من آثاره الخالدة على مر الزمن فى هذا الوادى ، هى ثروته التى

خلفها لوطنـــه ، فما أجلها ثروة ، وما أعظمها تركة ، تركها لأمتـه وقـدم نفسه للوطنية التى عاش من أجلها مجاهداً ، ومات فى سبيلها شهيـداً .

فاليك يا كريمة الزعيم الشهيد : يا من نشأت فى أحضان الحرية وبين ضلوعها أهدى هذه الصفحات الخالدات ، وأرفعها اليك ليكون فيها العـــزاء لقلبك ، وقدوة حسنة لبنيك ، وبنى مصر الأكرمين .

المخلص

محمد ابراهيم ابو رواع

تمهيد

فى وسط السكون الرهيب والحزن العميق ، رأيت من الوفاء . بعد وفاة الزعيم الشهيد ، والرئيس المغفور له الدكتور أحمد ماهر باشا . أن أقوم من ناحيتى بتدوين بياناته ومقالاته الوطنية . وخطبه وآرائه السياسية والاجتماعية ، ومواقفه البرلمانية ، وتسجيلها فى كتاب خاص يتداوله الناس ويقرؤونه .

ولتكون هـذه الآراء والمبادىء السامية ـ التى جلت للناس فضائلها ، وأشاعت فى الأفق المصرى جلائلها ـ من ناحية أخرى فى متناول أبناء الجيل الحديث ، يتذاكرونها ويترسمون خطوات صاحبها فى معترك الحيـاة الخضم ، فتتجلى لهم الحياة الدنيا ، ومبلغ ما يبصرون من جمالها ، ويصيبون من خيرها . فتتجدد على الأيام ذكراه الباقية .

ولست أخفى أنه عند ما شرعت فى هـذا العمل ، ساورنى الخوف والقلق خشية عدم اتمامه ، وشعرت بالضعف لخطورته ولانفرادى باعداده ، ولأن هذا الأمر ليس من اليسر والسهولة بمكان .

ولكن تأسيا بالفقيد فى كفاحه ، واصلت السير وثابرت على العمل ، وتخطيت من العقبات مايصعب تمهيدها ، حتى استجمعت هذه الآثار الخالدة .

وكان المنتظر أن يظهر هذا السفر العظيم فى أقرب فرصة ، لولا مايصادف المدقق فى سبيل الوصول الى الكمال الذى ينشده لعمل جليل كالذى تناوله هذا البحث .

وهأنذا أقوم على اخراج هذه الآثار النفيسة فى كتاب جامع شامل « كتاب الشهيد أحمد ماهر » وما رجوت من نقلها إلا أن تبح لجيل وأجيال أن ينعموا بآيات من البطولة لا مثيل لها ، وصراحة فى القول وشجاعة فى النفس لا حد لها ، ومثل عليا فى السياسة لا نظير لها ، اختطها الفقيد العزيز لأمته ، للسير بها الى قمة المجد قدما .

وقد عنيت بجمع ماتيسر لى جمعه ،وتبويب هذا الكتاب بعدترجمة وخلاصة وجيزة فى تاريخ حياة فقيد مصر العظيم ونشأته . وجعلته الآن فى مجلدين :

اشتمل أولها على بعض من بيانات الشهيد وخطبه فى المجتمعات وأحاديثه السياسية ،التى أدلى بها الى الصحف والمجلات، بحسب ظروفها ومناسباتها ،وأضفت الى هذا بعضا من مقالاته الوطنية الخطيرة التى كان ينشرها من آن لآخر فى جريدة كوكب الشرق اليومية .

ولن تستطيع أن تحبس نفسك من الاعجاب بتلك المقالات ، وقوة حسها وأثرها . التى كان يرسلها مساء كل يوم - أيام اشتغاله بالصحافة - تلك الايام الخالدة فى تاريخها . وزودته ببعض الصور للفقيد الكريم ،لكى يصبح صورة خالدة ،كلما نظرت لها العيون وتجمعت الذكريات .

أما ما اشتمل عليه المجلد الثانى :فمواقف الشهيد البرلمانية وحياته النيابية ،منذ أن كان نائبا، فرئيسا لمجلس النواب، فوزيرا للمالية، فرئيسا للحكومة. من مناقشات حول القوانين العامة جرت ، وآراء فى المعاهدة المصرية سجلت ، وبيانات عن الحصانة النيابية ذكرت ، وتقاليد برلمانية استحدثت . ثم بيانه السياسى الخطير والاخير الذى ألقاه فى جلسة مجلس النواب « السرية » قبل وفاته بدقائق معدودات .

وقد رأيت أن أسجل ما كتبه الرؤساء ، وأقطاب السياسة ، وزعماء الامة وقادتها عن الفقيد العزيز ، وما قيل فى رثائه نظما ونثرا . فى حفلات الذكرى التى أقامتها الجماعات والهيئات لتأبين الراحل الكريم . وما نشرته الصحافة فى مصر وغيرها من بلدان العالم .

ولا ريب أن هـــذا الاثر المجيد لشهيد مصر سيبقى ،مرجعا يلجأ اليه رجال السياسة والتشريع ، كلما ضاقت أمامهم آفاق العمل ، وتشعبت بينهم الآراء

وانى أحمد الله على عونه فى انجاز هذا العمل واتمامه ، وأرجو أن أكون قد قمت بشىء من الوفاء الوطنى ،نحو الرئيس العظيم ، والشهيد النبيل.

كما أرجو المعذرة ان وجد ثمة تقصير ، لان جهدى محدود ، وتاريخ البطل حافل جليل ، وبلوغ الكمال المطلق ليس فى متناول الانسان .

فإلى أبناء وادى النيل ، أبعث اليهم بهذه الآثار النفسية ، لتزدهر بها حيويتهم وتسمو بها وطنيتهم . كلما استعادوا ذكريات الشهيد « أحمد ماهر »

والله أسأله أن يرشدنا الى الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء ؟

محمد ابراهيم ابو رواع

أحمد ماهر

درجت الحياة على أن تكشف فى طفولة زعماء الأمم وعظمائها وأبطالها من الرجال ماينبىء ببطولتهم وزعامتهم ، فتظهر عليهم أمارات الذكاء والنبوغ النادر . الذى يوحى بما سيكون لصاحبه من مستقبل باهر وعظمة فذة .

فسعد زغلول فى مصر ومصطفى كمال فى تركيا، ونابليون فى فرنسا ورزفلت فى امريكا وتشرشل وغيره فى انجلترا ، كل هؤلاء يحدثنا التاريخ عنهم وهم فى طفولتهم بأن علائم النبوغ والذكاء كانت ترتسم على وجوههم .

وهانحن أولاء عندما نتصفح ونسمع من الثقات تاريخ أحمد ماهر فى طفولته وفى صباه وشبابه ، نجده ولاريب من هؤلاء الافذاذ الذين تجلت فيهم بوادر العبقرية النادرة والنبوغ الفذ ، الذى لازمه من طفولته حتى نهايته فجعل منه نابغة وجعل منه زعيما وعظيما نادراً وبطلا من خيرة الأبطال ذا فراسة صادقة ونظرة صائبة .

وسيرى القارىء أثر هذه البطولة والعظمة فى أحمد ماهر فى طفولته ، واحمد ماهر فى صباه وشبابه وفى جميع أدوار حياته .

وسيرى فى بزوغ شمس حياته ، شمسا بعثت بنورها على الافق المصرى فضوأته وأذنت بوجود هذه الزعامة ، التى نبتت فى أحمد ماهر الطفل وفى أحمد ماهر الصبى والشاب ثم لازمته وأخذت تورق وتزدهر حتى اينعت فتطلعت لها القلوب ونظرت اليها العيون .

وحسب المؤرخ أن يذكر حياة هذا البطل المجاهد الشهيد وحسبه أن يرويها فى غير كلفة أو تنميق فى كتاب رائع حافل بمواقفه وبطولته ووطنيته وشجاعته. فتكون سجلا مشرفا صادقا ندر أن يفوز بمثله أى انسان سواه .

خرج أحمد ماهر من صلب الأمة كما خرج جميع الابطال فى الأمم ، خرج أحمد ماهر من أسرة عريقة فى قدمها ، كريمة فى منبتها صميمة فى مصريتها .

فاذا ذكر زعماء الشعوب وأبطالها وفتيانها البواسل ، واذا فاخرت الأمم برجالها وبأسمائهم . ذكرت مصر أحمـــد ماهر . واذا سجل التاريخ أبطال الأمم وزعماءها كان أحمد ماهر فى طليعة الابطال ، ويوم تفاخر الأمم بافذاذها ونوابغها تقول مصر ، ان رجلها فى الشدائد كان أحمد ماهر .

فى ٣٠ مايو سنة ١٨٨٨ ولد أحمد ماهر بمنزل والده بالحى الوطنى المعروف بحى العباسية بالقاهرة . ولد من أبوين كريمين هما المغفور لهما سعادة محمد ماهر باشا(١) والسيدة الفاضلة عديله هانم شريف . وكان والده وكيلا لمحافظة أسوان فى ذلك الوقت ، وما تفتحت عيناه على النور وما انطلق لسانه للكلام حتى أخذ والده يشرف على تربيته كما هى عادته فى العناية بتربية أولاده وتنشئتهم وتثقيفهم وغرس الفضائل والشجاعة والأقدام والجرأة فى نفوسهم .

ولأحمد ماهر أشقاء هم أصحاب الرفعة والسعادة والعزة على ماهر باشا ومصطفى بك ومحمود بك وأمين بك وسيدتان شقيقتان هما حرم المرحوم عبد اللطيف المكباتى بك ثم المغفور لها حرم سعادة الدكتور أحمد حلمى باشا .

وقد كانت مدرسة الحسينيه بحى الجمالية أول مدرسة تلقت أحمد ماهر الشلل وفيها أقام عامين مع نخبة من رفاقه وأقاربه هم ، توفيق رضوان بك والأستاذ حامد شريف والدكتور أحمد حسين سامى ومحمد بك البنان ، ثم انتقل بعد ذلك الى مدرسة الناصرية حيث نال منها شهادة الابتدائية سنة ١٩٠٢ .

وقد كان أحمد ماهر نابغة فرقته محبا للرياضة وركوب الخيل ، حتى أن والده رحمه الله كان يخصص له يوما فى الاسبوع لركوب عربته ذات الجياد الأصيله طيلة اليوم ، لا يشاركه فيها أحد ، كما كان لا ينازعه فى رغبة يريدها وكان محبا للمسابقة محبوبا لدى والده حبا منقطع النظير لذكائه ، وخفة روحه وشجاعته وجرأته وصراحته منذ صباه ، حتى أن والده رحمه الله كان لا يرد له طلبا ولا يناقشه فى حاجة كعادة الآباء مع الابناء ، وفى سنة ١٩٠٣ توفى والده رحمة الله عليه فأشرف على تعليمه عمه حضرة صاحب العزة عبد الرحمن بك فهمى وقد أكمل

---

(١) أتينا على نشأة والد الشهيد ونبذه من حياته فيما بعد .

التقطت هـذه الصورة للتلميذ أحمـــد ماهر

فى السنة الثالثة الابتدائية سنة ١٩٠٠ بمدرسة الناصرية وهو جالس فى الوسط

دراسته الثانوية فى المدرسة الخديوية بعد أن مكث بها ثلاثة أعوام ، وكان محبوبا من رفاقه ومدرسيه لما انطبع عليه من الجرأة والصراحة وكان متزعما زملاءه منذ الصغر وكان أمينا فى كل شىء حتى أن والده كان يعهد اليه بالمصروف اليومى لتلاميذ الأسرة الذين يرافقونه الى المدرسة ويدفع لهم مصاريف الترام ذهابا وإيابا ، وحدث أن كان أحد أقاربه يأخذ منه أجرة الترام ، ثم يتسلق على سلمه دون أن يدفع الأجر فرأى أحمد ماهر أن هذا العمل غير سليم ، فأبلغه الى والده الذى امرهم بأن يستبدلوا بالترام الركائب حتى لا يتسلق أحد منهم الترام ويرتكب هذا العمل . فارتاح أحمد ماهر لهذا التصرف الذى جاء مرضيا لغريزته لأنه كان يحب هذا النوع من الرياضة .

عرف أحمد ماهر بين أقرانه بالشجاع الذى لا يخاف وبالفتى الذى لا يتطرق اليه الوهن ، فكان دائما يحث زملاءه واخوانه على أن يتحلوا بالشجاعة وأن يقرءوا سير الأبطال من الرجال فى الأمم وبخاصة سير الابطال فى الأسلام ، كما كان يحب الصراحة فى الرأى والصدق فى القول ينصح اخوانه بالتمسك بهذه الفضائل بأن يجعلوها شعارا لهم فى حياتهم وان يضربوا المثل فى المحافظة على الكرامة والشرف . وعندما قارب الانتهاء من مرحلة التعليم الثانوى عرف بين اخوانه بالنبوغ وقوة المحادثة والمناقشة . فكان لا يهدأ حتى يقنع محدثه بقوة منطقه وثاقب فكره . يدافع عن رأيه بكل ما يملك من قوة حتى يظفر بالفوز .

ولما تخرج أحمد ماهر فى مدرسة الخديوية التحق بمدرسة الحقوق فتجلت فيه صفات ابرزها الدقة فى المناقشة والعمق فى البحث والجدل المنطقى الصريح . لا يحب الالتواء ولا يميل الى المغالطات ليكسب المعركة .

فى سنة ١٩٠٨ تخرج أحمد ماهر فى مدرسة الحقوق مع زملائه عبد الحميد بدوى باشا وعبد الحميد أبو هيف بك وحسن نشأت باشا وانتظم فى سلك المحاماة وقد أشتغل بهذه المهنة حيث فتح مكتبا فى مدينة الفيوم هو والاستاذ على كمال حبيشه بعد أن تركا مكتب المأسوف عليه الاستاذ اسكندر ترك فى بنى سويف حيث آثرا التحرر والاستقلال ،

ويقول الأستاذ الكبير على بك نجيب المحامى بالفيوم هيأت لى وأحمد ماهر السوانح أن توثق بيننا شخصيا ما كان بين الآباء والآل من وشائج وصلات عديدة تربط بينهم برباط لم يقو الزمان ولا الحادثات على التأثير فيه . وقال انه وإن لم يكن للمحاماة نصيب كبير من حياة عزيزنا أحمد ماهر ، إذ لم يشأ أن يستمر فيها أكثر من سنى المران الأولى . فان الفترة الوجيزة التى اختصت بها المحاماة من حياته الغالية الحافلة أظهرت لمن عاشروه عن كثب فى تلك الحقبة ما انطوى عليه فقيدنا من حيوية وما اجتمع فى شخصه من صفات أبرزها تواضع محبوب وشمم وأباء وعفة بالغة ورقة شمائل فى معاملة الناس ورفق فى الاستماع اليهم وسعة صدر فى احتمال المتاعب وكان إذا فكر دقق وإذا بحث حقق ، يميل إلى الاختصار فى القول على اللب والجوهر ويصدف عن الأطناب غير المثمر ، كما كان يؤثر فى الغالب ضبط فكرته كتابة ولذا قلما اكتفى بالمرافعة الشفوية ، بل كان يودع مذكرة بأقواله ورأيه فى كل قضية . هذا يشير الى أن ميله للمسائل المدنية كان أظهر اذهى فى المحاماة محل الدقة وعمق التفكير ومناط البحث لاستخلاص أصح القواعد

ويقول وكيل مكتبه أنه كان فى المحاماة لا نظير له مع حداثته بها وكان يؤمن بقوة روحه وصدق ايمانه منذ نشأته وكانت مذكراته فى القضايا هى الأفضل عنده من المناقشة التى لا تجدى وكان لا يقبل قضية تحوم حولها الشبهات . وقد عمر مكتبه بالقضايا وأربابها كما يذكر ذلك الشيخ المحترم عبد الستار البأسل بك ولمع اسمه فى المحاماة من اللحظة الأولى لا لقوة عارضته وحدها بل لسعة علمه بالقانون وفرط مقدرته على التفسير واستنباط الحلول ولما عرف عنه من نزاهة ومحافظة على شرف المهنة وكرامتها .

لكن لم تظل هذه الحال التى كانت تبشر بأطيب الثمرات . ذلك أن الاستاذ أحمد ماهر رأى تغيير وجهته فى الحياة تغييرا كليا اذا آثر أن يتمم فى البلاد الأوربية دراسة العلوم الاقتصادية والقانونية ليحصل على الدكتوراه فيها . فاختارته وزارة المعارف عضوا فى البعثة التى أوفدتها لدراسة القانون . ليكون مدرسا فى مدرسة الحقوق . ولم يمض عامان على اختياره لهذه البعثة حتى فاجأته وزارة المعارف هو ومن معه

بتغيير دراسة القانون حيث عدلت عن هؤلاء الأساتذه وأنها تريد إعداد أساتذة لمدرسة التجارة، فرغب بعض المبعوثين فى تغيير دراستهم ولكن أحمد ماهر أبى الا أن يتابع دراسته فى القانون ويتممها وقد نال فيها أعلى الدرجات . ثم تابع دراسته الثانية فى جامعة مونبلييه للاستزادة من العلم . فحصل على الدكتوراه فى الاقتصاد السياسى أيضا وذلك فى سنة ١٩١٣ .

« ويقول معالى بهى الدين بركات باشا إنه توثقت بين الفقيد وبينه صلة الصداقة من وقتها . فكنا نجتمع كل يوم ساعات طوالا نمضيها فى السمـــر والرياضة وتبادل الرأى . . ولم يمض على تعارفنا غير قليل حتى رأيته يتابع دراسته بكل عناية واهتمام . وكان يتابع الحركة السياسية فى فرنسا ويناقشها كأنه أحد ابنائها فما من تغيير وزارى أو اتجاه سياسى الا ويكون عالما به وما من مناقشة برلمانية إلا ويكون مدركا لاسرارها وما من تطور اجتماعى أو انقلاب فكرى الا ويكون عالما بخفاياه مدركا لمغزاه متتبعا لمداه لا فى فرنسا وحدها بل فى فرنسا والمانيا »

وكان الفقيد يعرف اللغة الألمانية حيث كان يريد أن يكتب رسالته بهذه اللغة ولكن عدل أخيراً وقدمها باللغة الفرنسية .

ويذكر عنه الأستاذ محمد توفيق حسن المحامى وهو فى أثناء غربته أنه كان مثلا صالحا للشباب الذى لا ينسى فى غربته كرامة وطنه ولا يفوته العمل على أن يكون عنوانا طيبا لبلاده ولقد سار السيرة الجادة المهذبة التى جعلته عنوانا مشرفا لبلاده وجعلت المصريين فى ديار الغربة يفرحون به ويفخرون وليس معنى سيرته الجادة أنه كان بعيداً عن المرح كلا فهو رحمه الله مرح بطبيعته ولكنه مرح شريف رزين يقره العقل المتزن والخلق المتين . وكان عطوفا على زملائه فى الغربة وان لم تجمعه بهم معرفة شخصية وما أكثر ما يتعرض له الطالب الغريب من حرج ، فقد يمرض ولا مواسى وقد تبطىء عليه النقود ولا أحد يقرضه فما وقع من هذه المحرجات شىء لواحد من المصريين المغتربين الا كان أحمد ماهر نعم المواسى ونعم النصير .

وما وطئت قدماه أرض مصر وعاد اليها حتى تلقته وزارة المعارف ليكون

مدرسا فى مدرسة التجارة العليا .

وفى سنة ١٩١٥ تزوج أحمد ماهر بالسيدة النبيله المغفور لها احسان سامى كريمة خالته فكان الزوج الوفى البار بأهل بيته الرفيق فى معاشرته وقد أنجب منها كريمته السيدة سميحه هانم ماهر وحيدته فى الدنيا حيث لم ينجب غيرها وقد توفيت والدتها وهى لم تبلغ من العمر ثلاثة عشر شهراً فكان لها الوالد الحنون فقام بنفسه على تربيتها ونشأتها وانبتها نباتا حسنا ثم اقترن بالسيدة الفاضلة هاجر يوسف العادلى ولم ينجب منها .

وقد اشتهر بحبه لكريمته حبا منقطع النظير وحدبه عليها . وقد كان مضرب الأمثال فى العطف الأبوى . حتى أنه لما قبض عليه فى القضايا السياسية وأودع السجن مع أخيه دولة النقراشى باشا ومكث تحت التحقيق مدة عام كان فيها المثل الأعلى للشجاعة ورباطة الجأش وما كان ليجزع فى سجنه الا إذا ذكر كريمته الوحيدة (سميحه) اذا ما أحس بالحنين اليها والاشفاق عليها وذكر أن الله يحميها ويكلأها برعايته وأن جدها المرحوم حسين سامى بك يغمرها بعنايته فكان يهدأ باله ويقر خاطره .

فطر أحمد ماهر على الحرية فكان لها أثرها فى جميع مراحل حياته فقد ظل يقوم بالتدريس وتخرج على يديه مئات الشبان من أبناء مصر وصلوا الآن إلى أرقى المناصب ، ويروى عنه أنه فى دراسته كان محاضرا قوى الذاكرة لا يرجع إلى كتاب ولا يحب أن يدون لتلاميذه المذكرات بل يشجعهم على التحلل من قيودها ويترك للطلاب الحرية فى الدرس يأخذون منه ما تصل اليه أفهامهم ويدونون من ذاكرتهم ملاحظاتهم ، ثم يعود اليه من شاء منهم لمراجعة ما فهمه ولذا لم يعثر لأحمد ماهر المدرس على محاضرة مدونة اثناء التدريس. ولقد تجلت فى التدريس مواهبه كما تجلت فى المحاماة براعته وكان يلقى على طلابه أسس التربية الوطنية ويلقنهم فى الدرس تاريخ الأمم ونهضاتها القومية والاستقلالية وتاريخ الثورة الفرنسية ومبادىء العدالة والحرية والمساواة يوم ان كان لا يجرؤ إنسان على أن يتحدث فى السياسة ويوم ان كان الاشتغال بها جريرة فى نظر المستعمرين

وطالما اشتبك مع ناظر مدرسة التجارة العليا المستر سميزر وذلك لمعاملة الناظر للطلبة معاملة القسر والاستعباد ولأنه كان يأبى أن يعطى الفقيد الطلبة نوعا من الحرية ، لكن أحمد ماهر الذى أراد أن يعطيهم دروس الحرية الأدبية والكرامة النفسية على نحو مافى الجامعات الأوربية أبت نفسه أن تقبل منه هذا الصنيع. وكان يجيبه مراراً بان الوطنية يجب أن يتلقنها كل مصرى وأن يتلقنها فى الهواء الذى يتنفسه والماء الذى يشربه والطعام الذى يأكله . وظل يبث تعاليم الحرية والديمقراطية فى داخل المعاهد وخارجها فيلهب الشعور . وما كادت الحرب العالمية تضع أوزارها ونواقيس الهدنة تدق أجراسها حتى أخذ وفريق من شباب مصر يفكرون فى مصير بلادهم ومستقبل وطنهم ، ومن ثم أخذوا يتصلون بالزعماء والمشتغلين بالقضية المصرية وعلى رأسهم سعد زغلول باشا . وقد توثقت الصلة ما بين أحمد ماهر وسعد زغلول وكان الفريق الذى توجه إلى منزل سعد قد عرضوا عليه البحث فى شئون مصر ومطالبها القومية ووضعوا أنفسهم تحت تصرف زعائهم فى سبيل خدمة الوطن والحرية والاستقلال. فطمأنهم سعد على أن مايدور بخلدهم يجيش فى نفوس آبائهم فانصرفوا من لدنه مترقبين مايعملون.

وسرعان ما تمكنت الصلة بين الزعيم وأحمد ماهر وأصحابه من الشبان وقد أثمرت خدمتهم ثمراً طيبا .

وفى وسط الصمت الرهيب والأمم الغربية تقرر مصيرها دوت صرخة سعد فى أرجاء النيل فاهتزت قلوب الشباب لها واهتز سكان الوادى من اقصاه إلى أقصاه لهذه الصرخة المباركة التى تردد صداها فيما وراء البحار فقبض على سعد زغلول وأصحابه الثلاثة ونفوا إلى جزيرة مالطه . وقامت الثورة الوطنية وكان أحمد ماهر من شبابها المشتعلين بالحمية الوطنية . فلعب الفقيد العظيم دوراً هاماً فى اذكائها هو ومن معه من زملائه الشبان وكان أحمد ماهر الشاب الممتلىء وطنية ونشاطا الدائب الحركة . فبينما كنت تجده وسط الموظفين والمدرسين محدثا عن القضية المصرية والوطنية والعزة القومية عاملا على تكوين لجنة الموظفين التى قررت الأضراب العام متزعما هذه الحركة اذا به ايضا حركة دائبة فى الأندية العامة والمعابد والمساجد

يدفع الخائفين إلى الاستبسال فى الدفاع عن الحـــرية وحقوق الوطن المقدسة وينظم الجماعات ويشرف على الطوائف ويضع الأسس والنظم لتقوية الثورة واستمرارها لا يأبه لرهبة القوة ولا المعاقل ولا السجون واندفع بإحساسه الوطنى ينافح ويبشر بالدعوة إلى الجهاد فى سبيل الوطن ويجمع التوكيلات للزعيم سعد واضعا رقبته على كفه ، نظم أحمد ماهر ودبر ووضع للثورة الوطنية خططا أنتجت كثيراً وأتت بأفضل النتائج .

استقر سعد زغلول فى جزيرة مالطه مع رفاقه بضعة أسابيع ورأى الانجليز نيران الثورة تشتعل وبركانها ينفجر فتفتحت عيونهم لهذا الحال وعرفوا الحقيقة ناصعة أن أمة بها أحمد ماهر وأمثاله من الشباب المتقد ثورة ووطنية لا تنام على ضيم ولن تهدأ حتى تصل إلى ما تصبو اليه من حرية واستقلال منشود ، فأطلقت سراح سعد وصحبه من عقالهم . ولما رجع سعد الى موطنه عرف ما بذله أحمد ماهر وصديقه النقراشى من جهاد وجهود فاستدعاهما وقربهما الى نفسه وكانا من أحب الرجال اليه فقدرهما وأثنى ثناء مستطابا على وطنيتهما وقال عنهما إنهما ذخيرة الوطن فى الشدائد والملمات وقد تحققت نبوءة سعد فى أحمد ماهر والنقراشى فأنهما حملا معا عبء الجهاد فى أخطر الساعات .

وقامت الحياة النيابيه فى مصر على أثر وضع دستور سنة ١٩٢٣ فرشح سعد أحمد ماهر للنيابة عن دائرة الدرب الأحمر وقد نافسه فى هذه الدائرة سعادة حافظ رمضان باشا رئيس الحزب الوطنى ، وقامت معركة انتخابية حامية فى هذه الدائرة ما بين أحمد ماهر وما بين رئيس الحزب الوطنى فانتصر احمد ماهر على منافسه بأكثر الأصوات وفى مجلس النواب اختير أحمد ماهر النائب سكرتيراً برلمانياً وعهد اليه سعادة رئيس المجلس احمد مظلوم باشا أن يدير شئون المجلس الادارية ، كما وقع عليه الاختيار فى أن يكون مقرراً للجنة المالية عن مـــيزانية الدولة ، فظفر بنجاح برلمانى منقطع النظير وكان اول مطالب بتحقيق العدالة الاجتماعية فى الضرائب .

وقال يجب ان تكون الضريبة على سكان مصر بدون استثناء لا فرق بين مصرى واجنبى ، وطلب فرضها على الأجانب لأنهم يتمتعون بخيرات البلاد وأن

« رحال التعليم بسكرة دون الشهيد أثناء تولية وزارة المعارف في سنة ١٩٢٤ »

من يغنم عليه أن يغرم » كما لعب الفقيد دورا هاما فى العمل على الافراج عن المحكوم عليهم سياسيا والمقبوض عليهم فى السجون ، وفى شهر أكتوبر سنة ١٩٢٤ رغب سعد زغلول باشا أن يعينه ناظراً لمدرسة التجارة العليا وقد اثار هذا غضب بعض أساتذة المدرسة نظراً لصغر سنه ولكن سعدا أجابهم على موقفهم هذا بأن عينه وزيراً للمعارف تقديرا منه للفقيد الكريم .

تولى أحمد ماهر وزارة المعارف وسنه ٣٦ سنة وقد أقيمت له حفلة تكريم من كبار المدرسين وأساتذة التعليم .

ثم بدأ يضع الأسس لسياسة التعليم فى مصر والبرامج والمناهج ويقيم للتعليم نظاما ثابتا يتمشى مع الروح المصرية التى كانت موجودة فى هذا الوقت وبينما هو يسير فى طريقه اذ بوزارة سعد زغلول تستقيل عقب حادثة اغتيال السردار المعروفة

وفى شهر يونية سنة ١٩٢٥ قبض عليه فى قضية الاغتيالات السياسية هو وصديقه النقراشى باشا وظل فى سجنه ما يقرب من عام أظهر فى خلاله شجاعة فائقة وثباتا منقطع النظير فما وهن وما ضعف وما استكان . بل كان موضع اجلال فى حديث المحققين وكبار الانجليز لما بدا عليه من رباطة الجأش وقوة الذاكرة وتتبعه لأقوال الشهود . بالحجة الدامغة يرد الشبهات ويدفع كل قول أو دليل يوجه اليه من الاتهام .

وكان حاضر البديهة أثناء التحقيق ومرافعة النائب العام وكان يلفت النظر عن النقط التى تدعم أقواله وينقض الاتهام من أساسه ويعترض على النائب العام اذا ما أراد أن يسفه له قولا . وكثيرا ما كان الدفاع عنه يطلب منه السكوت وأن يترك الكلام لوكلائه فى المرافعة فكان يثور كلما وجد الشبهات توجه اليه بدون دليل مادى وبغير برهان منطق .

كان لا يستطيع السكوت عند ما يراد للحقائق أن تختفى وللباطل أن يظهر وكان ، وهو يعلم أن حبل المشنقة يقترب منه دائم البشاشة لايرى الا مبتسما مرحا فيشيع فى نفوس أخوانه الجلد والثبات وما كان ليجزع وهو

فى سجنه أبدا الا عندما يذكر اسم كريمته . فيميل الى الحنو لها والبر بها .

وكان سعد بنفسه يرتب لهـا الدفاع وينظمه ويشرف عليه ويسهر الليالى الطوال على كتابة المذكرات بنفسه ويمد بها هيئة الدفاع حتى أراد الله لها النجاة فوهبها لها بعد ان كاد حبل المشنقة يوضع فى رقبتيها فحكم ببراءتهما يوم الثلاثاء ١٣ ذى القعدة سنة ١٣٤٤ هـ الموافق ٢٥ مايو سنة ١٩٢٦ .

ولما خرج أحمد ماهر وصاحبه النقراشى من سجنهما فرحت مصر بنجاتهما كما فرح سعد زغلول باشا للقائهما وضمهما الى صدره بعد أن قبل كلا منهما فى وجنتيه وقال سعد (إن هذا أسعد يوم فى حياتى)

كان سعد يقدر أحمد ماهر ويعتز باخلاصه لوطنه فلا عجب اذا فرح بلقاء أحمد ماهر وببراءته ولا عجب أن يقرر ضمه عضوا عاملا فى الوفد المصرى ويشركه معه فى حمل الأعباء الوطنية ومتابعة الجهاد من أجل مصر وحريتها واستقلالها

خرج أحمد ماهر من السجن أشد ما يكون حماسة لوطنه ولقضية بلاده فواصل الجهاد وانضوى مع المجاهدين . يجاهد فى صمت ويعمل فى هدوء .

وفى سنة ١٩٢٦ أعيد انتخابه نائبا عن دائرة الدرب الأحمر أيضا بعد خروجه من السجن وقد أظهر براعة فائقة فى المناقشات البرلمانية وكان أول من طلب تعديل اللائحة الداخلية للمجلس لتتمشى مع الروح الديمقراطية فى برلمانات العالم .

وطالما اشتد الخلاف فى الرأى بينه وبين رئيس المجلس اذ ذاك وكان سعد زغلول باشا

فى أوائل فبراير سنة ١٩٢٧ أثير فى مجلس النواب مناقشة دستورية بمناسبة المشروع الخاص بشأن ميزانية الأزهر والمعاهد الدينية والأحكام التى تجرى على هذه الميزانية .

وقد كان رأى سعد زغلول باشا رئيس مجلس النواب وقتئذ أن هذا المشروع سابق لأوانه لأن القانون المنظم للطريقة التى يباشرها الملك سلطته طبقا للمبادىء المقررة بالدستور فيما يختص بالمعاهد الدينية لم يقدم بعد. وهذا المشروع خاص بالفرع دون الأصل وان المادة ١٥٣ من الدستور نصت على أنه اذا لم توضع

أحكام تشريعية بهذا الغرض يستمر الملك فى مباشرة سلطته فى هذه الأمور طبقا للقواعد والعادات المعمول بها فكل تعديل فى الحالة القائمة قبل صدور هذا القانون يكون منافيا للدستور .

غير أن النائب المحترم الدكتور أحمد ماهر خالف هذا الرأى ودارت المناقشة الدستورية التالية ننقلها من مضابط المجلس ليدرك القارىء مقدار اعتزاز فقيد مصر العظيم برأيه وكيف أن حرية الرأى كانت سجية طبيعية فى أخلاقه لازمته فى أيام شبابه الأولى ولم تفارقه حتى فارق الدنيا : —

حضرة النائب المحترم الدكتور أحمد ماهر

هذا الاشكال دستورى وقد قرر المجلس فى جلسة ماضية اعادته للجنة الشئون الدستورية فيحسن احالة هذا المشروع عليها لتبحثه من الوجهة الدستورية

الرئيس سعد زغلول باشا

أزعم أن من حق رئيس المجلس أن لا يسمح مطلقا بمناقشة تدور فى المجلس على موضوع يخالف المبادىء الدستورية

الدكتور أحمد ماهر : الرئيس يمثل المجلس ولكنه يستمد سلطته منه والمجلس صاحب الرأى الاعلى والا أصبح رئيس مجلس النواب لارقابة عليه « تصفيق »

الرئيس : كلمة الدستور فوق كل كلمة وانى أتكلم باسم الدستور لا باسمى شخصيا لانى أعتبر نفسى كواحد منكم ، إن الدستور وديعة فى يدى فلا يمكننى ما دمت رئيسا للمجلس أن أسمح بمناقشة فى موضوع مخالف للدستور هذا هو رأيى ورأى كل رئيس فى المجالس النيابية فى البلاد الاخرى . فمنهم من يقول مادمت رئيسا للمجلس (لا أسمح بكذا أو أسمح بكذا) فانا لم آت بشىء جديد وما أنا الا مقلد وأرجو اذا كنتم فى شك من ذلك أن ترجعوا الى المراجع الدستورية التى اطلعت عليها فى هذا الصدد لذلك أصر فيما يتعلق بالمسائل الدستورية المحضة على أن لا أسمح بصفتى رئيسا للمجلس بمناقشة فى موضوع يكون مخالفا للدستور

الدكتور أحمد ماهر : نحن لا ننازع فى أن من حق الرئيس أن يوقف المناقشة اذا تعدت اختصاص المجلس ولكن مما لا شك فيه أن للعضو الذى يعتقد

أن الموضوع لم يخرج عن اختصاص المجلس مخالفا ذلك رأى الرئيس أن يحتكم الى المجلس ومن واجب الرئيس فى هذه الحالة أن يعرض الأمر على المجلس ليفصل فيه ويجب أن يخضع الجميع لما يقرره .

الرئيس : أخالف حضرة العضو المحترم فى ذلك وهل يريد حضرة الاستاذ يوسف الجندى أن يعرض الامر على المجلس .

الاستاذ يوسف الجندى : نعم أريد عرضه على المجلس .

الدكتور أحمد ماهر : أننى قدمت اقتراحا بأحالة هذا المشروع على لجنة الشئون الدستورية لتبدى رأيها فيما اذاكان متفقا مع الدستور أم لا ؟

الرئيس : المناقشة فى نظرى واضحة

وبعد مناقشات عرض الموضوع على المجلس فوافق على احالته على لجنة الشئون الدستورية .

خبرته دار النيابة يدافع عن حرية الرأى مهما كلفه ذلك الدفاع فهاهو ذا ومع أن النقاش كان بينه وبين رئيسه سعد زغلول لم يقتنع بوجهة نظر رئيسه مع مايحمله له من التقدير والاجلال وأصر على أن يعرض الموضوع على المجلس فكان له ماأراد.

لم تستقم الأمور بعد وفاة سعد زغلول . حيث عطلت الحياة النيابية . فلم يترك وسيلة للجهر برأيه ضد من أوقفها وكان فى رأيه عف اللسان واللفظ يدعو الى الحق والعدل بعيداً عن زخرفة الاساليب ميالا الى البساطة المطلقة والى الحقائق الخالصة التى لا تشوبها شائبة ما .

وظل يعمل حتى أعيدت الحياة النيابية مرة أخرى بعد أن عطلت ستة عشر شهراً وفاز بعضوية النواب أيضا عن دائرة الدرب الاحمر واختير فى ذلك الوقت رئيسا للجنة المالية فأظهر من البراعة المالية بشأن ميزانية الدولة ومصروفاتها ما كان موضع تقدير الجميع ، وتجلت فى مناقشته النزعة البرلمانية الصادقة فكان مثلا رائعا وموضع اعجاب الكثيرين من البرلمانيين .

وواصل أحمد ماهر نشاطه البرلمانى كما واصل جهاده الفكرى فى سبيل تحقيق آمال البلاد العليا .

أحمد ماهر وهو خارج من محكمة الجنايات
أثناء محاكمته فى قضية الاغتيالات السياسية سنة ١٩٢٥

قدر للحياة النيابية أيضا أن لا تستقر فى منتصف ١٩٣٠ اقيلت وزارة الوفد واستبدل دستور سنه ١٩٢٣ بدستور ١٩٣٠ فكان أول المهاجمين لهذا الانقلاب ونادى بمحاربة كل نظام يخالف ارادة الامة . وحينما جاءت الانتخابات على أساس دستور ١٩٣٠ نادى بمقاطعتها ومحاربتها . ورأيناه يحث جماهير الشعب ويطالبهم بالاستمساك بوطنيتهم وبوحدتهم وبدستور ١٩٢٣ .

كان الفقيد رحمه الله لشدة حبه للحرية لايميل الى الوظيفة لانها مقيدة للرأى والفكر وكان محببا اليه الاشتغال بالصحافة فعهد اليه الوفد المصرى فى ادارة سياسة جريدة كوكب الشرق ، وذلك فى سنة ١٩٣٤ ، وما كاد الفقيد الكريم يتولى سياسة الكوكب حتى أخذ يكتب فيه المقالات الوطنية الحارة فكان مهاجما شديد الخطر فى مقالاته قوى الاسلوب فى كتاباته مقاوما سياسة التردد حاملا على سياسة الطغيان مناهضا لكل حكومة تريد أن تحكم البلاد بغير دستور سنة ١٩٢٣ وقد كتب عدة مقالات فى هذا الشأن كان لها دوى كبير فى أنحاء البلاد وهاجم أولئك الذين كانوا يريدون تعديل الدستور فى سنة ١٩٣٥ ، ورأيناه يحمل عليهم حملات شعواء ويكتب المقالات ويطالب كل حزب بابداء رأيه واشتدت حملة الفقيد العظيم على بعض الشخصيات فى مصر التى ابتدعت طرقا من التفكير غير سليمة وحارب وسائل العسف بصفة عامة ، وأخذ يقلب صفحات التاريخ ويستخلص منها أمثالا عديدة عن مناهضة الأمم لضروب الظلم والاستبداد ووسيلة الحكم بغير ارادتها ويرسلها يومياً تحت حديث المساء فى جريدة الكوكب وعلى الرغم من قوة هذه المقالات وصداها فى الاوساط فأنها لم تحو شيئا يؤخذ عليه قانونا لانه كان واثقا فيما يكتبه فلا يلقى التهم جزافا ولا يرمى الناس بالباطل بل يكتب وتحت يديه المستندات والادلة القاطعة الجامعة المانعة الصادقة على كل قضاياه .

واذكر انى من هذا التاريخ اتصلت به واحببته حيث مالبث فى الكوكب ان ملأ نفوسنا ، نحن المحررين تقديراً واحتراما ولقد شملنا بلطفه وحبانا بعطفه وقد كان يقول دائما يجب على الصحفى أن يكون جريئا فى كتابته صريحا فى قوله

شجاعا فى رأيه نزيها فى قلمه لايدارى ولا يوارب بل يظهر الحقائق ناصعة ويطلع الرأى العام على بواطن الامور فلا يخفى عليه من السياسة العامة شيئا، لان الرأى العام عنده هو صاحب القضية وهو الحكم الفصل .

كان أحمد ماهر فى الصحافة يسبغ عليها من محبته ويرسل عليها من ضوء أدبه واخلاقه السامية دعابة رقيقة يبعثها بين أسطر مقالاته فتملأ الافق بهجة وسرورا ومن كلماته المأثورة فى الصحافة (إن محنة الصحافة فى اولئك الذين يحترفونها من غير المثقفين) وكان يقول ان الصحفى يعرض عقله على الناس ثم هو يحكم على عقول جميع الناس ولذلك يجب أن يكون الصحفى على جانب كبير من الثقافة واسع الاطلاع ملما بكل شىء .

كان أحمد ماهر كما قال احد كبار الصحفيين عنصرا قويا فى عالم الصحافة يفتح باب الجرأة فاذا جميع من حوله عزمات صادقة وجرأة بالغة واقدام عجيب ولعله آخر كاتب مهاجم وأبلغ مهاجم أدبا وعلما وسعة اطلاع فقد حمل على الابراشى باشا ووجه النقد الى تصرفات النائب العام وناقش الدكتور هيكل فى نزاهة الحوار وأدب الخصام فكان له النصر دائما .

واذا غضب أحمد ماهر فانما كان يغضب للأمور الجسام والخطوب العظام التى تمس أمته ووطنه .

وكان رحمه الله حريصا على كرامة الصحافة والصحفيين حتى بعد أن تولى رياسة مجلس النواب فكان يوليها ما تستحقه من تقدير ، ومن الحوادث الغريبة أنه عند مناقشة خطاب العرش قبل وفاته بأسبوعين وقف نائب وهاجم الصحافة وطلب تشديد الرقابة عليها ووصف بعض الصحف بأنها صحف تجارية فغضب الصحفيون فى شرفة المجلس وهموا بالانسحاب وغضب معهم دولة ماهر باشا وطلب من النائب أن يكف عن مهاجمة الصحافة .

وقال انه لايريد الرجوع فيما اتخذه من سبيل لتخفيف الرقابة على الصحف وطيب خاطر الصحفيين حتى عادوا الى الشرفه .

تكونت الجبهة الوطنية فى عهد ساكن الجنان المغفور له الملك فؤاد الأول، فى سنة ١٩٣٥ . وكان أحمد ماهر أحد أعضائها البارزين ، ووفقت البلاد فى تلك السنة نفسها لاعادة دستور سنة ١٩٢٣ ، وقد فاز بعضوية النواب عن دائرته بالتزكية سنة ١٩٣٦

وانتخب رئيسا لمجلس النواب بالاجماع فتكشفت للناس مواهبه وظهرت لهم مقدرته واطلاعه الواسع فى شتى الشؤون البرلمانية ، فهم معاملة الناس وفهم حقوقهم ،فكان العدل أساس المعاملة عنده ، والمساواة بينهم شعاره ، لقى الجميع فى رياسته أمنا شاملا وسلاما مستقراً وطمأنينة عامة ، لافارق بين حزب وحزب وفوق ذلك فقد كان حصنا لحرية الآراء يذود عنها ، ويدافع عن كيانها مهما يكلفه ذلك الدفاع من عناء حتى لقد سجل له المجلس مراراً أنه خير من تولى رياسته

وحبب اليه النضال تحت قبة البرلمان فكان يجول ويصول ، وكثيراً ماشهدته دار النيابة فى طليعة رجالها المبرزين ، شهد له زعماء الامة جميعا بأنه برلمانى من الطراز الأول النادر ومحاضر لايسأم ، رحب الصدر متسع الافق ، إذا مانادى برأى فانما ينادى به عن عقيدة خالصة وإيمان صادق .

وما موقفه فى البرلمان وهو يخطب سبع ساعات كاملة فى الدفاع عن رأيه ببعيد عن الجيل الحديث ، فقد ظل أحمد ماهر خطيبا يوضح فكرته ، ويبين وجهة نظره فى موقف مصر الحربى ، ومكث يدافع عن رأيه دفاعا طويلا ، حتى اعترف له البرلمانيون جميعا بأنه اقدر رجل يستطيع أن يحاضر ويخطب دون أن يمل ، وقدرت له الحكومة موقفه أكرم تقدير ، على الرغم مما بينها وبينه من خلاف على وجهة النظر فى موقف مصر من اعلان الحرب .

ثم عرف بأنه ذو قوة فائقة وقريحة حاضرة فى تسيير المناقشة وتطبيق اللائحة سيما فى الحالات التى يشتد فيها الجدل حول النقاش السياسى والمالى .

وكان هو الرئيس الوحيد الذى شهد له الجميع من مؤيدين ومعارضين بحياده التام فى رياسة المجلس ، كما وقى المعارضين من هجوم المؤيدين ، فما فرق بين مؤيد ومعارض فى ابداء رأيه .

وارتفع بالمناقشة البرلمانية عن السفاسف واللغو فى الكلام وأشعر الجميع بعدم الانحراف عن مستقيم القول ، وأيسر الطريق لمن أراد أن يشق على نفسه بمهارة وبراعة واقتـــدار .

ومثل أحمد ماهر الوطنية الصادقة ، فكان أثناء المفاوضات الوطنى الصريح فى قوله ، الصادق فى بحثه ، القوى فى حجته ، وكانت له وقفات وطنية باهرة فى خلالها وكان دفاعه شاقا طويلا ولم يتخذ الخيال اليه سبيلا ، واستطاع أن ينبه إلى مواضع الضعف فى المعاهدة بعد بحث وتمحيص ، ولكن لم يرد أن يفوت على أمته مزايا ، ولم ير أن يقف فى وسط الطريق ، واكتفى بما سجله من دفاع عن حقوق شعبه وحقه أن يعيش حراً طليقا من كل قيد يحد من سيادته .

وخشى أن ينقاد الشعب وراء الألفاظ والخطب التى قيلت فى هذا المقام من أن المعاهدة وثيقة الشرف والاستقلال ، وأنها فى الغاية والكمال ، واستقام له هذا الحساب فلم يخف على الأمة رأيه ، وأخذ يشرح رأيه فيها ووقف فى ساحة البرلمان أثناء نظرها يكشف للأمة مافى المعاهدة من عيوب ويشعر الناس بما فيها من نقص وأبدى رأيه فى شجاعة وجـــرأة ووصفها بأنها خطوة فى سبيل الاستقلال ، لا وثيقة الشرف والاستقلال .

ولم يكن مسرفا ولا مغاليا حين قال ذلك ، وانما هى الوطنية الصادقة الصريحة التى لا تحب الالتواء دفعته إلى اظهار الحقائق ، ولو انه اكتفى بالاشعار لكان فيه الجهد كل الجهد حين يطلب من البلاد فى المستقبل ان تجاهد للوصول الى الكمال التـــام وهو قد فعل ذلك ، ليكون باب الجهاد مفتوحا ، وحتى لا يقهرها أحد ولا يصرفها عما تريد ، فحمدت الأمة لأحمد ماهر موقفه وصراحته ، وأكبرته وأعجبت به ، وتفاخرت ، وهكذا كان كالطود الشامخ ، له جولات صادقة من أجل مصر وحريتها ، ولولا القدر المقدر لأعز الله به الوطن واستخلصه من القيود ، وطهره من الفساد ووصل به الى أغراضه ومراميه

وأخذ بعد التوقيع على المعاهدة يواصل جهاده فى سبيل مصر ورقيها ، ونظر أحمد ماهر فرأى أن خير طريق للحرية التامة والاستمتاع بالحياة أن تتصافى

النفوس وأن تعبأ قوى الأمة ورجالاتها الأكفاء لخدمتها دون نظر الى أى اعتبار آخر ، ووجد أن لا سبيل الى ذلك سوى النصح بالبعد عن سياسة التحزب الممقوت وبصر بعدم الانقياد للاهواء والشهوات وحارب بكل ما لديه سياسة المحسوبية والأقارب والأصهار ، وحمل عليها حملة شعواء وبين أضرارها وسوء عقباها ،

وقصد بذلك منع وقوع التفرقة بين طبقات الأمة وأبنائها وتقويم أخلاقهم وتحصينهم ضد أمراض النفوس وشهواتها ، حتى تبلغ الأمة حد الكمال فى داخليتها فتصل الى تحقيق استقلالها ، وقد آتت هذه السياسة ثمارها قليلا ، غير أنه شعر فى سنة ١٩٣٧ بأن طريقة الحكم فى مصر اعتورها الشذوذ وأصابها ضعف نفسى ، فلم يكن له بد من أن يفاتح رئيس الوفد والحكومة ، بما يساوره من مخاوف وطلب منه أن يكافح تلك الثورة النفسية الجامحة التى تتغلغل فى سياسة الحكم ، ونصح له بالبعد عن سياسة التحزب الضارة بالبلاد ، وأنه متى بث هذه الروح وعمل على نشرها ، عم الامن وساد السلام ، وتوارى شبح التفرقة بين بنى الوطن الواحد ،

سافر الى مؤتمر مونتريه فى منتصف سنة ١٩٣٧ فكان أول مصرى اكتسب ثقة مندوبى الدول ، ونال تقديرهم واحترامهم ، لنواياه الطيبة وقوة منطقه السليم وحسن تفكيره وتدبيره للأمور ورحابة صدره أثناء المناقشات .

وقد استطاع أن يقنع هؤلاء المؤتمرين بسلامة وحسن نية المصريين ومقصدهم وصداقتهم للجاليات الأجنبية بدون تمييز أو تخصيص ، وكانت قوة منطقه سببا قويا فى جعل مدة فترة الانتقال للمحاكم المختلطة اثنى عشرة سنة

وما كاد يصل الى وطنه عائداً من مؤتمر الامتيازات حتى استمر يدعو الى السياسة القومية فى الحكم ، ولم يزل دائبا عاملا على نسيان الماضى وتآلف القلوب وتوحيد الجهود بين الأفراد والجماعات ، وحدث أن نشب الخلاف بين دولة النقراشى باشا ورفعة النحاس باشا على أصل الحكم وأساسه فى أغسطس سنة ١٩٣٧ مما أدى الى خروجه من الوفد فلم يلتزم الفقيد خطة الحياد ، بل صارح برأيه فى جرأة الوطنى الحر الكريم والسياسى الحريص على الوحدة المدرك لواجباته وتبعاته ، ووقف بجانب رأى دولة النقراشى باشا واعتبره عنوانى الوفد المصرى باقيا فيه له من الحقوق

مالغيره من سائر أعضاء الوفد ،وله أن يطلعه على مايدور من قرارات ومناقشات وأصر على تسجيل ذلك فى قرار الوفد الخاص بفصل دولة النقراشى باشا .

لم يكن يريد شيئا الا ما كان يخشاه على سمعة البلاد فى الداخل من أن تصاب بالاساءة ،وعلى الحكم أن يتغلغل فيه الفساد ،فمضى فى نصحه للحاكمين وطلب منهم أن يكفوا عن التفرقة بين الطبقات ، وأن تكون المساواة فى الحقوق والواجبات فيما بين الناس على السواء .

ولكن لم يمض قليل على ذلك حتى وقع ما كان فى حسبان الرئيس العظيم ، فجد خلاف بين الوزارة النحاسية والقصر ، اشتد أمره واستفحل خطره، ورئى الخروج منه بايجاد هيئة يحتكم أمامها الطرفان ، فأبى رئيس الوفد الاحتكام إلى فريق من خيرة رجال الأمة، وطنية وعلما وسياسة، فى أساس الخلاف ، وركن إلى ماتصدره الهيئة الوفدية من قرار بالثقة التى لاحد لها برفعة الرئيس والى عدم الثقة بأية وزارة يرأسها غير رفعة النحاس باشا ! !

وفى اجتماع الهيئة الوفدية انبرى الفقيد رحمه الله يعترض على هذا القرار ووقف يشرح إلى المجتمعين النتائج الخطيرة التى ستترتب على قرارهم هذا مستنداً على نصوص الدستور ومواده ، وأسس الحكم الديمقراطية فى جميع الأمم الراقية

مكث ثلاث ساعات يحدثهم فيما يجب ومالا يجب ، وود لو تخلى رئيس الوفد عن الحكم حسما للخلاف الناشب بين القصر ورئيس الاغلبية ، وأسناد الحكم إلى أحد رجال حزب الاكثرية من زملاء رفعة النحاس باشا ، حتى تبقى للأمة وحدتها وللوفد تضامنه وقوته ، فآمن برأيه من آمن وأعرض من أعرض، حيث بلغت سياسة التحزب أشدها ،واستولت على بعض الافهام وركبت بعض العقول فأصر أصحابها على موقفهم واستكبروا استكباراً ، ولما يئس من اقناعهم بنبل الغاية ونزاهة المرمى الذى يريده ، حملهم نتيجة ما يحدث والقى عليهم المسئولية قائلا , اللهم فاشهد ، اللهم فاشهد ، ، ، ،

ورغب الدكتور أحمد ماهر فى الخروج بعد دعوته جهاراً . وكانت نظريته قد عرفت ، وحملها المغرضون إلى جموع الشبان فى النادى على محمل سيء ،

فتآمروا على الاعتداء عليه أثناء خروجه وتربصوا له على أبوابه وشعر بعض أصدقائه بذلك ، فأسر اليه بالأمر ، وأشار عليه بالخروج من الباب الخلفى للنادى فرفض هذا النصح ، وأبى الا أن يعود من الباب الذى أتى منه ، وهم بالانصراف وفى وسط جموع الشبان المتحفزين سلك طريقه ولم يتردد مخترقا صفوفهم فى تؤدة ، منتظرا ماعسى أن يكون ، فوجد فريقا يهرف بما لا يعرف ، فنظر اليهم نظرة الغاضب ، فارتدوا على أعقابهم خاسرين .

ولم يلبث الا قليلا حتى أقيلت وزارة رفعة النحاس باشا فى أواخر ديسمبر سنة ١٩٣٧ حيث استعمل حضرة صاحب الجلالة الملك حقه الدستورى ، وأسند رياسة الوزارة إلى زعيم المعارضة يومئذ رفعة المغفور له محمد محمود باشا ، وتبع ذلك استقالة بعض أعضاء الهيئة الوفدية الذين كانوا يؤيدون نظرية الفقيد العظيم .

ولقد تفرع عن هذه الاستقالة تكوين الهيئة السعدية وتأسيسها على نظام ثابت ، يقوم على الصراحة والحرية فى الرأى والعدل والمساواة ، وعلى أصول الحكم الديمقراطى النزيه السليم .

أعلنت الهيئة السعدية مبادئها للرأى العام ، فاستقبلها الشعب المصرى بالترحيب ودخل الناس فى دينها أفواجا ، لترسمها خطوات الزعيم الخالد سعد زغلول . فى توطيد حرية البلاد وتمكين استقلالها ، ورعاية حرمة دستورها ، وانفاذ أحكامه مبنى ومعنى ، لصيانة الحريات ونشر الطمأنينة بين مختلف الطبقات ، مهما تنوعت عقائدهم وتباينت مذاهبهم ، حتى تصل البلاد إلى غايتها القصوى .

واختارت الهيئة السعدية الشهيد الكريم رئيسا لها مدى الحياة ، واتصل الناس به وبايعوه على السير خلفه وتأييده ، لطهارة عقيدته وحسن مقصده . وما أسرع ما أحبوه ، والتفوا حوله ، وما أسرع ما شهد مجتمعاتهم العامة والخاصة ، ففى شهر فبراير سنة ١٩٣٨ حل مجلس النواب وجاءت الانتخابات فنزل الفقيد فى ميدانها واختلف الى المجتمعات يشرح الأخطاء التى ارتكبها أصدقاؤه بالأمس والمخالفات الدستورية التى حدثت فى عهدهم ، وكان فى خطبه وأحاديثه نزيها فى كلامه ، صادقا فى اقواله عفا فى الفاظه ، لا يداجى ولا يداور ، بل يمضى إلى غايته فى غير تردد ولا ضعف ،

ولم يترك فرصة من غير أن يبين لطوائف الأمة ، سياسته ونظريته فى الحكم ، ورغبته فى عدم مواصلة السير مع الذين انحرفوا عن الحق .

خرجت الهيئة السعدية من المعركة الانتخابية ظافرة وافتتح مجلس النواب فتولى زعامة المعارضة فكان فى معارضته شريفا وفى خصومته كريما ، ولم يباعد الخلف السياسى بينه وبين أصدقائه ومهما قامت المعارك السياسية بينه وبينهم فانها لم تؤثر فى صداقته لهم فأبقت له هذه الخلة آثارا أعجب الناس بها ايما إعجاب انتفع بها البعض فى تقويم الأخلاق وفى فهم السياسة فكانت لنفوسهم لذة ترتفع بها ولا تضعها وتقويها ولا تضعفها .

ورؤى أن تشترك الهيئة السعدية فى الحكم فلم يتخلف هو وصحبه عن تحمل التبعات ولم يتردد عن الاضطلاع بأعباء الحكم .

ففى يولية سنة ٩٣٨ اشتركت الهيئة السعدية فى الحكم لأول مرة واختير رحمه الله وزيراً للمالية فنفث فيها من روحه وبعث فيها حياة جديدة لم يكن لها عهد بها من قبل فكان أول وزير جرىء يضع للموظفين كادراً نظر فيه لمصلحة الدولة وتوطيد ماليتها ، ولم يعبأ باشتداد الحملات عليه من أجل هذا الكادر بل استمر فى طريقه معرضا عما يوجه اليه من انتقاد الموظفين وغضبهم وفى عهده أنشأ ضرائب جديدة أهمها ضريبة الايرادات على رؤوس الأموال المنقولة والارباح التجارية والصناعية وعلى كسب العمل وأيلولة التركات ورسم الدمغة وغيرها . وكان هذا كله عملا جديدا فى عالم الضرائب فى مصر فزادت ميزانية الدولة بضعة ملايين من الجنيهات ، وأقدم على تأييد قوانين العمال وتشريعاتهم كما عالج مسائلهم علاج الحكيم البصير .

وفى سنة ١٩٤٠ أعيد انتخابه لرياسة المجلس فظل فى هذا المنصب حتى السادس من فبراير سنة ١٩٤٢ ، حيث حل المجلس المذكور ، وفى خلال رياسته لم يدع فرصة دون أن يمكن للحياة النيابية دعائمها وللدستور قواعده ولم يظفر أعضاء المجلس وموظفوه برئيس مثل أحمد ماهر فى خلقه وتواضعه وديمقراطيته فما من موظف ألمت به حاجة الا بادر باسعافه وما من نائب نزلت به نازلة الا أسرع إلى مواساته .

ومن هنا سيطر اسم أحمد ماهر على القلوب والعقول وامتزج حبهم له فى نفوسهم امتزاجا .

ولا ريب أنه كان من أشد الرؤساء ، حرصا على الحصانة البرلمانية ، فلم يسمح لأية حكومة ما بالاعتداء عليها أو انتهاك قداستها ، قبل الرجوع الى اذن المجلس.

وفى مضابطه مواقف له مذكورة مشكورة

تخطت جيوش المحور الحدود المصرية سنة ١٩٤٠ فاندفع بوطنيته الصادقة يهيب بالأمة أن تقف فى وجه المغيرين وطلب أن ينفر المصريون بما لديهم من قوة مدافعين عن كرامتهم وعن حرية بلادهم واستقلالها ولم يركن الى دفاع الحلفاء والى أن يتخلف المصريون عن الجهاد فى سبيل الوطن ورفعة شأنه ، ولم يأبه بمن نكص على الأعقاب.

وظل على فكرته مطالبا بالدفاع عن أرض الوطن من أبناء الوطن نفسه حفظا لكرامتهم ودليلا على رجولتهم واستمر يدافع عن رأيه بايمان وقوة يقين ولم يحفل بمخالفيه ، ولم يقف عند الرأى القائل بالاعتزال عن الأمم المتحالفة وعدم الدفاع . وذلك لفهمه للحوادث . فكان فى دعرته صادق الفراسة بعيد النظر . حيث تحققت دعوته وفازت نظريته آخر الأمر .

عرضت نظريته هذه على البرلمان فمكث محاضرا وخطيبا . يخطب سبع ساعات متوالية . شارحا رأيه فى أدب رفيع وأسلوب بديع ومنطق بليغ . معالجا الأمور بحكمة ورزانة مكاشفا مواطنيه بالمستقبل وما ينجم عن التخلف من أحداث . يوم تضع الحرب أوزارها ويوم تسأل كل أمة عما قدمت .

لكن لم تستطع الأغلبية الخضوع إلى رأيه ، فلم يلزمها بما لا تريده كما لم يصرفه هذا الموقف عن غايته. حيث تجمعت الحوادث وازدادت الحالة الدولية تحرجا وغموضا . وعلى الرغم من هذا لم يشأ السكوت بل ظل يطالب القائمين بالأمر بأن يقفوا موقف التضحية والجهاد حتى يكتب للأمة النصر .

وفى أواخر يناير سنة ١٩٤٢ استقالت وزارة دولة حسين سرى باشا ، فتفضل جلالة الملك المحبوب بدعوة أقطاب الأمة وساستها وقادة الرأى فيها لعقد اجتماع

وطنى فى قصر عابدين العامر للتشاور فيما جد من أحداث و كان ذلك فى يوم ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ .

و كان أحمد ماهر على الرغم مما به من مرض خطير فى مقدمة الحاضرين .

وما أن تكامل عدد المدعوين لهذا الاجتماع حتى دخل عليهم جلالة الملك المعظم « فاروق الأول » حفظه الله وأدلى اليهم ببيان منشور فيما بعد .

على أن هذا الاجتماع لم يكن الأخير . فقد عرف أن المغفور له رفعة أحمد حسنين باشا حمل الى دار السفارة البريطانية ما اتخذه أقطاب الأمة من قرار . لاحاطتها علما به.

وأخذ الزعماء ينصرفون تباعا و كانت على وجوههم الكآبة و كانت النفوس حيرى مضطربة ، لأن الأمر جد خطير والحالة تنذر بشر مستطير . ونزل أحمد ماهر باشا من القصر العامر وعلائم المرض بادية عليه ملئما، تستر وجهه ورأسه طاقية من الصوف وركب سيارته وحالته النفسية ظاهرة . و كنت وبعض الصحفيين فى القصر منتظرين ، ولم يفكر أحدنا فى الاستفهام منه عما قرره المؤتمرون . فتبعنا سيارته فألفيناه يدخل الى كلوب محمد على ليستريح قليلا ثم نبه أحدنا الى أنه موجود فى هذا المكان .

صعدنا الى نادى سعد زغلول لنستمع إلى الاخبار و كانت مضطربة كل الاضطراب . وبعد قليل شاهدنا طابورا كبيرا من الدبابات تمر فى شارع البستان فتبعناها للاستطلاع . وللوقوف على اتجاهها وسيرها فى مثل هذه الساعة .

وما هى الا دقائق ، حتى رأيت وياهول مارأيت . رأيت قصر عابدين وقد حوصر من جميع جهاته والدبابات تقف على أبوابه والمدافع مصوبة الى حراسه فأسرعت الى التليفون وقد بلغت بعض الاصدقاء بما هو حادث فى ميدان عابدين من حصار

وسرعان ماشاهدت أحمد ماهر وصاحبه النقراشى يقتحمان صفوف الجيوش المحاصرة للقصر بعد مشادة ويدخلان الى حجراته . .

تغير الموقف فجأة وازدادت الحالة خطورة ودعى الزعماء للاجتماع للمرة

الثانية وكانت الساعة الثامنة والنصف من مساء ذلك اليوم الأليم .

واذا بالزعماء فى اجتماعهم واذا بجلالة الملك المعظم ، يدخل عليهم ويذكرلهم ماحدث . فوجم الجميع . لكن واحدا منهم استأذن ملكه فى الكلام . وكان هو أحمد ماهر . وأدلى برأيه فى صراحة وايمان وقوة فى تلك الساعة الحرجة . واعتبر كل من يقبل الوزارة على هذا الوضع بعيـــدا عن الوطنية المصرية والكرامة القومية

غضب أحمـــد ماهر للعزة المصرية . وثار عندما رأى مصريا يقبل الحكم ارضاء للأقوياء وقال كلمته التاريخية أمام صفوة من رجالات مصر وعلى مسمع من مليكه المفدى مما هو مدون فى سجلات القصر الرسمية لهذا الاجتماع التاريخى وهو صورة للوطنية الصادقة الخالصة الملتهبة حماسة وجرأة

وربت جلالة الملك على كتفه وتأثر الحاضرون ماعدا واحدا ! لأن أحمد ماهر كان مريضا وكان مرضه خطرا وكان أقل هزة تودى بحياته .

وانا لنسجل ما بعض دونه حضرة صاحب السعادة محمود حسن باشا كبير المستشارين ورئيس لجنة قلم قضايا الحكومة من محضر عن جلستى اجتماع ٤ فبراير سنة ٩٤٢ الذى عقد فى سراى عابدين العامرة وهذا نصه .

محضر جلستى اجتماع ٤ فبراير

« فى يوم ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ اجتمع بسراى عابدين العامرة بناء على دعوة معالى رئيس الديوان العالى بعض ذوى الرأى من كبار رجال الدولة هم حضرات أصحاب المقام الرفيع والدولة والمعالى والسعادة والعزة :

حسين سرى باشا . شريف صبرى باشا . مصطفى النحاس باشا . على ماهر باشا . محمد محمود خليل بك . أحمد ماهر باشا . أحمدزيور باشا . اسماعيل صدقى باشا . عبد الفتاح يحيى باشا . محمد حسين هيكل باشا . محمد توفيق رفعت باشا . على الشمسى باشا . محمد حلمى عيسى باشا . حافظ عفيفى باشا . محمـــد حافظ رمضان باشا . بهى الدين بركات باشا . أحمد حسنين باشا . محمود حسن باشا .

« وحوالى الساعة الرابعة بعد الظهر انتظم عقد الاجتماع وبعد فترة قصيرة تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك بتشريفه يرافقه حضرة صاحب المعالى أحمد حسنين باشا فوقف الحاضرون إجـــلالا ثم جلس وتفضل فأذن لحضراتهم بالجلوس ثم وقف صاحب المعالى أحمد حسنين باشا وتلا باذن جلالته المذكرة الآتيـــة : -

« عندما واجهت البلاد هذه الساعات الخطيرة التى يجتازها العالم ناديت »
« ونادى الشعب معى بوجوب اتحاد الجميع لمواجهة الصعوبات التى تقوم فى »
« طريقنا وكنت أرى أن أوقات الشدة يجب أن تعلمنا أن ننسى أشخاصنا وندفن »
« الماضى لنبدأ عهدا جديدا نكون فيه كتلة واحدة ، ورأيا واحدا وأمة »
« واحـــدة » .

« ذلك لانى أعلم أن ما من خير أصاب هذا البلد الا وهو متحد ، وما من »
« شر أحاق به الا وهو متفرق الكلمة » .

« وهكذا بدأت منـــذ أمس استدعى بعضكم ، وكنت عازما على أن »
« استدعى البعض الآخر اليوم لأشرح لكم وجهة نظرى ، ولادعو الجميع الى »
« تأليف وزارة قومية ، كنت اعتقد أن كلا منكم يضحى شيئا قليلا لنكسب »
« شيئا كثيرا وكنت على ثقة أنكم ستلبون دعوتى ففى الساعات الخطيرة يجب »
« أن ننسى أشخاصنا ولا نذكر إلا بلادنا »

« ولكن قبل أن نبدأ مشاورات أمس . طلب السفير البريطانى أن أستدعى »
النحاس باشا ، وأكلفه بتشكيل الوزارة ، أو أن اقبل من يقترحه النحاس باشا »
« رئيسا للوزارة » .

« وحدد السفير البريطانى الساعة الثانية عشرة ظهر الثلاثاء (أمس) موعدا »
أستقبل فيه النحاس باشا » .

« فأجبت السفير على ذلك بأننى كنت قد قررت فعلا - وقبل وصول هذا »
« الطلب - أن استدعى النحاس باشا ورؤساء الأحزاب لاستشارتهم فى تأليف »
« وزارة قومية تواجه صعوبات البلاد الداخلية والخارجية ، وبذلك تحقق رغبة »

« الشعب وتجمع مصر فى وزارة واحدة و كتلة واحدة » .

« وانتهت مشاورات أمس ؛ وعلى أثرها مباشرة طلب السفير البريطانى »
« مقابلة رئيس الديوان وأخبره أنه علم أن النحاس باشا رفض فكرة الوزارة »
« القومية ؛ وطلب السفير من رئيس الديوان أن يرفع الى نصيحة السفير أن »
« أكلف النحاس باشا بتأليف وزارة وفدية ؛ فرد عليه رئيس الديوان بأن »
« المسألة بين الملك ورؤساء الأحزاب »

« واليوم طلب السفير مقابلة رئيس الديوان واعطاه انذارا ؛ هذا نصه : »
« اذا لم أعلم قبل الساعة السادسة مساء أن النحاس باشا قد دعى لتأليف »
« وزارة . فان الملك فاروق يجب أن يتحمل تبعة ما يحدث »

« اننى دعوتكم لاستشيركم فى هذا الموقف ؛ واننى واثق أن رأيكم ستمليه »
« الوطنية والحكمة ؛ وانكم ستجلسون هنا كمصريين . ترجون الخير والكرامة »
« لهذه البلاد » .

عند ذلك وجم الحاضرون وبدا على وجوههم الكدر والالم ومضت فترة من السكون قطعها حضرة صاحب الجلالة بقوله :

« لقد دعوتكم وكلكم من ذوى الرأى لاستنير برأيكم فى الموقف ، وكل »
« رجائى أن تضعوا نصب أعينكم مصلحة البلاد والوطن دون سواها فلا يعنيكم »
« شخصى ولا مصلحتى وانى مستعد لاحتمل كل مسئولية مهما عظمت فى سبيل »
« بلادى وأعتقد انه لن يصيبنى أذى بفضل الله وهذا الكتاب (ورفع كتيباً »
« صغيرا علم لنا انه القرآن الكريم) وانى سأتركم لتبادل الرأى وعندما »
« تتفقون على وجهة نظر معينة تخطرونى بها ، فقط أرجو ملاحظة ان الرد »
« المطلوب منا قبل الساعة السادسة »

ثم وقف فوقف الجميع تعظيما لجلالته ، وترك الجلسة تشيعه القلوب بالمحبة والاجلال ، وترمقه العيون بنظرات الاعجاب والتقدير على هدوئه وثباته واطمئنانه وصدق ايمانه

وبعد انصراف جلالته خيم السكون على الجلسة حوالى دقيقة والحاضرون

مذهولون من خطورة الموقف معجبون بشجاعة مليكهم وحبه لبلاده . ثم قطع هذا السكون أحمد ماهر باشا بقوله : (الكلمة الان لحضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا)

فقال رفعته فى حركة عصبية ما نصه : (انى فوجئت بالتبليغ البريطانى . ولكنى أقرر ان الذى أوصلنا الى هذه الحال هو نظام العهد الحاضر وما جره على البلاد من اضرار ومفاسد .....)

وهنا قدمت بعض اقتراحات ودارت مناقشات ، ولما طال الجدل والنحاس باشا مصر على موقفه لايتزحزح عنه ، وقد اقتربت الساعة السادسة ، رئى وضع حد للجدال والمناقشة ، فعرض دولة صدقى باشا على الحاضرين هذا الاقتراح :

« ان فى قبول التبليغ البريطانى اعتداء على استقلال البلاد ومساسا بمعاهدة الصداقة ولا يسع الملك أن يقبل ما يمس استقلال البلاد ويخل بأحكام المعاهدة

فوافق الحاضرون على ذلك بعد أن عدل صدر الاقتراح بما يأتى « أن فى توجيه التبليغ البريطانى ... الخ

ولقد وافق النحاس باشا بعد تردد على هـــذا الاقتراح ، ووقع عليه هو وزيور باشا مع باقى المجتمعين

خرج أحمد حسنين باشا ليبلغ جلالة الملك ماانتهى اليه رأى الجماعة ، فعاد جلالته ، وشرف الاجتماع مرة ثانية حيث عرض على جلالته حسين سرى باشا مادار فى المناقشة ولخص لجلالته أقوال النحاس باشا

فقال النحاس باشا : إن هؤلاء الناس (ويقصـــد الانجليز) محرجون ، وأخشى إذا رفضت قبول الوزارة أن يلجأوا الى تصرفات خطيرة قد يكون فيها ضرر كبير

فرد عليه جلالة الملك « نحن شخصيا مستعدون لاحتمال المسئولية »

فخفقت لهذا النطق السامى قلوب الحاضرين ، وبدا على وجوههم علامات الإكبار والإعظام لجلالته ، ولكن النحاس باشا ، رغما مما تضمنه هذا التصريح الكريم من مغزى لايخفى ، أصر على موقفه ، عندئذ وافق جلالته على اقتراح

الهيئة وأمر بأن يبلغ السفير البريطانى ردا على هذا التبليغ

انفرط بعد ذلك عقد الاجتماع بعد أن قال جلالته للحاضرين أنه يحتمل أن يدعوا للاجتماع مرة أخرى .

وفعلا حصلت هذه الدعوة فى الساعة التاسعة من مساء يوم ٤ فبراير وحوالى الساعة العاشرة تكامل الجمع وانعقد الاجتماع فى جو مكهرب ومشبع بالحزن والألم ، ولا حديث للمجتمعين إلا فيما جرى من الاحداث بين الساعة السادسة والساعة التاسعة

وبعد برهة قصيرة شرف جلالة الملك تحيط به المهابة والعظمة ثم قال : أرجو أن تنسوا مادار بينكم من الحديث وماقررتموه بعد ظهر اليوم وأنى أكلف النحاس باشا بأن يشكل الوزارة ويعرض على أسماء الوزراء لصدور الأمر بذلك ، وأطلب اليه عند انصرافه من هنا أن يمر على دار السفير البريطانى ويبلغه أنه كلف بتشكيل الوزارة لأنه طلب الى ذلك وكل ماأرجوه من النحاس باشا أن يسير فى حكمه سيرة قومية بعيدة عن الاغراض الحزبية ، وله أن يعتمد على لتسهيل الأمور اليه . . .

عندئذ طلب أحمد ماهر باشا الكلمة فأذن له جلالة الملك فقال : كنت أظن أن النحاس باشا ، وهو كما يقول عن نفسه زعيم البلاد وصاحب معاهدة الشرف والاستقلال ، يرفض تشكيل الوزارة ، أما وقد قبلها فأنى أعلن فى هذا المكان المقدس وفى حضرة مليك البلاد ، وسأقول للناس أن النحاس باشا تولى الحكم الليله مستندا إلى أسنة الرماح البريطانية

فسرى بذلك عن نفوس الحاضرين وترجم بهذه العبارة القوية عما يجيش فى صدورهم

وهنا قال النحاس باشا : « لست أنا الذى يستند الى أسنة الرماح البريطانية »

فرد عليه دولة صدقى باشا بقوله : « أظن أن رفعتكم وصلتم إلى هنا بعد انصراف الدبابات

وهنا وقف جلالة الملك وخرج مرموقا بعين التعظيم والمحبة والاجلال

وانصرف الحاضرون دون أن يوجه واحد منهم كلمة تهنئة الى صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا :

وهكذا انتهت مأساة عابدين حيث عملت فى صرح استقلال البلاد معاول الهدم والاعتداء ، وللكنانة رب يحميها ولمليكها الحب والاحترام وحسن الجزاء والفداء :

انتهى الأمر وكان ما كان ونزل دولته من الأجتماع غاضبا ثائرا كالبركان وأعلن فى ساحة عابدين وعلى رؤوس الأشهاد من الصحفيين وغيرهم كلمته التاريخية وهى ، اكتبوا عن لسانى أنى قلت لمصطفى النحاس باشا فى حضرة جلالة الملك وزعماء الأمة « يانحاس لقد جئت إلى الحكم على الدبابات وأسنة الرماح الانجليزية ، أكتبوا ولاتخافوا فنحن لانخاف الموت ولانرهب أحدا إلا الله . »

ثم قصد إلى نادى سعد زغلول . حيث أدلى إلى أعضاء حزبه بما حدث وبما جد وبما وقع . ثم طالبهم بالالتفاف حول عرش مصر المحبوب والنضال فى سبيل استرداد كرامة البلاد والدفاع عن سيادتها واستقلالها .

تحرك قلم التاريخ من يوم ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ وسجل على صفحاته موقف أحمد ماهر فى هذا اليوم المعهود والزعماء يشيدون بوطنيته وشجاعته

وفى صبيحة اليوم التالى لهذا الحادث المرير حرر احتجاجا صارخا على هذا التدخل الأجنبى فى شئون مصر الداخلية وأرسله إلى السفير البريطانى وألقى التبعة على أولئك الذين قبلوا هذه السياسة ولم تمض ساعات على رفضهم واحتجاجهم على كل تدخل أجنبى فى شئون مصر .

وهذا هو نص الاحتجاج

«حضرة صاحب السعادة السفير البريطانى»

«بمناسبة التبليغ الذى وجهتموه سعادتكم إلى حضرة صاحب الجلالة الملك»
«بوجوب تكليف شخص بعينه اخترتموه لتشكيل الوزارة المصرية وهو حضرة»
« صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا وما اقترن بهذا التبليغ من التهديد »
« المباشر بالقوة المسلحة البريطانية . »

«أتشرف بصفتى رئيس المجلس النواب بأن أبلغ سعادتكم بصفتكم ممثلا لدولة»
«بريطانيا العظمى فى مصر شديد احتجاجى على هذا الاعتداء الصارخ على استقلال»
«مصر والذى أخل إخلالا شديدا بأحكام المعاهدة بين البلدين ومقتضيات»
«الصداقة بين الشعبين وعرض علاقاتهما للخطر الشديد.»

«وانه ليؤسفنى أن يقع هذا الاعتداء وهذا التدخل الذى لا مبرر له فى صميم»
«شؤوننا الداخلية فى الوقت الذى تدافع فيه بريطانيا عن قضية الديموقراطية»
«وحريات الأمم فى حرب هى بالنسبة لها حرب حياة أو فناء»

«وانى إذ أسجل هذا الاحتجاج أتشرف بأن أقدم لسعادتكم وافر الاحترام»

رئيس مجلس النواب
«أحمد ماهر»

٥ | ٢ | ١٩٤٢

اشتدت حملة الفقيد العزيز على الوزارة النحاسية من ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ وارتفع صوته ضد تصرفاتها المنافية لابسط قواعد العدل والقانون ، واستمر دائبا فى أوفر نشاط . وأعظم ما يكون حماسة ، يؤدى واجبه نحو وطنه . لا يثنيه مرض ولا ينأى به حادث مهما عظم .

وكان رضى الله عنه يبعث بالاحتجاج تلو الاحتجاج على التدخل الاجنبى وعلى انتهاك الحريات واستباحة الحرمات ، والاعتداء على الابرياء والقبض عليهم وتشريدهم بدون مسوغ .

ثم الفيناه يكون الجبهة الوطنية ويضع لها دستورا للسير بمقتضاه فى الحكم وخارج الحكم وفى شئون مصر الداخلية والخارجية وظل ينتقل من مدينة الى أخرى يلهب الشعور ، ويقوى الروح المعنوية كلما حجبت القوة مظاهرها وكبتت وطنيتها ، حتى أذن الله للبلاد بالنجاة مما كانت فيه ، فأقيلت وزارة رفعة النحاس باشا فى ٧ اكتوبر سنة ١٩٤٤

وعهد حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم الى الدكتور أحمد ماهر باشا بتأليف الوزارة بأمر ملكى هذا نصه :

«عزيزى أحمد ماهر باشا»

«نظر للأحوال الدقيقة التى تواجهها البلاد فى هذه الظروف العصيبة ولمالنا»
«من عظيم الثقة بكم ومانعهده فيكم من صدق العزيمة وسداد الرأى والمقدرة على»
«حسن القيام بمهام الأمور قد اقتضت إرادتنا اسناد رياسة مجلس الوزراء الى»
«معاليكم وأصدرنا أمرنا لكم للأخذ بتأليف الوزارة وعرض المشروع علينا»
«لصدور مرسوم بذلك»

«ونسأل الله أن يمدنا بعونه وعنايته وأن يوفقنا جميعا لما فيه خير البلاد» ؟

صدر فى سراى عابدين فى ٢١ شوال ١٣٦٣ / ٨ أكتوبر ١٩٤٤ «فاروق»

وفى ٨ اكتوبر سنة ١٩٤٤ عقد الزعماء برياسة مجلس الوزراء اجتماعهم وانتهى الاجتماع باعلان تشكيل الوزارة على النحو الذى جاء فى المرسوم الملكى الصادر

بتاريخ ٨ اكتوبر سنة ١٩٤٤

رأس أحمد ماهر الحكومة ، والخصومة الحزبية على أشد ماتكون عنتا وحدة ، والاخلاق الاجتماعية على أسوأ ماتكون من الانحلال ، والحياة الدولية تتمخض عن أحداث جسام ، تنبىء بتغير اوضاع العالم وتقلب الكرة الارضية رأسا على عقب ، وتبدل أنظمة الحياة .فساسها بالصراحة ، والسماحة والحرية والعدل ، فأفرج عن المعتقلين السياسيين ، وأمن الخائف ومكن لكل ذى رأى أن يبدى رأيه ، ولكل صاحب قلم أن يكتب ماشاء فى حدود الحوار الادبى والسياسى النزيه البصير .

لقد كان الناس يتوقعون أن يملأ أحمد ماهر السجون بخصومه السياسيين وأن يثأر لنفسه ولانصاره ، وأن يعطل كل مصلحة لاولئك الناس الذين كان سبيلهم فى الحكم قتل خصومهم ماديا وأدبيا .

لكن الجميع شهدوا لاحمد ماهر بروح العدل تسود فى سماء مصر ولقوامنه الاطمئنان ، ونعموا فى ظله بالعدل والاحسان

واحمد ماهر الزعيم السياسى الذى كان فى عهد رفعة النحاس ، يصدر بيانا أو يدلى بتصريح فلا يجد الى نشره فى الصحف سبيلا ، لان الصحافة كانت مخنوقة الحرية ممنوعة الكتابة لاى معارض ، ترك فى عهده الصحافة تكتب ضده وأبت نفسه الكريمة أن يمسها بضرر مع أنه الحاكم العسكرى

وقد رفع الرقابة عنها وألقى من يده ذلك السلاح الذى حورب به طويلا ترك الصحافة تنقد سياسة الحكومة علما منه أنه لا يشتغل فى الظلام ، وقال للكتاب انتم على أنفسكم رقباء ، وقال لأنصاره من الكتاب ، اياكم وتناول شخصيات الخصوم أو التعرض لكرامتهم .

وقد أخذ يرجع فى أساليب الحكم الى تلك الصورة الخالدة، من حكم الخلفاء الراشدين ، فكان مسلكه مسلك أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين قال . .

(الا ان أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ له حقه وأضعفكم عندى القوى حتى آخذ الحق منه) .

وها هم شباب الجامعة المصرية يختلط عليهم الأمر ، وتنشر بينهم الوقيعة فيذهب اليهم وحده على غير ميعاد وليس معه حراس من رجال البوليس ويقف بينهم خطيبا ، يقنعهم بالرأى فيما رأونه ويجادلونه ويستفزونه ، فيسمع اليهم ويرد على المحاورين والمجادلين ، بلين الكلام ، ويقنعهم بالدليل والمنطق السليم ، وقد نسى أنه الحاكم العسكرى ، ونسى أن ينفذ قانون المظاهرات والتحريضات والقى فيهم كلمة وطنية رائعة ، نوه فيها بوطنية الجامعيين ، وحماستهم ، ونصحهم بالمثابرة والجد والاستقامة فى دروسهم ، ليعدوا أنفسهم لتحمل الأعباء ، وليكونوا عدة الوطن فى مستقبله وطلب منهم أن يتركوا الأمور لذوى الأمور فآمال البلاد فى أيد أمينه مصرية ، ساهرة على حقوق الوطن وأمانيه الوطنية . فقوبلت كلمته بعاصفة من التصفيق والهتاف بحياته وبعد يومين تلقى دولته خطابا من طالب بكلية الحقوق ينقده على جرأته ، وحضوره للجامعة ثم يذكر له ملاحظات سريعة فيأبى دولته الا أن يرد على هذا الطالب بخطاب هذا نصه :

حضرة الطالب المحترم أمين صفوت افندى

تلقيت مع السرور كتابكم الذى تبدون فيه بعض الملاحظات عند زيارتى لدار الجامعة يوم السبت الفائت . وانى لشاكر لكم غيرتكم

ويهمنى أن أشير فى هذا المقام الى أنى أعتبر طلبة الجامعة أولادى لهم جميعا فى نفسى كل محبة وتقدير . وهم بعد ، رجال المستقبل الذين تعتز بهم البلاد .

أسأل الله أن يوفقنا الى خدمة وطننا ويهب أولادنا الحكمة والسداد

واقبلوا خالص تحياتى ؟ احمد ماهر

٢٥ - ١٢ - ١٩٤٤

وما أن تلقى الطالب خطاب رئيس الحكومة حتى أرسل لدولته خطابا يقول فيه إن إيمانى بحق بلادى قد التهبت نيرانه عندما علمت بأن على رأس حكومتها رجلا يبلغ به حب الحق والانصاف أن يشكر تلميذا ينقده ويأبى الا أن يكتب له بخط يده كل سطر من سطور رسالته ، وهـــذا وحى الديموقراطية الصادقة

والصراحة والايمان وحسبك من رئيس حكومة أن يضع طابع البريد على رسالته اشفاقا على أموال الدولة أن تمتد اليها يد الشؤون الخاصة للحاكم ، هنيئا لعمر بن عبد العزيز فى قبره ، أن يحكم الناس من بعده من سار على سيرته وسلك نهجه

يا صاحب الدولة لقد كنت احترمك وأقدرك ولكننى الآن أحبك وأفديك بروحى عن طيب خاطر .

ومازال أحمد ماهر وهو متبوىء الحكم يقيم فى كل يوم دليلا يطمئن الناس على حقوقهم وعلى آرائهم وعقائدهم ، ويعمل على استقامة اصول الحكم ، وينهض بأمته إلى العلا ، غير ناظر لعباد الشهوات والضعفاء من أهل الهوى والنظر المؤقت ، الذين لا ينظرون إلا لمآربهم وتحت أقدامهم

ويذكر أنه عقب عودته من الجامعة المصرية اتصل به أحد أصدقائه ، وقال له ان فلانا مقبوض عليه ، وانه يرجو دولته التوسط فى اخلاء سبيله ، فقال رحمه الله أما التوسط لافساد تحقيق قائم أو التدخل فى سلطة النيابة ، فهذا مالا أقبله ، وأما طلب الرأفة فى حالة ضعف الاتهام أو تفاهة الجريمة - ان قالت بذلك النيابة فهذا شىء آخر ولكن لا أسمح لنفسى بالتدخل لمصلحة واحد دون الباقين ، ثم سأل دولته المختصين عن هذا الأمر عما اذا كان هناك جرائم حقيقية أو أدلة قويه ، فقيل له لا ، بل كل ما ننويه هو ابقاء هؤلاء الفتيان فى السجن الى الصباح ثم اخلاء سبيلهم بعد أخذ تعهد عليهم وعلى أولياء أمورهم ، فقال الرئيس الرحيم اذا كان هذا كل ما فى الامر فخذوا التعهد من الليلة ولا تبقوا الشبان فى السجن ، فكلنا آباء وكلنا يتألم اذا ما قضى ولده فى السجن لحظة فضلا عن ليلة كاملة

لم تغير ابهة الحكم الشهيد العظيم ولم تتغير خصاله وطباعه ، فقد ظل كعادته ديمقراطيا محبا للحرية مثاليا فى أحاديثه ، مدفوعا بحبه لبلاده وملكه ، يجهد نفسه فى سبيل سعادة مصر ودعم استقلالها ، مصلحا لما حاول البعض افساده ، وزاد فى تواضعه وديمقراطيته انه كان أول رئيس وزارة مصرية ، سار وحده دون حارس ، فقد أراد أحد الرؤساء ان يعين لدولته حارسا يلازمه ، حيثما سار وأينما ذهب ، جريا على العادة المتبعة مع سائر رؤساء الوزارات السابقين ، فرفض دولته وقال أننى لا أحب

المظاهر الفارغة، وانى متوكل على ربى، حتى أن الرجاء تكرر عليه يوم الحادث، فأصر على رفض الرجاء.

وها هو ذا أحمد ماهر تجرى الانتخابات فى عهده وفى جو هادىء وقد شهد له خصومه بالعدالة فى الحكم، وها هو فى مكتبه يرسم الخطط ويضع دستور الحكم المصرى العادل، على قواعد ثابتة البنيان موطدة الاركان.

وها هو ذا يثبت دعائم الوحدة القومية ويستأصل بحكمته الفوارق الدينية وينشر فى البلاد روح الامن والطمأنينة، ثم ها هو يعمل على تناسى الاحقاد الحزبية ويمهد القلوب للتآلف والتضامن واتحاد الكلمة وبذل الجهود فى سبيل مصر واعلاء شأنها، بما يضربه فى حكمه من مثل عليا رفيعة.

وفى ٨ يناير سنه ١٩٤٥ أعلنت نتيجة الانتخابات بفوز السعديين بأغلبية كبرى فرفع دولة أحمد ماهر باشا استقالته الى جلالة الملك طبقا لقواعد الدستور فتفضل جلالة الملك بقبولها، ثم عهد اليه بتأليف الوزارة مرة أخرى، فألف وزارته الثانية وفق مشيئة جلالته وقد طبع وزارته بالطابع القومى

وفى ١٧ يناير سنه ١٩٤٥ عقب الانتخابات عقدت الهيئة السعدية اجتماعا برياسته، وألقى رحمه الله خطابا فى اعضائها، تجلت فيه النزاهة السياسية والنبل فى المقصد، وشاد برجولتهم ووطنيتهم ووفائهم وطلب منهم تناسى الاحقاد والغيرة على مصالح الوطن وأن يجلوها المحل الاول من تفكيرهم وعنايتهم وعملهم

وعلى أثر هذا الاجتماع رغب بعض الشبان أن يقبل يديه فأبى عليه ذلك وقال له ناصحا لا تطأطىء يابنى رأسك إلا لربك ووالدك، وأخذ يصافح الشبان واحدا واحدا متبسطا فى الحديث معهم، ذاكرا لهم بأنهم رجال المستقبل وعدة مصر فى شدائدها، وأخذ يبصرهم فى الحياة بأن يكونوا رجالا فى تصرفاتهم، وأن يتجنبوا كل مايشين صفات الرجولة الكاملة.

احسسنا أن صوت الحق يتردد وأن أحمد ماهر يقرر مبادىء الحق الخالدة وأن وطنيته تتأجج فى نفسه فيرويها للشباب لتكون منارة وضياء...

وكأن الفقيد رضوان الله عليه شعر بالرحيل، فكان فى هذه اللحظة

التى وقفها يصافح الشبان ايذانا منه بأنها آخر مصافحة اليهم ، حتى قال لهم أوصيكم يا أبنائى بالتمسك بالحق الكامل وأن تنشدوا دائما المثل العليا فى حياتكم ، فكانت آيات وطنية ومواعظ سامية يرسلها من قلبه الكبير الى قلوب بنيه من الشبان

وأضرب عن العمل سائقو التاكسى بمدينة القاهرة لعدم حصولهم على الكاوتشوك ، وقصد وفد منهم لمقابلة دولته بوزارة الداخلية ، وما أن علم أحمد ماهر بوجودهم حتى خف من مكتبه لمقابلتهم وصافحهم واحدا واحدا ، ثم أنصت لشكايتهم وتناقش معهم فى مطلبهم ، ورأى عاملا منهم يبكى ، فتأثر الرجل الشريف أحمد ماهر وكادت العبرات تخنقه ، ومن فوره أمر سعادة مدير الأمن العام بأن يسعى حالا لتحقيق رغبات هؤلاء العمال ومطالبهم ، فأجاب سعادة المدير العام للأمن بأنه ليس من المستطاع يادولة الرئيس تيسير هذه الرغبة الآن . للأزمة الموجودة فى الكاوتشوك . فقال الرئيس : أما رأيت الرجل وهو يبكى ! وتجهم وجهه واشتد غضبه ، وأصدر له الأمر بالاتصال بسعادة رسل باشا حكمدار العاصمة ليتصل بدوره بلجنة الشرق الأوسط لتدبير الكمية اللازمة من الكاوتشوك لهؤلاء العمال الى أن تنفرج الأزمة . . والا فانه يتزعم اضرابهم ويحرضهم على الاستمرار فيه وبعد قليل نفذ الأمر وحلت الأزمة وعاد العمال الى عملهم شاكرين حامدين للرئيس عطفه وحنوه .

وفى ١٨ يناير سنة ١٩٤٥ افتتحت الدورة البرلمانية للهيئة النيابية التاسعة فألقى خطبة العرش ، فكانت أول خطبة يذكر فيها السودان وتحقيق الامانى القومية والاهداف الوطنية وما انتهى دولته من تلاوتها حتى قوبلت بعاصفة من التصفيق والهتاف بحياة مصر والسودان وجلالة الملك

واذ اطمأن رحمه الله على افراد الشعب بأن حقوقهم تصل اليهم وأن القانون يسوى بينهم ، أخذ يرسم سياسة مصر لما بعد الحرب ويضع الاسس الصالحة لما سيتمخض عنه المستقبل من تطورات سياسية واقتصادية واجتماعية

واذن الله لليل الحوادث أن ينقشع وفجر السلام أن يلوح ففى يوم الاحد

١٨ فبراير سنة ١٩٤٥ استقبل فقيد الوطن العزيز أحمد ماهر ، المستر ايدن وزير خارجية بريطانيا العظمى فى رياسة مجلس الوزراء ليطلعه عما دار فى مؤتمر القرم وموقف مصر من الدول المتحاربة

وساعتئذ لمح الوطنى العظيم أحمد ماهر ما سيتنفس عنه صبح الحوادث وما ستمليه الايام تاريخا جديدا، وانتهز الفرصة يوم قيل لكل بلد شاطر بسهم فى هذه الحرب وفى نصر الديموقراطية ، أنه لا يقبل فى مجمع الأمم المتحدة إلا اذا أعلن الحرب وقد كانت مصر فى حالة حرب فعلا ، فأعلن رأيه وما أخفى ، وحفز مواطنيه الى التطلع الى كريم المنازل بين شعوب الدنيا، وأسرع الى التشرف بمقابلة مليك البلاد وسيد الوادى وعرض على مسامعه الكريمة كل مادار من محادثات سياسية هامة بينه وبين وزير خارجية انجلترا ، وقد مكث فى حضرة جلالة الملك زهاء أربع ساعات بسط فيها السياسة العليا للدولة ومايجب أن يعمل فى هذه الساعات الفاصلة فى تاريخ الأمم وتلقى من المليك الارشاد والنصح ولقى منه كل ثقة وعطف وتأييد .

وما أن فرغ من المقابلة الملكية حتى دعا الى عقد اجتماع سياسى فى رياسة مجلس الوزراء من اقطاب السياسة وقادة الرأى فى مصر . وأطلعهم على بواطن الأمور وما أثير من أحاديث ومناقشات سياسية خطيرة بشأن الوطن ومستقبله

ولم يستأثر أحمد ماهر بالرأى فى تصريف الأمور ، وبالسياسة التى يراد أن تسير عليها الأمة . وطلب من الزعماء المجتمعين أن يشيروا عليه بما يجب اتباعه ازاء ماجد من حوادث وما يجب أن تسير عليه البلاد فى حاضرها ومستقبلها ، وانتهى الى مثل ما انتهى اليه فى المقابلة الملكية الكريمة

ولم يقف عند هذا الحد بل اشرك زعيم المعارضة فى مجلس الشيوخ فى الرأى ، كما دعا الصحفيين وشرح لهم دقائق الموقف وفهم الحوادث ، ولم يخف على احد من ساسة الامة شيئا ، حتى يكونوا على بصيرة فيما يتخذ من قرار حاسم يحفظ لمصر كرامتها وعزتها وشخصيتها بين شعوب العالم

وإذ انتهى من اجتماع الزعماء والاقطاب بعد أن وافقوه على رأيه فى اعلان الحرب

طلب عقد البرلمان فى جلسة قريبة لطرح الموضوع على نواب الأمة مع العلم بأنها حرب دفاعية ولا حاجة إلى عرضها على البرلمان والدستور صريح فى ذلك ولكن طبيعة أحمد ماهر تأبى الا أن تكون كلمة الجماعة هى العليا .

وبالرغم من هذا فقد أخذ غير الموفقين ينشرون بين الأمة الوقيعة ويشككونها بكتابة البيانات ، من أنها حرب ستأتى على الأخضر واليابس ، وسيجند لها الشبان والعمال ، والشىء الثانى أنهم سيرسلونهم الى الحرب فى اليابان ، وستيتم الأطفال وترمل النساء ، وأخذوا يوقعون بين الناس بالفتنة بأوسع معانيها . ويعلم الله نهم لكاذبون .

فها هى الحرب قد أعلنت فما جند الى اليابان أحد وما أرسل الى الشرق انسان ولا رملت النساء ولا يتمت الأطفال ولا خربت البيوت ولا هدمت مساكن ولا بيع ولا مساجد !!

وفى الساعة الخامسة والنصف من مساء ٢٤ فبراير سنة ١٩٤٥ عقد البرلمان اجتماعا لعرض تقرير اعلان الحرب الدفاعية ضد المحور . واجتمع المجلس فى جلسة سرية . وصعد أحمد ماهر الى منبر مجلس النواب . وشرع يلقى بيانه ويشرح لنواب البلاد حكمة اعلان الحرب الدفاعية وثمرتها وما يترتب عليها من نتائج طيبة لخير البلاد فى حاضرها ومستقبلها واسترسل فى بيان الاضرار التى تترتب على التخلف عن اعلان الحرب الدفاعية . وقد أظهر من البراعة والاقناع ما جعل نواب الأمة يستقبلون بيانه بالتصفيق المتواصل . وكان هذا البيان آخر بيان القاه الفقيد فى دار النيابة . وهو منشور فى غير هذا المكان .

أجل ! كان بيان رجل وطنى صادق طاهر لم يوارب فيه ولم يخف الحقائق على الشعب ، ولم يرد منه مجداً ولا عظمة ، إلا مجد مصر وعظمتها

انتهى أحمد ماهر من جولته الأولى فى مجلس النواب ، ولما اطمأن الى انتصاره ، خرج الى مجلس الشيوخ ، ليدلى الى أعضائه بما ألقاه فى مجلس النواب ، لأنه كان - والأمر خطير - لا يقنع فيه الا برأى البرلمان ممثلا فى مجلسيه .

وبينما هو فى طريقه الى البهو الفرعونى وبينما النائب المحترم الأستاذ سعد اللبان يصافحه ويقول له ان أخاك رفعة على ماهر باشا جاء فى هذه الساعة ليبارك لك خطواتك ويؤيدك فى موقفك ويشد عضدك ، وبينما دولته يقول الحمد لله ، اذ امتدت الى قلبه يد الاجرام الأثيمة الغادرة وأطلق عليه غر دنىء مأفون أربع رصاصات . أصابت الرجل الوطنى العزيز ، فى صدره وقلبه ، ففاضت روحه الطاهرة فى لحظتها ، وفى تلك الساعة التى يعمل فيها الشهيد العظيم الى تحقيق الغرض الأسمى لهذا البلد الأمين .

سقط القائد العظيم وهو فى انتصاره صريعاً وفى اللحظة التى كان يريد أن يخطو ببلاده خطوة جديدة فى طريق الحرية التى تنشدها والمجد الذى تبتغيه .

وكأنما القدر أراد أن يبارك هذه الخطوة ويزكيها . فلم يجد أطهر من دم البطل الذى انتصر لها ونادى بها ودافع عنها وكأنما بيانه الأخير فى مجلس النواب خطبة الوداع ، وكما قال أحد النواب المحترمين الأستاذ شوكت التونى « لو أن القلوب تكشف لها الغيب وانبلج لها عالم السر لرأت الملائكة حافين بأحمد ماهر على منبر الخطابة وهو يودع أمته بخطابه الأخير الخالد ، الذى أسلم به قضية بلاده الى مرحلة جديدة وعهد جديد فأصبحت قضية دولية »

الآن وقد قضى الزعيم العظيم ومات الرجل الكامل وهو فى أشرف جهاد وأنبل غاية ، واستشهد فى ميدان العمل والشرف والبطولة وفى المكان الذى أحبه ، وكانت آخر كلمة نطق بها فى حياته « الحمد لله »

وخرج أحمد ماهر من هذه الدنيا شريفاً كريماً ، ونزيهاً أبياً ، ووطنياً وفياً لم يترك من حطام الدنيا شيئا ، وهو الرجل الذى وصل الى أسمى مناصب الدولة مركزا ، لم يدخر قرشاً ولا عقارا ولا شيئا من متاع الدنيا بينما أثرى غيره على حساب الوطنية واتخذها بضاعة رابحة . .

وهكذا تدور الدنيا ! فيغتال أحمد ماهر فى وقت اجتمعت فيه قلوب أمة

بأسرها حوله ، تحوطه بحب روحى ، وتلتف خلفه للعمل على تكاتف جميع القوى ، لتحقيق أهداف البلاد وغاياتها . وليلعب على مسرح العالم السياسى دورا ليسمع فيه كلمة مصر وارادتها ويرفع صوتها عاليا فى الوجود الدولى .

اغتيل أحمد ماهر وصوته يدوى عاليا مجلجلا فى سبيل الاخلاص لمصر ورفعتها ! اغتيل وهو يبعث فيها روحا جديدة وثابة وقوة لا تلين قناتها ولا تهن عزيمتها حتى تدرك حقها وتنال مقصدها .

كان أحمد ماهر المثل الأعلى فى الأخلاص للعرش وللوطن يتمثل فيه نبل الأخلاق وصدق العزيمة والايمان .

سئل أحمد ماهر يوما عن علاقة الوزارة بالقصر فقال رحمه الله : منذ أن تولى الملك فاروق عرش مصر وأنا مؤمن بأنه رمز الدولة وتاج الوطن وفى عهد مجلس الوصاية قلت للنحاس باشا اكسب الملك الشاب فانه كنز من الوطنية . اذهب اليه كل أسبوع واعرض عليه مشروعات الحكومة واتجاهاتك وآراءك واستشره ، ولكن النحاس باشا رفض يومها النصح وقال انه مشغول وانه يرى الاكتفاء بمقابلة أعضاء مجلس الوصاية ، وقال أحمد ماهر اننى كلما قابلت « جلالة الفاروق » قبلت يده لا لأنه مليكى فحسب ، بل لأنه كنز الوطنية فى مصر

وقد حدث أن اشتد المرض يوما على رفعة أحمد حسنين باشا فاستدعاه الى جواره وقال له : « يا أحمد » أشعر اننى سأموت ولى رجاء واحد أن تستقيل من بعد وفاتى من رياسة الوزارة ومن الهيئة السعدية وتتولى بعدى رياسة الديوان ، فتخدم بلدك ومليكك ففاضت عيناه بالدموع وغادر حجرة أحمد حسنين وهو يقول : أبدا ستعيش وستعيش من بعدى !

وبعد هذا أخذ يذهب الى منزل حسنين باشا يوميا ويرفض أن يصعد لمقابلة رفعته

فعلم رفعة أحمد حسنين باشا بتأثر أحمد ماهر ، فأرسل اليه رفعته من يقول له حسنين يعدك : بعدم مفاتحتك فى موضوع وصيته ، وعلى هذا الشرط عاد أحمد ماهر الى زيارة أحمد حسنين باشا فى فراشه . . .

كان أحمد ماهر يقول دائما ، ان خـــلافاتنا الحزبية تضيع وقت مصر ، فيجب أن تـكون كل أعمالنا مطبوعة بطابع القومية ، البعيدة عن الحزبية وعما يمت الى الشخصية بصـلة

كان يقول اننى أحب أن اتحدث عن المستقبل فان هذا الحديث أحب شىء الى نفسى ، فهـو يبعث فى قلبى الحـرارة والنشاط ، أريد أن نتفـرغ للبحث عن مستقبلنا ، والعمل على الوصول الى اهدافنا .

وكان من أشـد مايملأ قلبه سرورا أن تـكون تربيتنا الاجتماعية قائمة على الأخلاق الفاضلة أولا وقبل كل شىء ، فقد ذهب أحد المقربين اليه يوما يرجوه فى شأن شاب يطلب وظيفة وذكـر لدولته أن الشاب يحمل دبلوما وشهادات عالية ، فـكان رد الفقيد أن الدبلومات والشهادات العـاليه مهما كثرت ومهما تنوعت ، لاتـكفى للأقناع بعظمة صاحبها مالم تقترن بالأخـلاق الـكريمة . ان الشهادات العلمية ينالها الشاب المجتهد من المدرسة أو الجامعة ، أما الأخـــلاق فنعمة أو هبة لاتتوفر لـكل انسان ، حدثنى اذن عن اخـــلاقه قبل أن تحدثنى عن شهاداته وعن عنـاوينه وألقابه الرسمية . هذا ما كان يزن به الفقيد الرجال

وشهـد رحمـه الله وهو رئيس للوزارة جنـديا يدفـع امرأة عجـوزا دفعا فيه شـــدة وقسوة ليفسح لدولته الطريق . فأمر سائقه بالوقوف والتفت الى الجندى يؤنبه على القسوة قائلا لو عامل أحد زملائك والدتك هذه المعـاملة الخشنة فماذا يـكون شـــعورك ؟ ومضى يسدى اليه النصح فى الرفق بالضعفاء والجندى فى دهشة ورعب

أما الدهشة فمن سعة صدر الرئيس . ومن تواضعه الذى سمح له بأن يناقش جنديا يعامل من غيره بالغطرسة وأما الرعب فمن أن يناله عقاب شديد من الرئيس لـكن الرجـل الذى أكرم ضعف العجوز أكرم ضعف الجنـدى ، فاكتفى من العقاب بالعتاب وآثر على الزجر والوعيد النصح والتسديد .

ودعا دولته أعضاء الوفود العربية فى نزهة الى القناطر الخيرية وركب سيارته فى طريقه الى مرسى الباخرة التى تقل المدعوين . وكان الموعد قد أزف فاسرع

السائق فى السير واتفق أن كانت الاشارة مانعة فوقف السائق مدة غير قصيرة فسأله أحد المقربين اليه وكان جالسا بجواره . لماذا لا يستخدم السائق آلة التنبيه حتى يلاحظ الشرطى أن سيارة رئيس الوزارة واقفة فيعمل على الاسراع فى فتح الطريق لرئيس الوزراء .

فرد عليه رحمه الله بأنه خاضع لأوامر رجال المرور . وأن السائق لا يلفت نظر رجال المرور تنفيذا لأوامره لأن سيارته يجب أن تكون كأية سيارة أخرى

وهكذا يتجلى أحمد ماهر فى سياسة الأمور ، ويضرب المثل العالى فى السياسة والحكم . فما ثأر من أحد قط ، بل كان رمزا للأخلاق السمحة ، تحلى بأفضل ما وهب الانسان من رجاحة العقل وسمو الخلق .

* * *

سيدى الرئيس العظيم ، والشهيد الكريم . لئن خلا من ميدان السياسة المصرية رجل ، وسقط فى الجهاد الوطنى بطل ، فقد خسرت مصر بوفاتك خسارة فادحة لن تعوض بحال .

ومصر التى أحببتها ، وجاهدت من أجلها ، ووهبت حياتك لها ، وأهدر دمك فى سبيلها . لو رأيتها وقد أخذتها الفاجعة ونزلت بها النازلة . ورأيت الفاروق ، ملك مصر العظيم وهو فى منزلك يصعد الى الطابق العلوى ليلقى نظرة الوداع على أكبر وزرائه الذى مات فى ساحة الجهاد مخلصا لبلاده ومليكه .

لو رأيت مصر وقد خرجت يوم وداعك ، ويوم تشييعك الى مقرك الاخير وهى تبكيك على اختلاف أحزابها وطوائفها ، شبابها وشيوخها ، فتيانها وفتياتها ، وقد صرعهم الحزن ، لحق لك أن تنام مطمئنا إلى مضجعك فى دار الخلد فى طلائع الزعماء والشهداء .

بلى ! يا سيدى ! ستبقى أبد الدهر تبكيك أمتك ، وسوف تذكر مصر أحمد ماهر كلما تألب عليها جيش الكارثات ونزلت بها الأزمات . وسوف تذكر مصر

عملك السافر والمستور لها ولأبنائها وجاراتها ومع هؤلاء ، للناس والانسانية السامية . ذاكرة فضلك وجهادك ومبادئك وتعاليمك الرفيعة التى غرستها فى الملايين من أهل وطنك وشباب أمتك .

ولئن فنى جسمك فان روحك الطاهرة ما زالت ترفرف فى سماء مصر تستمد منها الهدى والسير على منوالك .

وما مات من اسمه مدى الحياة يذكر .

أيها الشهيد الكريم : نم هادئا مطمئنا ، فقد أديت لوطنك ما وجب عليك نم قرير العين ملىء الجفون ، فقد أرضيت ربك وأمتك ، ولسوف يعطيك ربك فترضى ، نم فى مثواك الأخير ، وفى جنات النعيم ، وسلام عليك يوم ولدت ويوم مت ، ويوم تبعث حيا مع المجاهدين والشهداء والصديقين وحسن أولئك رفيقا ؟

محمد ابراهيم ابو رواع

الفـــــــــــــــاروق

« لدولة أحمد ماهر فى عيد الميلاد الملكى السعيد فى ١١ فبراير سنة ١٩٤٥ »

مواطنى الأعزاء :

أحيي فيكم ذلك الشعور الفياض البهيج الذى يسود الأفراد والجماعات فى يوم العيد - عيد الفاروق - لا زال عهده ناضرا وعصره مزدهرا وعدله شاملا

وفى الحق أن أيام الفاروق كلها أعياد للوطن وللمصريين بما يسديه جلالته من الكلف بشؤون أمته والحرص البالغ على تعهد مرافقها فليس كشله بالأمة أرحم ولا عليها أعطف .

نعم ان أيام الفاروق لأعياد متصلة بيدأن بينهما عيداً أغر ويوما ولا كالأيام ذلك هو اليوم الأول الذى طلعت شمسه على مصر ومعها طلعة الفاروق تبشر المصريين برحمة من الله وفضل فى زمان كانت البلادمن أقصاها الى أقصاها تهتز بالأحداث الجسام وتتطلع إلى مستقبلها فى تلهف وخوف ورجاء

ولقد كان أمر الله قدرا مقدورا فمنذ أن اضطرمت النهضة المصرية طلبا للحرية والاستقلال وكلما كتبت الأمة فى صحفها الأولى سطورا من البطولة والفداء والصبر والثبات كانت الأقدار تهيىء للبلاد فى شخص المولود الجديد ذلك الأمل الذى طال انتظاره وتعدبه لمصر رجاءها الذى انعقدت عليه الضمائر وأقسمت الأمة لتبلغنه وان عظم الجهاد وان اشتدت الخطوب .

فلما أذن الله أن يبارك النهضة وأن يحفها بتوفيقه نشأ معها الفاروق أعزه الله وأطلعه فى سماء مصر نورا وهدى للمجاهدين الصابرين فما زال يتألق وينمو وآمال الأمة تربو وتعلو حتى أتم الله نعمته على مصر وعلى الفاروق فكان رب تاجها وصاحب عرشها فى يوم الاعتراف بالاستقلال الذى طوت فيه عهدا وقطعت مرحلة لكى تستقبل عهودا وتقطع مراحل أخرى فى سبيل استقلالها . واعداد مكانتها بين الأمم والشعوب . ولكى تبث فى النهضة من روح الفاروق الوثاب مايكفل لها الاستمرار والازدهار والأثمار . ويدفع عن طريقها المعوقين والقاعدين فلا بقاء لأمة ليس لها من نفسها ولا من أخلاق بنيها عدة موفورة وسياج حصين .

مواطنى الاعزاء

لقد اجتمعت فى الفاروق كل الصفات والمعانى السامية التى تمخضت بها النهضة المصرية وقامت لأجلها الثورة الوطنية فقدسواه الله كما كان يسوى النهوض المصرى ، أحسن تسويته ثم نفخ فيه من روحه الزكى العالى فجاء خلاصة نهضة وثمرة جهاد — وطنية جياشة فى برأة نفس وبسالة قلب وعزم ومضاء فى سلامة صدر وثقة بالله . وهذا — لعمر الحق — هو الاقتران السعيد بين النهضة المصرية وبين ميلاد الفاروق وهو الذى جعل الأمة على ثقة بمستقبلها فى عهده النضير كما هى فى اخلاصها لمليكها لعلى ثقة من امرها . ويقين من شأنها تنطوى له جوانحه على معان عالية هى فوق مايعرفه الناس من حب واخلاص ذلك لأن القاروق صنو نهضتها والحفيظ على أمانتها والقائم على أمرها وأنها لتراه من فرط عنايته بها واكتراثه لها لا يعرف راحة الفراغ وانما يعرف أن أمته قد أحلته من قلبها أشرف منزل وأعز مكان ، فهو يهب لها نفسه ووقته ويقف عليها جهوده الموفقة ولايستقر إلا ريثما يفكر فى أمرها ورفعة شأنها وعزة بنيها

وفى ختام العام السالف من حياته السعيدة — توج — حفظه الله وأبقاه — أعماله بالزيارة الكريمة الموفقة لقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم . وتقابل مع عاهل الجزيرة . وفى ذلك مايكفل توثيق العلاقات بين الأمم العربية

وما أدرى — حفظ الله المليك — بأى الأمرين هو أعظم تاريخا وأجل شأنا أمبراته الانسانية أم رعايته الملوكية فلقد كرم به معنى الانسانية كما سمت به صفات الملوك

مواطنى الاعزاء

ان نعم الله على البلاد لعظيمة سابغة وأن الشكر عليها لفرض محتوم وأن الأمة — بفضل ما اختص الله به الفاروق — لواصلة الى تبوىء مكانها الحق بين الأمم ان شاء الله

ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم

عاشت مصر وعاش الملك

الدستور

« نشر هذا المقال فى ٢٣ أبريل سنه ١٩٣٥ بجريدة الكوكب »

لندع حديث مصارع العجزة الذين استكبروا . ونهاية المسلطين الذين اندحروا فقد باؤا بمقت من الله والناس فان هناك ناحية أخرى يجمل فيها الحديث لانها تتصل بسلطة الأمة وترتبط بحياة الشعب

ان خمسة أعوام انقضت الآن والأمة فى حرمان من التمتع بسلطتها ممنوعة من مباشرة شئونها بذاتها . ولا يمكن أن يعد الزمان العارض الذى قام فيه دستور مصنوع لم تقره . فترة دستورية توفرت فيها مميزات الحياة النيابية وخواصها وإنما كانت فترة لتمثيل الرواية ، وإيجاد صورة هيكلية واصطناع أدوات وأشياء ليس فيها حياة ، حتى لقد اعترف واضع النظام ذاته أنه جاء ببسطاء يسهل التأثير فيهم ، واستعانوا بسذج من الريف نزلوا على الأمر الواقع فى غير نزوع الى مقاومة أو اعتراض ، خمسة أعوام انقضت والشعب ظامىء الى استرداد حياته النيابية ، لأنه لا يمكن أن يعيش بغيرها ، ولا يطمئن الى نظام خال منها ، ولا يتحول عن طلبها الا ما حيل بينه وبينها ، فقد عرف بها كيف يحتفظ بقوته ، ويحكم فى شئونه بحسب مشيئته ، وان كل الوسائل التى يلجأ اليها لنقص حقوقه فيها والعدوان على سلطته المقررة بها ، من المحال أن تنجح ما دام ضميره قد بقى سليما وأساسه نحو دستوره قويا لا تنا له المحاولة بسوء .

الأمة مصدر السلطات ، هكذا يقين الشعب وانه ليقين ملموس فى الدم وهكذا آمنت الأمة بعد الثورة ، وانه لايمان اختلط مع النفس وسرى مع الروح ، فكيف يهيأ لمن يريد أن يجرب قوته ويستدعى بطشه وجبروته ، السبيل لمحو ذلك اليقين ، وكيف يتسنى له ازالة ذلك الايمان . ان شعبا خاض ثورة . وجاز محنا ومكاره ، وتقلبت عليه غير وعهود جائرة طاغية ، ثم لم يتمتع بكل ما كابده أن يظل محتفظا بروحه المعنوى صائنا قدسية وحدته لا يمكن أن يتنازل عن حق أخذه أخذا ولم يمنحه منحة ولم يوهب له هبة . ويستحيل أن تفتر عزيمته فى سبيل

استعداد ما يعتقده والجهاد لتحقيق ما يصبو اليه وإلا هانت اذن عليه الضحايا التى بذلت وصغرت فى عينيه أقدار الشهداء الذين اكتسب بزكى دمائهم الدستور المقدس الذى روى بالمهج، والحكم النيابى الذى اختبره فوجده أصلح أداة ، وأبرز له نبوغا سياسيا كان موضع اعجاب .

لم يعد من شك بعد الحوادث التى تعددت ، ان فى مصر أمة لا تطيق البقاء من غير برلمان من حر انتخابها وصفوة ممثليها والوكلاء الصادقين عنها حتى ولو قام حكم حسن يبيح الحريات جميعها . وتولت الأمر ادارة نزيهه تدفع الظلم وتقيم العدل والتساوى بين الناس .

واذا كان المصريون قد لبثوا هذه الأشهر الأخيرة يؤيدون حكومة نسيم باشا ويصبرون عليها بدافع الاطمئنان الى حسن نيتها وثقة شخصية بها فقد كان ذلك استفتاء محضا لا يمكن تقدير قيمته وانتظار تكاد تعد ساعاته وأيامه عدا ، ومافاز رجل من المصريين رضوا أن يحكمهم لباعث الاطمئنان اليه بمثل مافازبه نسيم باشا هذه الفترة التى انقضت على حكمه

واذا فرغ هو الى تأدية حق الشعب ونهض ممثلا نشطا لرد الأمانة التى فى ذمته ، فما كان ذلك منه إلا عرفانا لمبلغ لهفة الشعب على استعادة حقه ، وشعورا بدرجة المسئولية الجسيمة التى رضى لنفسه أن يحملها حتى حين .

الدستور نعمة والشعب قد حفظها ، والحكم النيابى خير والأمة قد دللت على استحقاقها له ، وأثبتت مبلغ دفاعها عنه ، وقوة اصرارها على أن تستبدل عنه شيئا ، ويكفى أن تزف الصحف اليها فى هذين اليومين بشير عودته وقرب استرداده فنسرى فى نفسها حاسة فرح عامة ، ويختلج شعورها اختلاجا وينهض فيها سريعا حتى لقد نسيت خصومها الذين ضلت نهايتهم ، وفاق سرورها بقرب عودة الحياة النيابية جذلها بسوء عاقبتهم وشناعة مصيرهم فقد مات هؤلاء فى تقديرها لتكون لها هى الحياة التى حاربت من أجلها واصطدمت بالطغاة فى سبيلها وقارعت الخطوب الشدائد ليسلم لها الدستور الذى اعتدى عليه وتعود اليها الرقابة على الحكم فتكون هى المحكومة والحاكمة ، والمأمورة والآمرة

والمصدر والمنتهى والمرجع الذى يملى ارادته .

فاذا هى اليوم قد فرحت بهذا النبأ وطابت خاطرا فان ذهنها اليـــوم يهفو نحو الذين استشهدوا عقب وأده ، وقيام الدستور المصنوع من بعده ، أولئك الذين طاح الموت بهم فى المنصورة ودكرنس والزقازيق والاسكندرية والقاهرة أولئك الذين سالت دماؤهم برصاص النظام البائد وناره واستبدلوا المنايا لأن الدستور المقدس يجب أن تكون له الحياة .

اليوم تزدحم ذاكرة الشـــعب بحوادث ومعارك دامية ، وعذاب مختلف الألوان وجموع فى السجون ، ومصائب ونكبات فى الثمرات والبنين ، ويفتتح سجل أربعة اعوام لم ينس المصريون فى يوم من أيامها دستورهم الذى غير قلبه والحكم النيابى الذى عطل ليقـــوم فى موضعه حكم صورى زائف أبته مصر أشد الإباء

ان الايام القليلة الباقية التى ستتقدم عودة الدستور تمضى على الشعوب وهى فى أشـــد القلق والانتظار فخير أن تكون الفترة أقصر مايمكن لتتم الطمأنينة وتقر النفوس

الديمقراطية وصلاحيتها

« للشهيد العظيم فى ٣٠ مارس سنة ١٩٣٥ فى جريدة الكوكب »

فى حديث للرئيس مازاريك بمناسبة الاحتفال ببلوغه الثامنة والخمسين قال ردا على التهنئات التى وجهت اليه من البرلمان التشكوسلوفاكى انه متمتع الآن كما كان دائما بأن الديمقراطية هى النوع الأوحد من الحكم الذى يناسب التشكوسلوفاكيين كأمة ويلائمهم كدولة .

« ان الديمقراطية لا تخلو من عيوب كما أنها تحتوى أشياء كثيرة تقتضى التحسين والتوسيع ولكن النجاح جاء مكفولا مضمونا بفضل النية الحسنه والرغبة السليمة الصالحة ونحن اليوم واجدون أنفسنا فى قلب أوربا ومركزنا هذا يفرض علينا واجبات ومهمات معينة ويوجب علينا عنايتنا بأمورنا دون العمل على تقليد غيرنا أو محاكاة الآخرين وكل دولة فى أوروبا تحل مشاكلها على طريقتها الخاصة ووفق ما تراه أحسن الوسائل لحلها فلا ينبغى لنا أن نتخذ لأنفسنا دور المعلم لسوانا وإنما علينا أن نجاهد فى سبيل تحسين أحوالنا وشئوننا وتعزيز الأحوال السياسية والاقتصاديه فى أوربا ويجب أن تكون سياستنا الداخلية ديموقراطية فى أتم معانى هذه الكلمة وأوفى دلائلها » .

وعلى هذا النحو يؤكد الرئيس مازاريك ايمانه بالديمقراطية ذلك الايمان الذى صحبه طوال حياته ولكنه بتلك الروح العميقة من الريا لزم أو احترام الواقع لايدعى أن الديمقراطية قد بلغت حدود الكمال الى الآن وانما يقول انه فى الامكان تهذيبها وتحسينها ببذل الجهود الصادقة وبالعدول عن التمسك الشديد أو الالتزام المطلق للصيغ والاشكال القديمة اذ يجب ألا تتعرض المبادىء الديمقراطية لخطر التجارب التى تمس القواعد والأصول .

وقد وقف المستر بلدوين فى مجلس العموم بعد خمسة أيام من ذلك الحديث الذى تحدث به الرئيس مازاريك فى بلاده فقال ان العالم لم يكن فى يوم من الأيام أبعد من السلامة والملاءمه للديمقراطية منه فى الوقت الحاضر فان

الديمقراطية مهددة أحيانا من الخارج وأحيانا منها فى ذاتها كما أنها أشق وأصعب أنواع الحكم على الاطلاق .

واليك ما قاله فى هذا الصدد « ان الحكم الديمقراطى لا يمكن أن يؤدى وظائفه الا اذا كان جميع أفراد الشعب عقلاء راجحين يفكرون وينتهون من تفكيرهم الى نتائج حكيمة ثابتة فلا تؤثر فيهم الدعايات ولا تحفل ارادتهم بالمؤامرات ولا يستسلمون للعاطفة » .

ويعتقد المستر بلدوين فى أعماق قلبه أن انجلترا آخر بلد فى العالم يطوى علم الديمقراطية أو يعمل على اسقاطها وفشلها بأى حال من الأحوال ،

هذا ما نقلته صحيفة الغازت من أقوال الرئيس مازاريك وبلدوين وقد عقبت عليه قائلة « ان العالم اليوم حقا لم يعد مكانا سليما صالحا للديمقراطية وان انتصارا الذى يؤمن به من هذان الزعيمان هو وحده الذى يزيل الخطر عنها ويجعل العالم المكان الآمن السالم لحكم الشعوب بنفسها »

وليس فى الاعتراف بأن للحكم الديمقراطى عيوبا ، ما يضره أو يقلل من قيمته فان الكمال المطلق غير موجود وانما يبلغ النظام من الكمال هو أمر نسبى مرده الى المقارنة والموازنة ويكفى الديمقراطية فضلا أنه لم يظهر الى اليوم ما يقطع أحد أنه أفضل منها وأدنى الى الكمال على الرغم مما تحوى من العيوب وموضع الانتقاد أن بعض ما يعاب على النظام الديمقراطى هو أنه قابل كما يشير مستر بلدوين الى الدعاية والأغراق والغلو وحماسة العاطفة ولكن لا شك فى أن هذا العيب على ما فيه لا يزال ينطوى على ما يفاده ويخفف من ضرره وانه يكشف عن خط السير ويعين الاتجاه الصالح ويقيم ضابطا أو علامة تدل على الوجهة القومية .

ان الأساس فى نظام الدولة هو أن يتحمل الأفراد لفائدة المجموع، ولكن يجب أولا أن يثبت أن ما يتحملونه هو فعلا لهذه الفائدة ومن هنا كان الذين يدفعون هم الذين يقررون ذلك وهذا هو أساس النظام الديمقراطى وجوهره .

غير أن الصعوبة القائمة فى سبيل الحصول على رأى الأفراد فى تحمل

نصيبهم المشترك لفائدة المجموع هى من وجهة استحالة مساهمة الجميع فى هذا التقرير وهذا هو ماقتضى التمثيل النيابى واستوجب التمثيل اجراء الانتخاب العام.

وقد جرى النظام الديمقراطى فى الانتخاب على الدعاية ، ومن ثم شوهد أن هذه الدعاية تجنح الى الغلو والاسراف فى الوعود واستحالة تنفيذها جميعا ، ولكن الذى يخفف من أضرار هذا الغلو انه كما قلت يقوم بمثابة علامة مميزة لخط السير وانه اذا لم يكن كل ما وعد به ممكنا فان وجود هذا الضابط الموجه للعمل والمؤدى الى سياسة معينة يزيل بعض هذه المضار . . .

ويأخذون على النظام الديموقراطى أيضا فيما يأخذونه عليه من العيوب أن للناخبين ذوى النفوذ دالة على الشخص الذى انتخبوه فهم عادة يطالبونه بقضاء مصالح خاصة ولكن هذا العيب قد عولج ولا يزال يعالج من ناحية تغيير قوانين الانتخاب حتى يكون النائب ممثلا لكل البلاد فعلا أو لمنطقة واسعة على الأقل لا لجهة محدودة معينة

وهم يعيبون الديموقراطية أيضا بالبطء فى تصريف الاعمال واصدار القرارات ولكن هذا البطء على علاته يجد مضاداً ينفى الضرر منه وهو أن الأموال العامة لاتنفق من الدولة إلا بعد الرقابه الوثيقة والفحص الدقيق كما أدركوا على النظام النيابى أنه يجنح الى الاستعانة فى الدول بأشخاص غير مختصين أو غير فنيين تحت تأثير لاعتبار السياسى وتقديمه على الكفاية ولكن ذلك التوزيع بلا شك أهون وأقل ضررا إن صح وأكثر رحمة من جنوح النظام الآخر كالدكتاتورية إلى وضع جميع شئون الدولة فى يد فرد واحد هو الحاكم المطلق الذى يستبد بالأمر دون الجميع .

هذه هى بعض العيوب التى تدرك على الديموقراطية والذين يشكون الآن فى أوروبا وغيرها من هذا النظام انما يشكون بعد أن تعاظمت تلك العيوب ونمت بمضى عشرات السنين على تمتع بلادهم بالنظم الديموقراطية

أما نحن فلا نزال فى بداية حياتنا الشعبية وأمامنا المدى واسع لتدعيمها والعمل على صيانتها من هذه العيوب ، إذ بقليل من العناية والسهر على النظام

AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO
LIBRARY

الدستورى وتوخى سلامته والحرص على جوهره والاستفادة من تجارب غيرنا وما أظهرت من العيوب والمساوىء عند سوانا لا يصعب علينا أن نطهر الديموقراطية من هذا الذى أصبح محل الشكوى فى البلاد الأخرى وموضع الانتقاد

ان مركزنا من هذه الناحية هو لا ريب أسلم من غيره وأنقى للعيوب وأبعد من مصرة الغلو والاغراق التى لوحظت فى النظم الدستورية عند الأمم الأخرى إذ بالنظر الى أن تسوية مركزنا مع انجلترا لم تتم فان الانتخابات عندنا تدور دائما على أساس التمسك بالأمانى القومية وحقوق البلاد واستقلالها

وقد كان ذلك باعثا للأمة فى تأييد الوفد فى كل الانتخابات الحرة التى جرت فى البلاد وايثار مرشحيه على سواهم بفضل الثقة الغالية المكينة التى وضعتها الأمة فى وفدها الأمين وللاخلاص الذى يتوجهون به فى جهادهم وسعيهم نحو تحقيق القضية العامة وللولاء والوفاء والنزاهة والغيرة التى يتصف بها مرشحوه الوطنيون الامناء على حقوق البلاد

ان الحكم الديموقراطى هو اذن الحكم السليم فى مصر بل الحكم المأمون الوثيق الذى يبرز اجماع الامة ازاء قضيتها الوطنية فى أصدق مظهر وأبلغ صورة وهو المرآة التى تصور رغبة الامة فى العمل والجهاد والحرية والاستقلال .

أن ايماننا بالديموقراطية عميق وهو كل يوم يزداد تمكنا من قلوبنا بسبب ما تتعرض ديمقراطيتنا له من خطر السياسات المناوئة والمكائد التى تحاك لها فى الظلام .

زعامة الشعب

« فى ٢٢ أغسطس سنة ١٩٣٥ للدكتور أحمد ماهر »

لسنا أول أمة سارت وراء زعيم واتبعت أمامة وطنية وألقت زمام قيادتها لمن يمشى بها إلى التضحية والجهاد والنصر ولكن كذلك كانت جميع الحركات الوطنية فى التاريخ وهكذا كان جهاد الشعب فى طريق الحرية والأستقلال. إذما من أمة ابتغت بلوغ مكانها بين الأمم الحرة والخلاص من نير حزب عليها أو سلطان أجنبى حاول استعبادها الا اذا كان نجاح حركاتها وفوزها ببغيتها راجعين الى قوة زعامتها وفضل قيادتها ومبلغ استجابتها للنضال والجهاد فى هذا السبيل.

وقد يسأل الناس ما سر الزعامة وكيف توجد وما هى العوامل التى تجتمع لتكوينها فاذا هذا هو السؤال الحائر دائما على الشفاه الماثل فى الخواطر كلما عاودت الناس ذكرى زعامة خالدة تطالعهم فى كل عام أو كلما اتجهت أذهانهم الى صفات زعيمهم الذى يتولى قيادتهم ويتصدر نهضتهم فى طريق الحرية التى وطنوا النفوس على بلوغها مهما ضحوا فى سبيلها واحتملوا من مشاق وصعاب وليس لهذا السؤال من جواب ،غير أن الظروف وتطورات الأحوال وتقلبات الأيام هى التى تساعد على تكوين الرجال وتكييفهم وتهيئتهم للمهمة الخطيرة التى تتصل بزعامة الأمم وهذه الظروف تمر بكل انسان وليس كل الناس بمستطيعين أن يكونوا فى الأمم زعماء وانما الظروف وحدها لا تكفى فى ايجاد العظيم الذى تطلبه الساعة ويحتاج الأمر اليه، اذ لابد من توافر صفات كثيرة فيمن قدر له أن يتولى هذا المكان من الشعوب ويحتل هذا الموضع الرفيع فى صدر الجماعات .

على أن صفات الرجل العظيم وعقليته ومزاياه ذاتها تتطور هى كذلك وتتأثر بالحوادث التى تمر بها وبالجو الذى يعيش فيه وبالوسط الذى يكتنفه حتى يتم التفاعل بين أثر العوامل الخارجية وبين تكوينه الداخلى وينتهى أخيرا الى الامتزاج الكلى بين الفرد المطلوب وبين عصره ومقتضيات وجوده فيبرز الزعيم المنتظر غازيا القلوب محتلا الأفئدة متقدما الجموع ، الى طريق المثل الأعلى

والغرض المنشود لأن ذلك الامتزاج من شأنه أن يظهر مواهبه ويجلو صفاته ويبدى كوامن استعداده ثم يكفى انبثاق الشرارة الأولى أوحدوث الهزة البسيطة ليجعله يتقدم من نفسه أو توجه الأنظار جميعا اليه فيتولى الزعامة ويضطلع بتلك المهمة الشاقة الكثيرة التكاليف التى تقتضيه بذل نفسه والتضحية بكل شىء حتى بحياته فى سبيل ما يرى أو يعتقد أن من واجبه القيام به وكلما صعبت المهمة وحفت به المكاره كان ذلك حافزا لظهور الصفات الكامنة فيه وبروزها بل قد يؤدى ذلك الى خلقها وتكوينها من جديد .

وحتى يتيسر للزعامة أن تؤدى رسالتها وتحقق غايتها ينبغى أن يشعر الزعيم بكامل الثقة والتأييد له واجتماع المحبة والولاء والاحترام لشخصه فى سائر النفوس وأعماق القلوب ، اذ لا غناء للزعامة عن الثقة بها كما لا غناء للحركات الوطنية عن الزعامة الحازمة القوية الشديدة العزم الحاضرة الارادة العظيمة اليقين والا انقرضت الحركة واندثر أمرها ولم يثمر الجهاد ثمرته وقد تنقلب الحال الى منازعات داخلية بالغة الضرر سيئة العاقبة وخلافات تؤدى حتما الى التفتك والانحلال فى حين يجب العمل أبداً على زيادة التضامن وتقوية الجبهة وتوحيد الصفوف ، واذا كان هذا هو كله ما يبرز الزعيم فى النهضات القومية فقد اجتمع وتوافر فى زعامة المغفور له سعد باشا زغلول فقد اشترك فى الثورة العرابية وحوكم من أجلها وحضر جمال الدين الأفغانى واتصل به الامام محمد عبده ثم تألفت الجمعية التشريعية ، فكانت أول ظرف ملائم لاظهار كفاءته ومقدرته كوطنى يتكلم باسم الشعب لأنه منتخب منه وينهض فيسمع الحكومة صوت الأمة قويا رنانا يملأ البلاد بقوة بيانه وسحر منطقه وعلى قصر أجل تلك الجمعية ومدى انعقادها كانت الموطن الأول لمولد زعامته وتجربة استعداده للغد وما قدرت العناية الالهية له من مكان فى الشعب بلغ حد التقديس ، ثم كان بعد ذلك نشوب الحرب العظمى ومسلك الانجليز خلال أعوامها والمظالم الصارخة التى ارتكبت فى أثنائها فان ذلك كله كان يعد الأمة من جهة ويعد الزعامة المطلوبة لها من جهة أخرى ، الى أن حانت الهزة الأخيرة باعلان مبادىء ويلسون فشعر سعد يومئذ

بأن الواجب يناديه وان الأمة متجهة بأنظارها اليه ، فتطلب منه أن يتقدم وهى على أتم الاستعداد لأن تؤيده وتعمل تحت لوائه وقيادته وتبذل كل رخيص وغال فى سبيل تعزيز دفاعه عن مطالبها الوطنية وقضيتها العامة .

هنالك وقعت الزعامة لسعد وأدرك الناس أن أمامهم السياسى قد ظهر وقائد نهضتهم الى الحرية برز يتقدم الى الطريق .

وكان سعد عند حسن الظن به ، وساعد كل ما امتحن به من الحوادث وما صادفه من العقبات وما تحمله من الصعاب وما تحمله من المشاق على اتمام تكوينه فكان دائما رجل الساعة والموقف ، مهما تغيرت الأحوال ومهما ابتسم الأمل أو اقتم الأفق واشتدت الحلكة وساد الظلام بل كان دائما القائد البصير الحكيم الحافظ للتوازن القابض على ناصية الأمر بحزم المشرف على الجبهة باقدام وعزم المضحى بصحته وحياته فى سبيل خدمة البلاد .

كان سعد رجلا يمثل الرجولة فى أشرف معانيها ، وأبرز عناوينها وأروع مزاياها ، وقد وجد شريكة حياته التى تضامنت معه فيما أصابه من شدائد وما تحمله من مكاره عاملا من عوامل التكوين ، أبرزت عظمته وأدت أكبر جوانب نفسه القوية وأجل نواحى زعامته . اذ ظلت بجانبه تشجعه على عمله وتملأ أفق البيت من روحها مع روحه ، ومن وطنيتها الطاهرة بجانب صلب وطنيته ، كما أن ادراكها لمواطن الخطر وبشعور الشريكة المخلصة والزوج الوفى الحنون جعلها تساعده على كشف مكامن الخطر ومواقعه ، وتعينه على الحذر منها والتغلب عليها ، وقد أعانهما معا على القيام بالواجب الوطنى وبذل كل نفسهما من أجله أن الطبيعة لم تصرفهما الى وظائف الأبوة والأمومة وانما عوضتهما احساسا مزهو الأبوة الروحية والأمومة المعنوية ، فكان سعد أبا للشعب واستحقت السيدة الجليلة العظيمة بحق لقبها العظيم « أم المصريين »

ولما مرض سعد من طول ما احتمل فى سبيل بلاده وعبء ما تولى من الزعامة وتكاليفها ، أخذ الناس ينظرون بوجل الى الساعة الرهيبة فلا تلبث محبتهم لسعد وايمانهم بقوته أن تنفى شعور الوجل وتصور لهم استحالة موته

وتقدير أنه لابد بلق لكى يتم رسالته ، بينما كان خصوم فى الداخل والخارج ينتظرون تلك الساعة ،على أمل أن تذهب ريح الأمة من أثرها وتنفض الوجدة بسببها ويتمكنوا من القضاء على الحركة الوطنية التى عزت على محاولتها طوال الأعوام وتغلبوا على كافة ما استعانوا به من الوسائل والأساليب .

ولكن الصبية التى تعدو تهيء وتمهد ، ومدرسة سعد نفسها والمعيشة فى ذات الأفق والمحيط والشعور ، والاحساس بالواجب ذاته ولكن ذلك كله كان يعد خليفة سعد ويهيء الرجل الخليق بأن يتسلم الرسالة ويتولى الامامة ويقود الأمة الى طريق الجهاد والتضحية والانتصار

فلما وقعت الكارثة وفقدت الأمة زعيمها فى جهادها وقائدها فى نهضتها اتجهت الأنظار فى الحال الى مصطفى النحاس باشا ، زميل سعد فى المنفى وساعده الأيمن فى القيادة والوفد وأدركت الأمة أنه خير من يخلف الزعيم الخالد ، وبينما كان هو يتهيب الموقف ويستعظم المهمة وعلى الأخص أنه يطلب منه أن يحرص على موضع رجل كسعد وأن يستمر على عمل رجل كسعد ويقود البلاد من بعده قيادته بينما كان ذلك هو شعوره كانت الأمة قد أدركت بثاقب بصرها وسلامة شعورها وصحيح تقديرها أنه الرجل المطلوب والقائد الذى يجب أن تسلمه زمام قيادتها وتثق به وتعتمد عليه وتركن إلى ماضيه الناصع المجيد لأنه المرآة الصادقة والعنوان الصالح للمستقبل والغد المأمول .

وكانت الحوادث والخطوب والشداء والظروف العصيبة وتطورات الأحوال التى مرت بالبلاد فى السنين التى تلت وفاة سعد عوامل قوية فى اتمام تكوين زعامة خليفته ، وأبراز كامل صفاته من صدق القول وقوة الحق والعزيمة التى لا تلين والحزم الذى لا يهن والاستخفاف بالمكاره والأمل الذى يحتقر اليأس والشجاعة التى تتقدم متغلبة على كل الصعاب والعقبات .

وقد أثبتت الأمة التى استمرت طوال السنين على تأييد زعيمها الخالد وزعيمها الذى خلفه على الزعامة غير حافلة بما لاقته من المظالم وماصادفته من المشاق وما صمدت له من الخطوب .

لقد أثبتت هذه الأمة بذلك كله للملأ بأجمعه ولخصوم البلاد فى الداخل والخارج أنها أمة جديرة بهذين الزعيمين وأنها لم تتحول عن تأييدهما كما أنهما لم يتحولا عن خدمتها والثقة بها فكان كل منهما الزعيم الجدير بأمته والقائد الوطنى الذى يفخر بها وتفخر هى به .

قوة الارادة

« فى ذكرى سعد كتب الفقيد العظيم أحمد ماهر هذا »
« المقال فى ٢٣ أغسطس سنة ١٩٣٥ »

تحدثت أمس عن سر الزعامة والعوامل التى ينبغى أن تتوافر وتتجمع لتكوينها فقلت ان الظروف وتطورات الأحوال هى التى تساعد على تكييف الرجال وتهيئتهم لها ولكنها لا تكفى وحدها فى ايجاد العظيم المطلوب للساعة والرجل القدير على تأدية رسالة الزعامة ، وانما لا بد من توفر صفات كثيرة فيمن يحتل هذا المقام الرفيع فى صدر الجماعات

واليوم قد خطر لى أن أتناول احدى الصفات البارزة التى كان لها أكبر الأثر فى تكوين سعد واعداده للساعة الرهيبة والزعامة المقدرة له والمهمة التى هيأتها الطبيعة ليؤديها فى هذه البلاد

وهذه الصفات موضع الحديث هى قوة الارادة ، فقد كان فى سعد عاملا قائما بذاته فى تكوينه وحفزه الى بلوغ القمة والطموح الى أسمى أفق ، ومن غير أن يكون الانسان قد تحدث الى سعد أو الى أحد ممن عرفوا سعدا من مبدأ حياته واختلطوا به فى مختلف مراحل عمره يستطيع أن يقطع بأنه كان رجلا ذا ارادة حديدية وعزم ثاقب ومشيئة لا تعرف ترددا ولا تراجعا .

ويكفى أن نعرف أنه بدأ دراسته كأكثر أبناء الريف فى نشأته ثم جاء الى القاهرة لطلب العلم فى الأزهر كغيره من شباب الريف أيضا ولكنه لم يشأ أن يتشبه بسواد زملائه فى مستقبل حياته بل أراد أن يكون له مركز ممتاز وأن يستخدم مواهبه الكامنة فيه واستعداده الذى كان يحس به فى أعماق نفسه فى محيط أكبر من المحيط العادى الذى بدأ فيه — يكفى أن نعرف هذا لنستدل على أول مظهر من مظاهر تلك الارادة التى برزت فيه من الشباب .

وكان تنظيم القضاء يومئذ قد بدأ على الشكل الذى نعرفه الآن فرأى سعد

الفرصة سانحة للبروز والظهور خارج محيطه الأول فاشتغل بالمحاماة ولم يلبث أن نبغ فيها نبوغا فائقا وأحرز شهرة ما زال ذكرها فى الأوساط القضائية مترددا وقد دلته فطرته وساقه المستقبل العظيم المقدر له والذى كان يحدوه اليه على أن هذا هو الطريق الى تنمية ملكاته وترقية كامن مواهبه فسلكه بإقدام متمسكا بكل المزايا التى تعتبر الآن من شروط المهنة الأولية ومقتضياتها الضرورية وان لم تكن يومئذ كذلك حتى عرف سعد بالنزاهة والترفع عن اللغو والنفور من الباطل ، وراح فى ذلك يبنى فى عمله للدفاع عن حقوق الأفراد ومصالحهم الأساس القوى المتين الذى أقام عليه عمله فى خاتمة حياته وهو الدفاع عن القضية العامة وحقوق المجاميع .

ولكن سعد أدرك أنه إذا كانت المحاماة لازمة لتكملة استعداده من ناحية البحث والتعقيب والاستنتاج والاستقراء فان لهـــا لازمة خاصة هى النظر الى مصلحة جانب واحد، وكأنى أحس سعدا وهو يتألم من هذا الموقف مما جعله يقبل الانتقال الى سلك القضاء حيث يفصل فى الحقوق والمصالح من جانبها غير ناظر الا الى ما يوجبه فحص العدل ومجرد الانصاف

وعلى فرط تفوق سعد ونبوغه وظهور شدة عارضته وقوة منطقه بعد أن ظهرت قوة جدله فى المحاماة وعلى الرغم من وصوله الى هذا المركز الممتاز لم ير سعد الاكتفاء به، بل أراد أن يتخذ مما اعتقده الناس رغبة منه فى مساواة غيره من زملائه الحاصلين على أجازات القانون الرسمية وسيلة لزيادة معلوماته وتوسيع الدائرة التى يمكن أن يجول فيهـا ، فعمد وقد جاوز الأربعين إلى درس اللغة الفرنسية ومراجعة أمهات كتب القانون بها ولم يأنف أن يتقدم كطالب إلى الامتحان فنال شهادة الحقوق بين دهشة الأساتذة الممتحنين واعجابهم اذ كانوا لا يجدون فى اجابته استظهارا فقط ومعرفة لآراء المتفقهين والمؤلفين والشراح بل كانوا يشعرون بأنه أمام رأى خاص وحيال مشروع يوازى بين الآراء المختلفة ويختار منها ويحور فيها ويقترح ما يراه متمما لازمالها فيضع طابعه الخاص عليها .

هذه ولا شك صورة ناطقة ومظهر بارز لقوة ارادة سعد وعظيم مقدرته

على التحكم فى نفسه وهو الشرط اللازم لكى يمكن الانسان أن يسيطر على النفوس ويغزو الأفئدة ويستولى على القلوب بسلطانه العظيم .

لقد كانت تلك خطوة أخرى مهدت له السبيل للعمل فى دائرة أكثر اتساعا وأفسح مجالا ، فما لبث أن تولى وزارة المعارف حيث استطاع أن يوقف طغيان دنلوب وأن يضع أساسا طيبا لاصلاح أمر التعليم كما ظهر ان المركز الكبير لم يغير من خلقه ولم يضعف من ارادته ولذلك ترك الوزارة لأنه ابى الا أن يحافظ على حقوق المنصب ، وأن يحرص على كرامته .

وهكذا تم تكوينه واكتمل استعداده اذ جمع الى مكان قد عرف فيه من قوة الجدل وجبروت المنطق وهو محام ، ما أبرزه من مقدرته على وزن الأشياء وحسن تقديرها وتمحيصها وهو قاض ،وما اكتسبه من الكفاءة فى الادارة العليا للشئون العامة وهو وزير ، بل هكذا قد أعدسعد نفسه للمهمة الكبرى التى كانت تنتظره وتتمخض الحوادث عنها وهو العمل حرا ، فى سبيل الخير العام ، فتقدم للأنتخابات للجمعية التشريعية على خلاف ما اعتاد الذين وصلوا الى مركزه ولكنه أبى ذلك على نفسه وراح يقتحم ميدان الانتخابات ويطلب ثقة الشعب فنال تأييداً باهراً وثقة كاملة فكانت أول صورة من صور التأييد العامة والثقة المتناهية التى اجتمعت له بعد ذلك عندما دعاه الواجب وطالبته تطورات الحوادث بالتقدم للدفاع عن حقوق وطنه وحرية استقلاله .

وفى الفترة التى سبقت تلك المرحلة الى تركه الوزارة و تأليف الوفد لم يرض الا الاستزاده من معلوماته وتوسيع دائرة الأفق الذى يرسل بصره فى جوانبه فعمد الى دراسة اللغة الالمانية حتى يأخذ من ثقافتها ويرد مناهلها المتعددة .

هذه معالم الارادة القوية التى توفرت فى سعد قبل أن يكون زعيما فلما بلغ الزعامة لم يعد من قوة ارادته وشدة عزمه يبالى شيئا من ألم أو عظيما من خطب أو داهما من تجربة أو محنة أو بلاء ، ولم يعد يعبأ فى خدمة بلاده صعبا ولا عقبات ولا صحة ولا دعة ولا راحة لمثل من كان فى سنه المتقدمة بل لقدرضى

أن يضحى بكل عزيز حتى بشريكة حياته، إذ قبل أن يتركها حتى وقد طلبت أن تلحق به فى منفاه وأبى الا أن تبقى فى غيابه تعمل على اتمام عمله وتشجيع أصحابه ولكى تظل المثل الحى الرفيع على التضحية الوطنية من زعيمة وزوج وسيدة . امام الارادة القوية تتلاشى الحواجز وتتيسر الصعاب . وقد عرف سعد أن يقول « أريد » فتتحقق ارادته .

حكمة

الحرية وتقديرها

« إن الحرية اذا أطلقت من عقالها وجب أن تصان من كل اخلال يتوسل اليه بها حتى يقوم الفارق بين الذين يحترمونها وهى محبوسة عنهم ، فاذا ردت اليهم قدروها بميزانها ؛ وغالوا فى صيانتها ، والاحتفاظ بها ؛ وبين الذين يستكينون للشدة اذا حرموا من الحرية وفسيح مداها ، ثم يعبثون بها وينتهكون معانيها يوم ترد اليهم لتسير الحياة سيرها الطبيعى ويستعيدوا فيها الصالح وحافزها الهادى وضابطها الرشيد .

أحمد ماهر

« الشهيد فى ذكرى الزعيم سعد زغلول فى سنة ١٩٣٨ »

سعد الخالد

سداد من النصح ، وارشاد من التوجيه يزجيه حضرة صاحب المعالى الدكتور أحمد ماهر باشا رئيس الهيئة السعدية، الى عدة الوطن، وذخر البلاد : شبان مصر البواسل وفتيانها الأمجاد لمناسبة ذكرى سعد الخالدة ويومه التاريخى العظيم .

فى ٢٣ أغسطس سنة ١٩٤٠

فى مثل هذا اليوم من ثلاثة عشر عاما قضى سعد ، ومذ قضى والزمان يعمل فى الأجيال على سنته ، فى الحياة والفناء، فالذين عاصروا سعدا ، أو شهدوا جهاده أو استمعوا اليه محدثا أو خطيبا ، أو فازوا بعطفه ومحبته ، أولئك ما أغناهم عن الحديث عن سعد وعظمة سعد ، فقد عاشوا زمانه وسعدوا بمرآه وشهدوا آيات عظمته . بما يقصر دونه كل حديث .

وثمت محدثون هم الجيل الذى خلق بعد سعد . وبلغ اليوم مبلغ الشباب ، وتفتحت أمامه أكناف الحياة، أولئك ما أشد حاجتهم الى الحديث عن سعد وعظمة سعد ، وما أشد حاجتهم الى التماس المثل الأعلى من حياته وخلقه وجهاده ومن حق سعد على أصحابه ومعاصريه ، بل من حق الوطن عليهم أن ينقلوا رسالته الى الناشئين بعده ، وأن ينشروا عليهم صحيفته الخالدة، وأن يؤدوا الى الأجيال المقبلة حظها فى ميراثه العظيم .

أبنائى — اعرفوا سعدا واقرأوا له وعنه ، واستمعوا الى الحديث عن حياته وعظمته ، فليس لكم تراث أغلى ولا أعظم من تاريخ عظمائكم وما أحدثوا من أثر فى نهضة وطنكم ، واذا كنت قد سعدت بصحبته ، وفزت بنعمة الجهاد تحت لوائه ، فانى محدثكم عنه حديث العارف به . الذى تكشفت له آيات عظمته وسر مجده .

ولا عرف والله، أأحدثكم — والمحال ضيق ضنين — عن سعد الزعيم ،

سعد المجاهد ، أم سعد المضحى ، أم سعد السياسى ، أم سعد الصديق . وكل أولئك صفات برزت فيه ، وتملكت مشاعره ، وفاضت بها على من حوله من العالمين .

قاد سعد بلاده فى غمار الكفاح الى استقلالها، وعاش لأمته ووطنه ، ومضى يكافح فى سبيل ما اعتقده المثل الأعلى لحياة الانسان . وهكذا ضرب سعد المثل فيما ينبغى أن تكون عليه الحياة وما ينبغى أن تسمو اليه من معان ترخص دونها سائر الكائنات ، ولقد خيرت الأيام سعداً بين منازل الترف — وقد كانت لديه ميسرة — وبين مضارب الكفاح ، فلم يتردد فى اختيار الكفاح وجعله نبراسه طول حياته ، بل كانت له فيه لذة وهناءة .

ولقد كان سلاحه رحمه الله — الصدق والاخلاص ، والعزيمة الماضية فمضى وكأن الله قد أودع بين يديه مقدرات الأيام ، تلين له وان قست ولا يلين لها فعاش يغالبها حتى غلبها ، بل أفاض عليها من روحه فخلق حوله جيلا جديداً هو الذى تقوم اليوم عليه دعائم النهضة فى البلاد .

لو عرفتم — يا أبنائى — فى أى الظروف والمصاعب نهض سعد بالكفاح لادركتم مبلغ عظمته ، ولعرفتم ، أنه كان بين جنبيه قلب لايعرف الا أن يغالب الأقوياء ، فلقد كانت مصر ترسف فى قيود فرضها عليها الغالبون ، الذين دانت الدنيا لهم . وأقبلت الأيام عليهم ، فما أن لاحت لسعد الفرصة حتى نفر الى الدفاع عن بلاده والذود عن حقوقها والمطالبة بتحقيق أمانيها ولقد عاش حياته مؤمنا برسالته ، مؤمنا بأنه اذا أتيحت الارادة الصادقة للرسالة الصادقة فلا شك فى الفوز وادراك الآمال .

تألبت على سعد صنوف العدوان واستعملت فى حربه شتى الوسائل . فما لانت له قناة ولا ركن الى الخلود والاستكانه . وكأن تلك الصعاب كانت تشحذ عزائمه وتقوى لديه روح الجهاد ، وكان كلما اعتور صحبه تعب أو ملل يفيض عليهم من ثابت جنانه وصادق ايمانه بما يزيد مضاءهم فى سبيل الجهاد .

اتخذوا يا أبنائى من سعد مثلا فى الحياة ، وأقيموا له فى كل قلب تمثالا تلتمسون فيه كل كريم نبيل من الصفات ، فقد كان رحمه الله مصباحا أضاء لأمته السبيل الى المجد والعظمة ، وعلمها كيف يعيش أبناؤها عيش الكرماء أو يموتون موت العظماء .

رحم الله سعداً وجزاه عن أمته خير الجزاء

حرية الرأى

لانكون مستقلين حقا الا إذا شعر كل فرد منا سواء أكان نائبا أو غير نائب بأنه يتمتع بحرية الرأى ، بالتعبير عنه باللسان أو القلم كيف شاء . وأين شاء فى مجلس النواب وفى غير مجلس النواب متى كان رائده مصلحة الوطن ، فان ثورتنا الوطنية لم تقم قومتها الخطيرة إلا من أجل الحرية وللذود عن الحرية ، ومن أجل العدالة والكرامة فان الوطنية عدل وكرامة .

قوة اليقين

كوكب الشرق فى ١٣ يونية سنة ١٩٣٥ للشهيد العظيم

احتفل المسلمون فى العالم أمس بليلة مولد صاحب الشريعة الاسلامية الذى حسب توافقه مع الثانى عشر من شهر ربيع الأول وجعل هذا اليوم فى كل عام ذكرى عظيمة جليلة يحييها ملايين الخلق الذين يدينون بدين محمد عليه السلام .

وإنى كمسلم يحترم دينه بكل قوة قلبه ويؤمن به أعمق الإيمان لقرب صلة تعاليمه ومبادئه السامية من عقله وفكره، أجد راحة نفس واطمئنان قلب وسكينة وجدان فى هذه الذكرى المقدسة التى تتمثل اليوم وتعيد الى الذهن حياة نبينا الكريم، بكل ماحفلت به من مزايا البطولة وخواص النبوة وقوة الرسالة والجهاد فى إعلاء كلمة الحق ورفعة الاخلاق والمثل العالى للسلوك الانسانى والأدب النفسى وجمال الروح وصفاء الشعور

وأحسبنى لا أملك جديدا أقوله فى صفات محمد وفضائله من ناحية شخصه الجليل وخلقه السمح ، كما ليس عندى ما أزيده على ما كتبه مؤرخو السيرة النبويه وكتاب الاسلام القدماء والمحدثون فان قولا جديدا فى هذه الناحية لا يأتى بشىء ولايزال دون ماينبغى إذا ذكرت كرائم خلق النبى وسماحته ومزاياه

ولكنى كمجاهد لعقيدة طبيعية ومكافح لفكرة انسانية وجدت مع الانسان من مبدأ خليقته وهى حق الفرد والمجموع فى الاستقلال والحرية ، أحب أن أستمد من ذكرى الرسول وجهاده فى سبيل رسالته أروع درس وأبلغ عظة من هذه الوجهة التى تمثلت فيها صفاته الشخصية بأروع جلالها وتجلت فيها معانى الإيمان بالفكرة فى أبلغ صورها .

فى سيرة محمد عليه الصلاة والسلام ومسلك أصحابه فى فجر التاريخ الإسلامى أدلة ساطعة على سلطان العقيدة وقوة المثل الحسن والأسوة الصالحة ومبلغ فعل

الشجاعة وشدة الاحتمال للمكاره واحتقار عرض الحياة وزخارفها ومغرياتها وخداعها وفضل اليقين مع العزم والتضحية والارتياح الى النضال والاقدام .

قام محمد اليتيم فى صغره الفقير من نشأته الوحيد فى عزلته ، الأعزل من السلاح إلا قوة شعوره ورسالته التى تختلج بين جوانحه ومدى ايمانه الذى يتمشى فى صدره ، قام محمد فى وسط القبائل المعتزة بوثنيتها المتمسكة بما وجدت عليه آباءها وليس له من نصير يجرؤ على مهاجمة قومه معه أو يقدم على الدعوة الجديدة التى حملها محمد الى الحياة ، قام محمد فى الصحراء يدعو الناس الى دين جديد فحاربه قومه وآذوه وخذلوه وكادوا له وعذبوه وأغروه بأشد المغريات ليحملوه على ترك ماهو مناد اليه ، ولكنه ثبت واعتصم بالله وصمد للأذى ورضى العذاب والاضطهاد وجهر بتلك الكلمة الخالدة التى ظلت من بعد ، مفتاح الجهاد والعقائد والنضال الصادق للفكرة والذود المستبسل عن المبادىء وهى (لو وضعتم الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر أو أهلك دونه ما تركته) .

لقد جاهد محمد من أجل رسالته وسط قوم معتزين بدينهم عابدين لأوثانهم فلقى المكاره شجاعا وواجه الصعاب صبوراً واقتحم العقبات باذلا حياته لعقيدته فكان مسلكه الشخصى والمثل الرائع الذى تمثل فيه كافيين لاقناع القوم بالحق الذى جاء محمد يدعوهم اليه فبدأوا يدخلون فى دينه ويلتفون من حوله ويكافحون معه وينصرونه نصراً عزيزا .

ومن وسط الصحراء وثب الدين الاسلامى فغزا أقطار الارض وفتح مختلف الأمصار ولم يكن أصحاب النبى والمحاربون معه والمكافحون لدينه غير فئات قليلة وجموع ضئيلة ، لم يعرفوا غير جفوة عيش البداوة ولم يشهدوا غير الرمال الممتدة على آخر حدود البصر ، ولكنهم مالبثوا أن توافرت انتصاراتهم المتوالية على آفاق جديدة كانت فى حضارة قديمة وبلاد ارتقى فيها مستوى الحياة كثيرا عن نوع المعيشة التى كان يعيشها أولئك العرب الأبطال الذين جاءوا فاتحين لايملكون من الأسلحة غير ما كان معروفا فى الصحراء ، ولكن يملكون

مع ذلك ماهو أعز سلاحا من كل سلاح وأقوى بأسا من كل عدة وأفعل أثرا فى المعارك والميادين .

جاءوا يحملون بين جنوبهم حماسة قوية شاملة متمكنة لاتخشى الموت، لأن الجنة من ورائه ، ولاتبالى الحياة لأن الآخرة أبقى وأجدى ولاتبقى على غال أو نفيس، لأن الدين الجديد أوحى اليها أن رضوان الله أعظم وأجل من ذلك جميعا

تقدم المسلمون فى فجر الرسالة وهم فئة قليلة فاذا هى تغلب جيوشا عظيمة وتهزم كتائب منظمة وتدخل مدائن زاهرة وتفتح الأعين على عالم جديد لم تكن تتصوره، وكلما وافاها النصر فى معركة زادها قوة يقين وأكسبها مناعة ايمان وشجعها على مواصلة الجهاد واستئناف التقدم ومتابعة السير بقوة اليقين وروح الجماعة . خرج الاسلام من قلب الصحراء ليستقر فى قلب الدنيا وينتشر فى المشرق، ويمتد الى المغرب وبفضل الجهاد الصادق نجحت الرسالة وتمت ودخل الناس فى هذا الدين أفواجا

فى تاريخ محمد وأصحابه والمجاهدين معه اذن ، أكبر الأمثلة على قيمة الجهاد من أجل العقائد الصالحة وأرقى الدروس فى فضل الروح المعنوية وسلطانها، فقد علمنا الاسلام أن القوة النفسية لاتقف فى طريقها أية قوة مادية ولاتنهض دونها صعاب مهما كانت ، ولاتردها عن غايتها حوائل مهما عظمت ، لأنها يوم تواجه شيئا منها تستمد المعونة من الايمان فيعينها وتفزع الى صدق الشعور فيشد من عزماتها وتلجأ الى مواردها الروحية فتتحمل الآلام مستعذبة لها وتتقبل المكاره راضية بها، واذا مادعاها الحق الى التضحية خفت اليها باذلة كريمة مطمئنة الضمير .

واليوم وقد حلت ذكرى ميلاد النبى الكريم الذى يجتمع فى سيرته الطاهرة كل هذه الدروس القيمة والأمثلة العالية، تجدنا نحن الذين نجاهد لاستخلاص حرية بلادنا ونطالب بعودة دستورنا ، مظهر استقلالنا أمام مرحلة خطيرة وعقبات قائمة فى طريقنا، فما أحرانا أن نستمد من هذه الذكرى العظيمة تجديد القوانا المعنوية، وحافزاً نفسيا لجهادنا ومثلا ظاهرا لما يقتضى منا حبنا لوطننا وهو جزء من ايماننا وأحد تعاليم ديننا من التمسك بروح الجماعة والاعتماد على قوة اليقين .

نحن على الحق والحق قاهر، وإن تكن قوته فى مادية أسلحته وهو فائز غالب وان طال به المدى وظن الباطل أن أسلحته وقواه على حربة كافية لأن أصحاب الحق إذا ما تمسكوا ودافعوا بأرواحهم وجميع قواهم عنه فلن يغلبهم عن الباطل غالب ولن يقف فى طريقهم أى حائل، لقد كان حقا تاريخ الجهاد الاسلامى أمثلة عليا على النصر بقوة الايمان والكفاح الناجح بسلاح اليقين، أفلم يعتمد طارق بن زياد الذى هبط اسبانيا على هذه القوة الروحية فأحرق المراكب والسفن التى جاءت من الساحل الافريقى مخالفا بذلك أبسط مبادىء الفنون العسكرية وهى الاحتفاظ بطرق المواصلات وخط الرجعة، لكى يمنع المقاتلين المجاهدين معه أمام النصر أو الموت، منابا فيهم أن العدو أمامنا والبحر من ورائنا، أليس فى ذلك أروع مثال على قوة اليقين بالنجاح وتناهى الايمان بالنصر كأنه لم يكن يريد أن يتصور الرجعة لحظة حتى يحفظ خطها، بل لقد حكم بقوة شعوره وصدق يقينه بأنه لا بد واصل ولا محالة منتصر، فكان له ما أحسه وتحقق ما أيقنه وكان مسلكه هذا أرفع مثل على الروح المعنوى وسلطانه .

بهذه النفوس المؤمنة وهذه القوة النفسية الزاخرة، تنجح العقائد وتنتصر المبادىء، ومن ذكرى النبى الكريم نستمد على قوة الايمان هذه الأمثلة الرائعة .

الوحدة القومية

خطاب للدكتور ماهر فى وفود الأقاليم عن الوحدة القومية ألقاه فى البهو الفرعونى فى ٢٢ يناير سنة ١٩٣٨

أخوانى وأبنائى :

أحييكم أخلص تحية وأشكر لكم تفضلكم بالحضور لتأييدنا فى نصرة الحق وترسم خطوات زعيمنا الخالد المغفور له سعد باشا زغلول .

ويسرنى أن أذكر هنا الفرصة التى أتاحها لى من تكلم عن معهد الأسكندرية إذ أشار الى استمساكنا جميعا بمبادىء سعد والمحافظة على غرسه الوطنى غرس الحرية والوحدة القومية التى لا يعرف فيها فارق بين مسلم وقبطى .

لقد قامت الحركة الوطنية ومعجزة سعد الأولى فيها ، أن قضى على كل الفوارق الطائفية ، وإزالة كل ما صنعت أيدى التفرق من موانع بين أبناء الوطن الواحد ، حتى شهد العالم مصر بمن فيها جميعا أمة واحدة تعج بنداء واحد وترتل نشيدا واحدا هو نشيد الحرية والحياة والاستقلال ، وتحركت صفوفها صفوفا مصرية صميمة مندمجة موحدة الأمل والفؤاد ولا تعرف مسلما ولا قبطيا بل تعرف مصريين مجاهدين وأخوانا متكاتفين متعاونين مخلصين .

ولم تكن يد البطش حين تنزل بهم لتفرق بين مسلم وقبطى بل تحمل الجميع على السواء آلام الجهاد وتشرف الجميع بورود حوض التضحية فسطرت لمصر الحياة وخطت على أرض الوطن الجهاد والكفاح بين الجميع (هتافات وتصفيق حاد متصل) .

نغمة مرذولة

ومنذ عشرين عاما قضى الله على نغمة التفرق المرذولة قضاء لا رجعة فيه وبرأت الآذان من سماع هذه النغمة الناشزة الكريهة التى فوجئت بها البلاد فى خطاب النحاس باشا بالأسكندرية فكانت صيحة منكرة فزعت القلوب لا من خوف

(١) الدكتور ماهر بمكتبه فى رياسة تحرير كوكب الشرق سنة ١٩٣٤

(٢) الدكتور ماهر بمكتبه وهو فى رياسة مجلس النواب سنة ١٩٣٦

أثرها فلن تدب الحياة فيها بعد أن أماتها سعد ولكن الفزع كان من الاستخفاف بالمسئوليات والاستهانة بأقدس مبادىء الحركة الوطنية لحد أباح للنحاس باشا أن يتجر بها لكسب الأنصار فى عراكه الأخير « هتافات مختلفة » .

ولكنه سهم طائش وتجارة بائرة وخاسرة لأننا جميعا نؤمن بوحدة الأمة وصيانة حقوق جميع أبنائها على اختلاف ألوانهم فى الرأى والعقائد والديانات ونجد أساس هذه العقيدة فى ديننا الذى جعل لأخواننا ما لنا وعليهم ما علينا « هتاف وتصفيق » .

إن منكم كثير من طلبة العلم وهم أعرف الناس بتعاليم دينكم فى ذلك شهدوا معارك الاستقـــلال وتضحيات المسلمين والأقباط الذين استشهدوا وبحنوا واضطهدوا فى سبيل الوطن « هتاف وتصفيق » .

نحن الذين اشتركنا فى العهد المكتوب بدماء التضحية أحرص الناس على هذا العهد وهذا الموثق ، ونشعر بأن مليك البلاد ملك حدوب على كل أبنائه عطوف عليهم بار بهم لا يفرق فى ذلك بين مصرى ومصرى ولا بين مسلم وقبطى « هتاف وتصفيق » .

وأخيرا أريد أن أقول فى هذا المكان ان هذه النغمة المرذولة لم تعد تجد سميعا الا بين مرضى القلوب والنفعيين المضللين الذين يحل لهم الصيد فى الماء العكر ولا يعنيهم الا ما يحقق شهواتهم ومطامعهم .

أخـــوانى :

ونغمة أخرى يراد استغلالها فى هذه الأيام استغلالا غير كريم تلك هى قولهم ان مجلس النواب سيحل على أية صورة كانت الأغلبية فيه .

وهذه نغمة فاسدة لا يرضى عنها ضمير سليم وخذوا عنى أن الدستور مرعى الجانب محترم الحدود متبع الأحكام وسأقاتل كل من يخرج عن الدستور ، كما أفعل اليوم فى مناهضة وسائل النحاس باشا غير الدستورية فان رأيتمونى حدت عن الدستور وعن نصرته فقاتلونى وقاومونى « هتافات » .

ان للدستور عند جلالة الملك كفالة خير كفالة فهو محب بفطرته لشعبه محافظ بسجيته على الدستور وأعلن على ملئكم أن جلالة الملك حفظه الله قد قال لى شخصيا لما تشرفت بمقابلته « انى حريص على الدستور عامل على احترامه وأريد أن أحكم وفقا لنظامه ولا أقبل غير هذه المبادىء » تصفيق حاد وهتاف لجلالة الملك » .

أخوانى أكرر لكم شكرى وأسأل الله أن يوفقنا فى خدمة وطننا العزيز فى ظل جلالة مليكنا المحبوب فاروق الأول حفظه الله وأيد ملكه وحفظ عرشه .

« هتافات وتصفيق حاد »

المعارضة ونزاهتها

لا ضرر من حرية التعبير عما يخالج كل شخص فى أية مسألة من المسائل ولو كان من أشد المعارضين ، بل قد تكون المنفعة محققة فى أغلب الأحيان متى كانت المعارضة نزيهة لا يقصد منها غير المصلحة الوطنية .

أحمد ماهر

الشهيد الاول

فى ذكرى الشهداء فى ١٥ مارس سنة ١٩٣٥ للدكتور أحمد ماهر

فى عيد الاضحى تمثلنا ذكريات الشهداء الذين جادوا بأرواحهم فى الثورة المصرية فداء لقضية الاستقلال . وريا لشجرة الحرية وغذاء ؛ ومع تمثل الذكريات واستحضار الصور والأخيلة والتضحيات لأرفع الأمثلة ، احتفلنا بعيد الشهداء فى يوم عيد التضحية فكان المعنى مؤتلفا فى العيدين ثم اجتمع اليهما عيد الدستور فاندمج ثلاثة معان رفيعة كل منها يتصل بالآخر وجميعها مقترن بعضها ببعض أو متشابهة معا متجاورة

وكان احتفالنا بذكرى الشهداء قائما على تمجيد الفكرة نفسها وتخليد المعنى ذاته ، اذ لم يعد لأولئك الشهداء ذلك المعنى الذى يتصل بالموتى ويقترن بالهلكى الذاهبين الغابرين وانما أمسوا مثلا عاليا وقدوة روحية وفكرة بذل وتضحية وأصبح استحضار ذكراهم بالخواطر واجبا وطنيا جليلا تحيط بها قداسة خلع عليه نوع الموت الذى ماتوه وفناء فى الوطن الذى آثروه لأنفسهم وارتضوه ، مظهرا سماويا تخشع له النفوس وتخفق من أثره الأفئدة .

فى ظل هذه القداسة الدينية اعتدنا أن نحتفل بذكرى أولئك الشهداء لا عن تخيل لأن هناك حقيقة رويت بأطهر الدم وأزكاه . ولا من أجل دعاية شخصية لأن الوطنية لا تتجر بالدماء ، فمن التحقير فى حق أقدس الأمثلة العليا ومن أبلغ الاساءة لجلال الفداء ، وهيبة معانى التضحية أن يقال شىء كهذا بصدد احتفالنا بذكريات الذين كانوا أفضل منا ، فظفروا بالشهادة التى عز علينا أن نظفر بها فبقينا بعد الثورة أحياء وذهبوا هم من أجلنا فى سبيل الوطن شهداء .

وليس فى جهلنا مدافن أولئك الذين ضحوا بأرواحهم فى سبيل وطنهم . ومثوى الذين راحوا ضحايا صامتة ما يصح أن يدرك علينا كنقص فى حق وجلال

الشهادة أو تهوين من أقدار المستشهدين ، فهكذا كان الشأن فى جميع الثورات الوطنية إذ ذهب ضحاياها معمرين بالخلود عامة ،وان جهلت الانسانية أشخاصهم ولم تعد تعرف أسماءهم وألقابهم ولم تستطع الاهتداء الى مساكنهم فى مدائن الموتى وأحياء الغابرين .

كانت ثورة قومية فى التاريخ اقتضت ضحايا واستوجبت من المهج والنفوس ريا وغذاء ، وكان العامل الاكبر المغذى لها الراوى لشجرها هو الفرد المجهول ذلك الفرد الصبور الشجاع الذى يثبت على الألم ويتقدم الى التضحيـــة بالذات وينبعث من حرارة مشاعره وتفانيه فى بلاده دون أن يتردد لحظة للتفكير فى مصيره ، والتخويف على حياته، بل يذهب بالتلاشى فى وطنه غير حافل بما قد يتعرض له وعالم الى أين هو ذاهب .

كذلك قضى فى الوطنية التى حفظ التاريخ قصتها ألوف من الأفراد المجهولين أحياء والذين ظلوا مجهولين وهم شهداء فلم يعب أحد على الأمم التى حدثت فيها تلك الثورات أنها لم تعرف قبور صرعاها ولم تهتد الى اجداث ضحاياها ، لأن مجد هذا الفداء انتقل الى الأمة نفسها ، وفخار تلك التضحية المجهولة الى الشعب نفسه كتراث نفسى تتغذى به الروح العامة وتعمل على الاستكثار منه بدافع الحياة والحرص على هيكل الوطن وقداسته .

ان هذا الفرد المجهول هو الذى يتألف منه المستودع النفسى الغزير الذى يمون الحركات الوطنيـة ويغذى النهضات العامة بل هو المستودع الوطنى القابل للتجديد الدائم المستورد وعلى مبلغ غزارته وتجديد موارده تتوقف المقدرة على تحمل الرحلة الى الحرية لأنها زاد المسافرين ومؤنة الرحلة الطويلة عبر المكاره والصعاب والأهوال .

واذا لم يجد الأفراد المجهولين الذين تتغذى بهم النهضات العامه قبورا قائمة ومساكن أبدية مزخرفة وأجداثا معروفة تزار فى أعياد الشهداء ويقف بها الأحياء للاستعبار والتراحم والرثاء . فما ذلك عن تهاون فى حقهم أو قلة مبالاة بجلال تضحياتهم أو اصغار من شأن فـــدائهم ولكنه إنما يأتى من طبيعة الثورات

واستحالة حصر الضحايا بأسمائها وشمول عديد الشهداء بالإحصاء الدقيق الكفيل بمعرفة شخصياتهم فى مطاوح الثورة ذاتها ووسط الثورة العامة الشاملة . ولكن التقصير المزرى بالاحياء حقا والتهاون الشنيع فى حق هؤلاء الضحايا والجحود الأثيم بفضل الشهداء الذين ماتوا فى حياة الوطن هو اغفال ذكراهم مجموعا ، إذا لم يتيسر ذكرهم أحادا وفرادى فان اهمال هذا نحو الفكرة التى استحالوا اليها ، والمعنى الخالد الذى يتمثل فى الحياة من نوع الموت الذى اختطفهم هو الجريمة العظمى فى حقهم وحق الحياة نفسها وهى جريمة لم نشاهد شعبا فى العالم سولت له نفسه اقترافها ، لأن الشعوب تأبى أن تذكر ماضيها على هذه الصورة من الجحود والنكران .

واذا نحن تمثلنا شهداء ثورتنا وضحاياها المجهولة وفديانها الصامتة فلا ينبغى أن ننسى أن نضم اليهم عديدا لا حصر له وجمعا لا يمكن تحديد عدده ، ولا يتيسر الاهتداء الى حقيقة أفراده . وهؤلاء هم الذين التهمتهم الحرب العالمية تلك الحرب التى أكرهتنا نحن المصريين على الاشتراك فيها وتحمل نصيب من مغارمها وبلاياها ، فان ألوفا من الشباب والعمال ذهبوا فى تلك الحرب بين قتلى وبين مفقودين ابتلعتهم المجزره ابتلاعا ولم يعرف أهلهم كيف كانت خاتمتهم وفى أى ناحية من الأرض ذهبوا غير مردودين .

وقد رأينا الشعوب التى ساهمت فى تلك الحرب تذهب فى تخليد ذكرى هؤلاء الشهداء الى اقامة نصب تذكارى فى أفسح ساحة من المدائن ليظل مثالهم العالى بارزا فى أشرف ما تكون الوثنيات الوطنية التى تتعبد بالروح وتذكر الشهداء فى سبيل الوطن بالخواطر والأذهان .

ونحن الى اليوم لم نصنع مثلما صنعوا ولم نقم لذكرى ضحايانا ما قد أقاموا مع أن ضحايانا لا تقتصر على شهداء الحرب وإنما تشمل ضحايا الثورة وشهداء الوطنية وفريسات الظلم والطغيان فى العهود البغيضة وأزمنة الحكم المكروهة من الأمة فاذا كان تخليد « الشهيد المجهول » يقتضى منا رمزا نقيمه ، وغيرة بارزة تذكرنا به فلنجعل لشهدائنا جميعا نصبا تذكاريا نسجل على قاعدته وأحجاره البقاع والمواطن

والأقاليم التى ينتسبون اليها ففى ذلك غناء عن بحث غير مثمر نعمد اليه لمعرفة أسمائهم ومحاولة الاهتداء الى ذويهم وأهلهم ولا نحسب بحثا كهذا ميسورا اليوم أو ممكننا أن يصل بنا الى الحقائق والدقائق المتعلقة بأولئك الشهداء .

ان تسجيل ذكراهم على هذه الصورة من شأنه أن يجعل المستودع النفسى الذى ينبعث منه روح التضحية والاستشهاد ينبوعا لا ينضب وموارد للتجديد لا تجف ما دامت النهضات العامة لا تستغنى عن الايثار ولا تزال دائما بحاجة الى التضحية وانكار الذات .

على أنه اذا لم نكن الى اليوم قد قمنا بهذا الواجب المقدس نحو شهدائنا وضحايا ثورتنا فان مرجع ذلك هو أن الرحلة الى الحرية لم تتم بعد وان جميع العناصر والعوامل التى تحاول صدنا عن الوصول الى قمتها العالمية هى التى تضع العقبات فى سبيل تنفيذ هذه الفكرة الوطنية الجليلة كما قاومتنا فى سبيل اقامة التماثيل لزعيم نهضتنا وقائد حركتنا سعد زغلول ولكن ولا شك فى أنه سيأتى قريبا اليوم الذى نحقق فيه آمالنا وأمانينا الوطنية كاملة ونتمتع بحريتنا القومية كاملة تامة .

ويومئذ يحين الوقت لتأدية هذه الفريضة الوطنية بما فى ذمتنا للشهداء من تقدير وتكريم .

حياة المجاهدين

للفقيد العظيم فى ٩ أبريل سنة ١٩٣٥ بجريدة الكوكب

فى المعركة الانتخابية التى جرت أخيرا فى ولاية دانزيج وقف الوزير النازى جوبلز على ملأ عظيم من الناخبين يتحدث اليهم فيما تريد ألمانيا النازية أن تحققه من محالفتها مع بولونيا ، وقد كان منطقه فى هذا الخطاب قويا بالغ الحماسة تعرض فيه لموقف ألمانيا ازاء فرنسا والعمل للسلام فى أوروبا فقال فى ذلك أن ألمانيا لا تبغى تهديدا ولكنها أيضا لا تتحمل وعيدا ولا تسمح بأن يتهددها أحد لأنها تبسط يدها للعالم بأسره .

هذا بعض ما جاء فى خطاب ذلك الوزير المتحمس لوطنيته ، المشتعل العاطفة بنار الغيرة على بلاده وهو كلام سياسى لا عجب فيه وليس هو موضع حديثى اليوم ، ولكن فى تلك الخطبة أيضا ناحية نفسية تصور لنا الشعور الوطنى فى أروع حالاته ، وأرهب نواحيه ، فقد استطرد الهر جوبلز بعد هذا فى حديثه الحماسى الى كلمة اقتبسها من فيلسوف ألمانيا الكبير « فردريك نيتشه » وهى ان ألمانيا تريد أن تعيش فى خطر » فان هذا التصوير الرائع للحياة المجاهدة فى وطنها هو التعبير ذاته الذى لجأ نيتشه اليه بقوله « العيش تحت الخطر » وصف للحياة العنيفة القوية المكافحة فى غير استسلام للظروف ولا جنوح الى الدعة ولا رضى بالسكون .

هذه هى الكلمة الجليلة التى ينبغى لكل أمة مجاهدة فى سبيل مبدئها أن تجعلها أبدا ماثلة أمامها فان العيش تحت الخطر يحتاج الى شجاعة عظيمة وروح العنوى زاخر لا يتأثر بالحوادث التى تأتى عكس ارادته ولا يرضخ للظروف متى تعرض ضد اتجاهه ، ولا يستكين للعوامل المناوئة التى تحاول تعويق سيره نحو غايته .

الحياة نزاع مستمر بين متفاوت القوى ، ومتباين الارادات ، ولكل فريق أسلحته ووسائله وعلى مبلغ قوة هذه الأسلحة ومتانتها وحدة نصالها تجد موقفه من العالم ويتبوأ مركزه المستحق له فى ساحة النضال والمعترك العام .

وكل من تراخى وتهاون ، واستنام لصدمات الحوادث أو أحس تخاذلا ، أمام وطأة الظروف والمفاجآت ، فقدمكانه ، أو خسر موقفه ، ومن خسره لا يمكن بسرعة أن يستعيده ، الا اذا أستبق روحه المعنوى رغم الصدمة سليما لم ينخدش وبقيت قوته النفسية جياشة فى صدره تدله على أن الصدمة ليست سوى درس نافع ، وتؤكد له أن الضربة التى لا تقتله كما يقول نيتشه نفسه لا تضره ولكن تنفعه وتجدى على حياته .

لقد فعلت ألمانيا هذا بعد كسرتها فى الحرب العظمى ، فان الضربة مع أنها كادت تكون قاضية لم تمتها ، ولكن علمتها ونفعتها ، وحركت روحها المعنوى من جديد وأكسبته المناعة عقب الصدمة الماضية ولا يزال الناس فى دهشة لا تنتهى من أمرها اليوم ، وعجب منتاه كيف نهضت هكذا سريعا وعادت تكافح بكل قواها لنستعيد شأنها السابق ومكانتها فى العالم بين أعدائها ومنافسيها الكثيرين

ولكن كلمة « جوبلز » أو حكمة « فردريك » نيتشه » وهى « ان ألمانيا تريد أن تعيش فى خطر » كل هذه السنين عقب هزيمتها الماضية ولا تزال تريد كما يقول هذا الوطنى المتحمس أن تعيش فيه حتى تحقق غايتها العليا . العيش فى خطر هو الصورة الصحيحة لحياة الجهاد الوطنى ؛ واذا كانت ألمانيا قد عاشت فيه وتود الاستمرار عليه غير حافلة للعرض لكل مكارهه وسىء احتمالاته ومجهول صدماته ومباغتاته فنحن المصريين قد عشنا أيضا عيشة خطر وصعاب وأهوال ومحن ، فى ماضينا القريب منذ اندلع فى بلادنا لهب الثورة الوطنية . . . بكل قوى شبابنا ورجولتنا ونسائنا غير مترددين أمام عيش الخطر ولا منزوين أزاء المجهول الذى لم نكن يومئذ نعرفه ولكننا لم نخشه والقوات المادية التى لا تتكافأ معه ولكن لم نبال يومئذ أن نواجهها ونثبت حيالها بكل شجاعة النفوس وايمان الأرواح .

وها نحن نستعيد ذكريات أبريل من ستة عشرة سنة ، فى الوقت الذى نقرأ فيه كلمة جوبلز عن العيش تحت الخطر ، فتكون هذه الكلمة مصادقا لصورة ماضينا التى نستعيدها اليوم وننشر صحفها المشرفة لهذه البلاد فى جهادها الوطنى العظيم .

فهل كان عندنا فى أخطر مواقف الثورة حيال القوات المسلحة المدافع السريعة الطلقات والسيارات المدرعة والكتائب الموزعة ، شىء نعتمد عليه ونؤمن به غير الروح المعنوية الروح الواقفة المؤمنة التى تقوى العزائم وتشد الأعصاب أو تنفخ فى الارادة وتسخر من المخاوف وتهزأ بأشد الأخطار .

وقد وصلت الثورة يومئذ الى آخر مداها وتغلبت على كل ما فى طريقها وأتمت هى سوطها الطبيعى ومرحلتها ، ثم بقى من بعدها الروح المعنوى الذى أظهرها على أسلحة خصومها ذلك الروح المعنوى الذى عاش فى خطر بعد الثورة كما عاش فى خلالها ،

بقى الروح المعنوى ثابتا أمام أسلوب جديد فى مقاومته ، أسلوب أخطر من الوسائل التى استعين بها على القوة نفسها ، وهو محاولة محاربتنا فى هذه الروح ذاته ، ومعالجة تهوينه واضعاف شوكته ، فازدا بهذه المقاومة الجديده عيشنا خطرا عما كان من قبل ، واستوجب استجماع كل مزايانا النفسية للوقوف فيه مكاننا والثبات على مبادئنا واليقظة الدائمة لكل ما يراد منا وتأباه وطنيتنا وتنفر منه غاضبة غير مستسلمة .

لقد عشنا فى خطر ستة عشرة سنة الى الآن وكانت الأربع الأخيرة منها أشدها تجربة ، وأقساها مرحلة ، وأعظمها أخطارا فقد تضافرت خلالها كل القوى المناوئة والعوامل المقاومة على محاولة سلبنا من روحنا المعنوية التى اذا هدأت يوما أو فترت قضى علينا القضاء الأخير ، ولكنها لم تستطع أن تؤثر فينا أو تحاول عن اتجاهنا وتخمد جذوة روحنا ، فقد جاءت هذه المرحلة الخطرة للغاية بعد أن الفنا طويلا المعيشة الخطرة واعتدنا التعرض لألوانها المختلفة ، وضروبها القاسية العنيفة . فلم تباغتنا بقسوتها ولم تصدمنا بجديد لم نشهده فى سابق

جهادنا وإنما وجدنا . . . . . ، لأنها صفة رسمية ملازمة لروحنا المعنوى نمت معها ولا تزال مع السنين نامية بالروح المعنوى ، أو الايمان المتمكن من النفوس، استطاعت . جماعات كثيرة فى التاريخ أن تتغلب على قوات أكبر منها وأكثر منها عددا وأعز نفرا ، بل بهذه الروح العظيمة التى يستند اليها الحق ما أمكن لفئات قليلة أن تنتصر على فئات عديدة وتيسر لمبادىء وعقائد وأفكار ورسالات أن تنتشر وتضىء على العالم وتغزو النفوس بسلطانها العظيم .

لقد عشنا هذه السنوات الماضية فى خطر وسنظل نعيش فيه متأهبين لكل ما يعرض لنا منه مرحبين بسائر ما يخبأ لنا فى المجهول من أنواعه وضروبه لأنه هكذا ينبغى أن نعيش وهكذا يجب على الأمم المجاهدة أن تحيا ، غير راغبة فى حياة السكون وعيش الدعة الى يوم تبلغ مرادها وتتحقق أمانيها وتصل الى غايتها السامية .

« نريد أن نعيش فى خطر . . . »

« . . . . . »

الاستقلال والمساومة

في ١١ يوليو سنة ١٩٣٥ نشر فقيد الوطن أحمد ماهر هذا المقال إبان الحرب التي نشبت ما بين ايطاليا والحبشة وموقف مصر منها .

تتحدث صحف كثيرة عن الحرب المحتملة بين ايطاليا والحبشة وماذا يكون موقف مصر تجاهها إذ هي وقعت غدا ، وواجب الزعماء وولاة الشأن نحو صيانة مصالح البلاد بالنسبة لها . كما تلوح هذه الصحف لما يظن أنه فرصة سانحة للغنم السياسي والمساومة لاجتناء كسب يجدى على البلاد من جراء هذه الحرب المنتظرة .

وقد رأيت في هذه الصحف تلميحا للمساومة وترديدا لألفاظ التقاريظ والمقايضة في أمر دقيق للغاية كهذا الذي يخاض الآن فيه وتذكره الصحف جاعلة منه مجالا للتكهن والتأويل وعديد الاحتمالات .

وقد بلغ التسامح في تناول هذا الموضوع الدقيق الى حد الذهاب الى أن موقفنا من هذه الحرب اذا وقعت وانتهزنا الفرص السوانح التي تعرضها علينا قد يؤدي بالانجليز الى تغيير اتجاههم والعدول عن معارضتهم ووقوفهم في طريق عودة الدستور والنزول على مطامعهم الاستعمارية للعودة الى المفاوضات ومحاولة تسوية القضية المصرية .

وما كنت أريد أن أتحدث في موضع الحرب واحتمالها بالنسبة لموقف الدولة المصرية منها لأني لا أحب التحدث في تكهنات وتعليلات ورجم بالغيب ، ولكني أراء ترديد كلمة المساومة في هذا المعرض ، رأيت أن أتناول الموضوع حتى يتبين المبدأ الذي ينبغي أن يكون نصب أعيننا في بحوثنا السياسية ولمسنا لهذه الشئون الدقيقة التي تستوجب أحكم العلاج .

وقد تقع ظروف وتعرض حوادث يصح أن تتخذها الأمم المجاهدة سانحة للسعى فى استرداد حقوقها وحمل خصمها بقوة هذه الظروف على التسليم لها بما كان من قبل ينكره عليها أو يسوف فى رده اليها، ولكن ينبغى أن يكون مفهوما مع هذا أن التفاهم فى ظروف كهذه على تلك الحقوق المقدسة لا يصح أن تخالطه روح المساومة بأى حال من الأحوال .

ان مسائل الدستور والحرية والاستقلال التام هى من اللوازم الأولى لحياة الأمم والحقوق الرئيسية التى لا تجوز المساومة عليها أو الرضاء بدفع ثمن عنها لخصومها أو مغتصبيها، بل ان قبول وضعها هذا الوضع ، أوانزالها هذه المنزلة هو التسليم باعتبارها محل تعامل ومجال أخذ وعطاء ، عمل شائن مناف للوطنية مهين لكرامة الأمة مصغر من قيمة جهادها وتقديرها لهذه المبادىء السامية والمثل العليا وليس له فعل غير تسليمنا بأن للانجليز سلطانا على البلاد نطالبهم بالتنازل عنه فى نظير مانقدمه لهم ونعرضه عليهم .

ان المساومة هنا فى الحق جريمة عظمى وجناية على البلاد ، والحاق العار بكل تاريخنا الوطنى ، وبيع أرواح شهدائنا وضحايا جهادنا وكل ما كابدناه فى سبيل حقوقنا بأبخس الأثمان والنظر اليه، نظرنا الى رخيص السلع والمتعامل عليه فى الأسواق من المتاع والعروض .

ويكفى لبيان خطر هذه النزعة وضرر هذا التعامل الحقير فى أعلى مبادىء الحياة وأسمى ما تحيا له وبه الجماعات، أن نفترض ماقد ينجم فى حالة فشل المساومة واصرار الذين رضينا أن نساومهم على الرفض والاباء فان مركزنا يصبح يومئذ بهذا التهافت الحقير من جانبنا سيئا للغاية لأننا بذلك نكون قد خلعنا على ما قد أخذه خصومنا منا غصبا وألبسناه ثوبا من الحق ، وهذا مالا يجوز ولا تقبله أمة على نفسها بحال من الأحوال .

لامساومة اذن على الحقوق المقدسة التى تمس كيان الأمة ووجودها ولكن ليس معنى هذا أن المساومة غير جائزة عامة ولا يمكنه القبول فى جميع المسائل والشؤون. اذن لا ضرر ولا بأس من الأخذ بها فيما لا يتعلق

بجوهر كيان الأمة وقيام سيادتها وعزتها الشخصية بين سائر الأمم وبقية الشعوب .

وقد تجوز المساومة على مصالح ومنافع يمكن الترخيص فيها ولا خطر من الاتفاق عليها وجعلها موضع تفاوض ومقايضة فى كالمسائل التجارية والمعاملات المختلفة وغيرها مما يصلح أن يكون مجال بحث ودراسة إذا كان الاتفاق عليه بهذه الطريقة فى مصلحة الفريقين وكانت المنافع فيه منسجمة مؤتلفة غير متعارضة

وفى هذه الشئون وأمثالها يكون من واجب الحكومة أن تبحث الامر على ضوء مصلحة البلاد من هذه المساومة ، وانما ينبغى أن يكون ملحوظا أيضا فى التعامل على هذا النحو أن تقوم المساومة على أساس دولة متسلطة ذات نفوذ وأخرى تؤمر فتأمر ويطلب منها فتجيب أو يضغط عليها فتستكين أو تسير المساومة فى اتجاه تحقيق مصلحة الطالب أو الآمر أو المتشدد وان أصاب الضرر الجانب الآخر ولم يظفر من هذا الطريق بغير حصة الضعيف المأمور فان ذلك من شأنه أن يجعل الدولة القوية فى مركز غير متساو مع الدولة الأخرى وبذلك ينطوى الموضوع على معنى الحماية .

وفى المشكلة الحبشية بالذات قد تكون مثلا لمصر وانجلترا مصالح متشابهة ومن الجائز التوفيق بينهما والتفاهم على صيانتها بالنسبة لوجود بحيرة تانا فى أرض الحبشة ومتاخمة السودان لها ووقوع الصومال البريطانى وأفريقية الشرقية البريطانية بجوارها وليس من بأس فى معالجة الاتفاق على هذه المصالح المشتركة مما لا يمس حقوق البلاد أو يتصل بسيادتها من قريب أو بعيد .

وإزاء هذه المشكلة يقع على عاتق الحكومة واجب المراقبة عن كثب والسهر على مصالح البلاد واليقظة التامة لمجرى الحوادث وسير التطورات لتكون دائما على بينة مما يحدث وبصيرة مما تصرف وهدى لما تسلك فى هذا الموقف الدقيق

وليس من شك بعد هذا الذى جلوته من الفارق الجوهرى بين انتهاز الفرص السانحة لحل عقدة القضية المصرية وحمل الخصم باكتساب الظرف على

رد ما اغتصبه أو التسليم بما لايزال يعارض فيه وينكره وبين تعريض الحقوق الرئيسية من دستور واستقلال وسيادة وسلامة وكيان البلاد للمساومة والتراضى على المفاوضة ودفع الثمن — ليس من شك بعد هذا فى أن مبدأنا وجهادنا وتكاليف استقلالنا أرفع من أن نقبل المساومة فى حقوقنا وأسمى من أن ننظر اليها بهذه العين أو أن نتحمل أن ينظر خصومنا بها بل مصر لتؤثر مواصلة الجهاد واحتمال أشد المكاره والصعاب والمشاق على قبول انزال حقوقنا هذه المنزلة .

لقد كان مبدأ الوفد فى مفاوضاته هو صيانة هذه الحقوق وأباء أى تفريط أو تساهل فيها أو مساومة عليها وعلى هذا المبدأ ستحافظ الأمة عليها فى كل ظرف وكل حين ؟

(* * *)

نصيحة

الانسان فى هذه الدنيا عابر سبيل ، فأخلق به أن تكون رسالته الأولى المساهمة فى بناء صرح الفضائل الإلهية ، التى مد الله فيها لعباده الصالحين وجعلها سياجا يقى الانسان شرور الشهوات ونوازع الشيطان

(* * *)

من أراد المجد فعليه أن يتحمل الصعاب ، فالمجد غال يستدعى ركوب الصعاب حقا

أحمد ماهر

أيام الذكريات

فى ١٢ أبريل سنة ١٩٣٥ كتب الشهيد أحمد ماهر هذا المقال وفيه يتذكر يوم النهضة التى انبثق فجرها ويوم الحرية وهى ترسل بنورها الساطع على الأفق المصرى فضؤته ، فاذا مصر من أقصاها الى أقصاها تهتف بلسان واحد وقلب واحد، الاستقلال التام أو الموت الزؤام .

ينهض هذا الشهر من وسط أعوام تاريخنا الوطنى حافلا بذكريات منوعة وكأنه الشهر الذى قدر له فى مر السنين ودورة الزمان أن تنحصر فيه على اختلاف الأعوام أكبر مجموعة من كبار الحوادث وجسام الوقائع وعديد الفعال وكأنه فى المصادفات وتوارد الاتفاق شهر منقطع النظير من هذه الناحية وسجل متشابه الصفحات على ما بين السنين من فاصل وما بين الحوادث من فترات .

فى شهر أبريل الذى يمر الآن بنا تذهب الخواطر عائدة مع الخيال راجعة مع الحافظة الى ذكريات أمثاله فى ستة عشر عاما وهى كلما قلبت منه صفحة وقفت أمام عبر ماثلة ودروس بليغة ومشاهدات فى الوطنية بالغة الأثر فى النفس عظيمة السلطان .

فى مثل هذا الشهر انبثق فجر الحرية واشتعال نار الثورة بلغت الوطنية المصرية قمتها وارتفع الروح المعنوى الى نهاية المقياس وكأنما استحالت مصر فيه خلقا آخر وتبدل خلاله كل شىء فيها كأنما ولدت من جديد .

كان يومئذ التضامن عاما والإخاء كاملا والفضائل الاجتماعية فى أرفع محل من النفوس واختفت مساوىء الحياة اذ جعلت الوطنية بشعلتها المقدسة وقبسها السنوى تضىء مبددة ظلام القلوب مرسلة على الأفئدة بشعاعها الساطع

ونورها المنبعث وحرارتها المتقدة فى الصدور .

يومئذ لم تكن تشهد فردا خارجا على الجماعة أو رجلا مصراً على رذيلته أو متشبثا بالظهور على ما فى خلقه من نقص وما فى نفسه من عيوب وقد استحى الضعفاء أن يكونوا كذلك وخجل الجريئون فى الرذيلة أن يلوحوا بها على الناس واستنكر الذين يئسوا أن يعيشوا يومئذ بغير رجاء واختبأ الذين تحطمت فى الحياة أخلاقهم من المكامن حتى لا يظهروا أمام اخوانهم بنفاق أو ريبة أو اثم أو رياء .

لقد كان مستوى الحياة قد ارتفع فجأة وشعر المصريون أنهم قد علوا فوق أنفسهم وأيقنوا أنهم واصلون الى تحقيق أمانى البلاد والتمتع بالحرية التى يشعرون بأنها حق طبيعى لهم كشعب تجب له ارادة الحياة، غير مبالين وطأة الأحكام العرفية أو منزوين أمام المدافع الرشاشة ومحاصد النفوس ومناجل الأرواح بل كان ذلك كله كلما اشتد عليهم زاد فى حماستهم للاستقلال اشتعالا وفى عقيدتهم بأن الحرية من حقهم رسوخا واستمكان ايمان .

فى مثل هذا الشهر خلال السنين التى مضت على حركة الجهاد اذن ذكريات من واجبنا نحوها أن نتذاكرها فى مثل أوانها ومن حقها علينا أن لا ندع شهرها هذا يمر دون استعادة واستعبار .

ولئن كان فى ترديد تلك الذكريات اليوم ، باعث ألم وحزن على الضحايا الذين كانت آجالهم سطورها واستشهادهم تفسيرها وذهابهم من هذا العالم محضرها ، أولئك الذين تحملوا حرارة المعركة وخروا صرعى تحت وابل الرصاص وقضوا الأعوام فى المحابس وحزن لهم أهلوهم وبكى ذهابهم عشائرهم ونساؤهم وفلذات أكبادهم ، لئن كان فى ترديد هذه الذكريات تجديد الأسى على الذاهبين الغابرين فلا يزال فيها تجديد للشعور بالفخار والفرح بالانتصار، اذ كان أول نتيجة ملموسة بنجاح الحركة الوطنية تقرير السماح بالسفر الى الخارج ، فتسنى بذلك لمصر أن ترفع صوتها فى العالم كله معلنة اباءها النير الأجنبى منادية برغبتها فى التمتع بحقوقها التى أعلنتها الطبيعة قبلها واتخذت منها

دول الحلفاء فى الحرب العظمى انجيلا جديدا تذود به عن الحرية والحق والعدالة وتتغنى فيه بمزامير تقرير المصير وأناشيد رد الحقوق الى الضعفاء .

وفى مثل هذا الشهر الذى أفرج فيه عن زعيم النهضة الخالد المغفور له سعد زغلول من مالطه كان بعد سنوات الافراج عنه من جبل طارق كمقدمة للافراج عن رفاقه فى سيشل المرحومين عاطف وفتح الله وسينوت وزميلهم دولة النحاس باشا والأستاذ مكرم عبيد فكان ذلك صورة أخرى لانتصار الوطنية المصرية إذ استطاعت فى غياب زعمائها وأبطالها ، وبعد القاء قادتها والبارزين فى صفوفها رهين المعاقل والسجون ، أن تقاوم وتناضل وتحتفظ بالرايه وتصون الكتله موحدة الصفوف مرصوصة البنيان .

وهكذا بين صفحات تلك الأيام الباهرة مواضع أحزان ومواضع أفراح ولكن كلها مواضع اعجاب وفخار ، ولعل ذكريات الأسى أفعل أثرا فى النفوس وأبلغ درسا وأكبر عظات من الذكريات المفرحة والصفحات الساطعة البيضاء .

من وسط تاريخ تلك السنين تنهض ذكرى الضحايا الأبرار مطالبة أن لا تدعها تضيع هباء أو تذهب بغير جزاء منا وأن نحقق ما استشهدت هى فى سبيله وننجز ما رغبها فى الموت ونؤدى الرسالة نفسها التى أدوها هم أحسن الأداء .

هؤلاء الضحايا ينادون الآن وهذا الشهر ترددا لتاريخهم وميعاد ذكراهم ان علينا نحن الأحياء أن نواصل السير ونكمل الواجب لنبلغ الغاية فى مدى أعمالنا أو أن نسلم الراية مرفوعة خفاقة الى من يأتى بعدنا من الأجيال .

ان هؤلاء الشهداء الأبرار فى شهرهم هذا يناشدوننا أن نتغلب على أولئك الذين كانوا سببا فى اطالة الشقة وتعويق المسير ، إذ يئس فريق منهم عند أول مراحل النهضة فانصرفوا عن الجهاد وانشغلوا بمصالحهم دون أن يناوئوا السائرين أو يحاربوا الركب المسافر فى رحلة الحرية ، بينما عدل فريق آخر الى الاهتمام بالمصالح الخاصة ولو كان سبيل ذلك مكافحة الحركة القومية فى آن

واحد وأصبحوا أدوات فى أيدى خصومها وإن ظلوا مختفين تحت ستار الرغبة فى الاستقلال والمضى فى الجهاد فى خدمة البلاد ولكن لم يعد أحد فى الأمة ينخدع فى حقيقة أمرهم كما لم يعد أمرهم خافيا على الذين يستعينون بهم ويتخذونهم بالأدوار مثلا لتغيير الاطقم والتنويع فى المناظر والادوات ويستخدمون أفرادهم يوما لعيوبهم ويوما لمزاياهم، يوم تكون المزايا من الناحية الشخصية وهى القيمة الوحيدة التى بقيت لنفر منهم محل استخدام وموضع انتفاع .

فى هذا الشهر الذى تتزاحم علينا من أمثاله فى السنين الماضية صور الحوادث وتبعث من محافظها أطياف الذكريات، يصح أن نراجع حسابنا ونوازن بين ماضينا وحاضرنا — ونتبين هل خسرنا أم ظللنا رابحين. لم نخسر فى الواقع شيئا لأننا صنا كل شىء عن الخسارة وأبقينا على روحنا المعنوى قويا لدينا مستجيبا لمقتضيات ظهوره، ملبيا نداءنا كلما طلبت الحوادث أن نكون كلمة واحدة واجماعا كاملا، بل نحن اليوم نعيش بكل احساس حاضرنا وذكريات ماضينا وهم عاملان قويان يخلقان ابدا عاملا ثالثا وهو الايمان بالغد ومن يؤمن بالنجاح فى غده مستلهما ثقته من هذين العاملين فانه بلاشك متقدم اليه غير عابىء بالعقبات فى طريقه ولا ينصرف عن غايته التى يدنو منها كلما قطع أشواطا من الطريق فلنحترم حاضرنا ولنقدس ماضينا ولنعمل لمستقبلنا فان الوطنية المثمرة تعيش وتنمو على هذه الشجرة المثلثة الأغصان ؟

الموظفون والصحافة

يحلل الفقيد الكريم أحمد ماهر فى عبارات رقيقة علاقة الموظفين بالصحافة ويضرب على أوتار الوطنية الصادقة والمصلحة العامة ويستعرض فى مقاله هذا مهمة الصحفى ومايجب عليه عمله من التدقيق فى الأخبار . ومايجب على الموظف من تزويد الصحفى بالأخبار الصحيحة ، ليزود بها الجمهور ، ليتسنى له الاطلاع على أعمال الحكومة وبحث مشروعاتها قبل الانتهاء منها لتخرج صالحة سليمة قوية .

فيما أتناوله اليوم من الحديث سأتلزم كعادتى حدود الواجب الصحفى فلا أتعرض لتفاصيل قضية منظورة أمام القضاء ، ولا لقيمة أدلة الاتهام والدفاع إذ ليس ذلك من شأنى ولست أجيزه لنفسى معرفة بالواجب واحتراما للقانون

ولكنى كما فعلت فى مناسبات سابقة كتعرض النائب العام فى قضية ماضيه الحديث عن ذمة القاضى وخروج أحد المحامين فى قضية نزاهة الحكم عند المرافعة لمصلحة أحد المدعين بالحق المدنى عن موضوع القضية ، الى تناول الوطنية المصرية بالسوء وتمنى عودة الكرومرية أتناول اليوم البحث فى موضوع عام تعرض له حضرة النائب المترافع فى قضية النزاهة .وهو علاقة الموظفين بالصحافة واتصالهم بالصحفيين .

إن من أهم أعمال الصحف هو تزويد الجمهور بالاخبار وتقديم المعلومات الصحيحة للناس وإبداء الرأى فى المشروعات التى لاتزال فى دور الاقتراح أو حيز التفكير ، فضلا عن الواجبات الأخرى التى يضطلع بأدائها الصحفى لتنوير الرأى العام والعمل على منع ضرر قد ينجم عن اتمام بعض المسائل والشئون فى السر والخفاء .

واذا كانت هذه هى مهمة الصحفى فمن واجبه اذن أن يتحرى الاخبار من

مصادرها ويلتمس الانباء من موارداها ومصادرها الوثيقة وليس يطلب اليه أكثر من أن يكون حسن النية فى عمله فيتلقف الاخبار ويجمع المعلومات فى سبيل المصلحة العامة لا لشفاء غليل ولا لإرضاء شهوة كما ينبغى أن يكون حسن التقـــدير ،فاذا ماوصل الى علمه خبر ليس من الخير اذاعته أو نشره على الناس وجب أن يمتنع عن تقديمه للجمهور أو التعرض له بأية حال .

على أن مقياس ماينبغى للصحفى من هذه الناحية هو بلاريب لمهارته وكفاءته ومبلغ تقديره للخير والشر والصالح والضار كما هو لتقـدير المشرف على نشرها ووزنه لقيمتها ومبلغ المنفعة العامة من اذاعتها على الجمهور .

ولاشك فى أن لهذا الاعتبار أثرا فى تقدير المحاكم عند التعرض للمسئولية أو الاستهداف لطائلة القانون ، ولـكن لاشك أيضا فى وجوب كفالة الحرية المطلقة للصحفى فى الحصول على الأخبار والتقاط الانباء لان هذا هو من صميم عمله بل هو الباعث الأول على قيام الصحافة كمنبر للرأى العام أو معلم للجمهور ومراقب يشرف على الأفق كله يعرف دقائقه وخوافيه .

ومن هـــذه الناحية تتبارى الصحف ويتنافس ملتقطو الأخبار ويتسابق الصحفيون مما يقتضى السرعة ويبعث الرغبة فى الخروج على الملأ بجديد وهذا ما ينبغى أن يكون موضع تقدير عند القضاة ومحل اعتبار مباحثات القضاء وليس فى القوانين مايمنع شيئا كهذا أو يحظره وان كانت هناك قوانين لا يجوز للموظفين الاتصال بالصحافة ، وقد وضعت للحيطة والحرص ولـكنها فيما أعلم لم تنفذ يوما بدقة تامة ولم يراع التقليد بها كل المراعاة . إذ هى فى الواقع لا يتفق وما تقتضيه المصلحة العامة ويوجبه الخير وتنوير الجمهور لأن الأعمال الحكومية فى الأصل إنما تؤدى لمصلحته وتنفذ لمنفعته فمن الخير أن يعرف المشروعات قبل التنفيذ وأن يكون على بينة من وسائل تنفيذها ووجه المصلحة من القيام بها حتى يتسنى للجمهور تأييدها أو الاعتراض عليها وتنظيم شئونها وفق اتجاهها .

ولست أنكر أن هناك أعمالا ومشروعات تحتاج وهى فى دورة البحث والنظر أو فى خلال المفاوضة بشأنها الى التكتم والحـــذر الشديد من تسرب

تفاصيلها أو معلومات عنها ، ولكن هذه المشروعات ونحوها لاتترك عادة فى أيدى الموظفين الاعتياديين بل تتخذ الوزارت والمصالح فى شأنها تدابير واحتياطات خاصة حتى لا تنسرب أخبارها فى وقت غير ملائم ولا يتفق والمصلحة المنشودة من كتمان امرها قبل التمهيد والتهيئة والاعداد .

وعلى أننى قد بينت أن من واجب الصحفى يقتضيه فى هذا ومثله من الأخبار واذا ما استطاع بمهارته وانتهاز الفرص السانحة الوصول الى معلومات عنه ، أن يمتنع عن اذاعته فيكون الكتمان من جانب الوزارات مثلا واقيا كما يكون تقدير الصحفى لما ينبغى أن يذاع وما لا ينبغى اذاعته واقيا آخر يكفل الغرض الذى يناسب المصلحة العامة الموحدة من الاخفاء والكتمان .

ولكنى رأيت الكتمان لا يراد للخير فى كثير من الأحيان بل رأيت كبار الموظفين بل الوزراء أنفسهم يتقدمون الى الناس فى أحاديث تدور بينهم وبين الصحفيين شارحين برامجهم وخطاهم ومشروعاتهم لكى يتبين الجمهور وجه المنفعة العامة منها ويدلى الفنيون والاخصائيون بما لديهم من الآراء فى هذه المسائل والشئون .

واذا كانت هذه هى الاعتبارات التى يجب أن تراعى فى صلة الصحفى بالحكومة وعالها والجمهور وخدمته فلست أستطيع أن أوافق حضرة النائب العام المترافع فى قضية النزاهة وهو يذهب فى تعقيبه على الدفاع الى أن أعمال الحكومة ينبغى أن تراعى فيها السرية والكتمان بل لا أستطيع أن أجارى المحامين فى القضية أو مشايعة النائب لهم فى وصف الحصول على الأخبار من الموظفين بأنه نوع من التجسس ولا فى مقارنته بالتجسس لمصلحة الحكومات .

وليس يختلف أحد فى أن الجاسوسية التى تعمد الى افشاء أسرار الدولة وسرقة أخبار وسائل الدفاع العسكرى أو التحسينات فى الأسلحة أو غير ذلك من الأسرار الخطيرة ممقوتة معدودة كخيانة عظمى وجريمة نكراء تستحق أكبر العقاب .

ولكن أحد الموظفين الذين يرون السوء فيعينون على عكسه ويشهدون الجنايات التى تقترف فى الخفاء . للاضرار بالأمة والكيد للشعب وتعريض المرافق العامة للخطر أو سوء الاستغلال مختلف بلا ريب كل الاختلاف عن تلك الجاسوسية الممقوتة الخائنة الأثيمة لأنها فى الواقع خدمة عامة وان ظل مؤيدها مجهولا لايعرفه الناس بل هى مظهر بليغ لحب الموظفين بلادهم وغيرتهم على مصالح وطنهم ورغبة منهم فى منع هذه الجرائم أو الوقوف فى وجه تلك الجنايات وأنى لأعجب لحضرة النائب كيف يرى فى تكتم اسمائهم جبنا وفقدان شجاعة بل كيف بالغ فى انكار الرجولة عليهم وقد نسى أن أمثال الحكومات الطاغية المسيئة التى تلجأ الى ارضاء شهوات بعض الوزراء أو الصنائع بالتمكين لهم من استغلال مرافق البلاد ومصالحها بغير حق لاتتردد فى الايقاع بهؤلاء الموظفين والانتقام منهم واخراجهم من وظائفهم تحت ستار معاقبتهم على زلات تصطنع لهم اصطناعا وتهم تلفق لهم تلفيقا

نعم أعجب لحضرة النائب كيف يطالب الصحفى بافشاء اسم الموظف الذى تلقى المعلومات عنه فان طلبا كهذا فى الحق غريب لأنه مطالبة بافشاء سر المهنة وارتكاب جريمة ضد الامانة والواجب ولست أدرى كيف فات النائب المترافع أن مثل الصحفى فى هذا مثل النائب نفسه والمحامى والطبيب من حيث يحتم الواجب عليه كتمان ماوصل الى علمه بحكم مهنته وطبيعة عمله .

إن الضمائر النزيهة هى التى تحدو بالفريق الشجاع من الموظفين الى الكشف عن الدفائن المنكرة ورفع الستار عن الجرائم التى ترتكب فى خفية عن الرأى العام بقصد الكيد للبلاد أو سوء الاستغلال المرافق العامه فى عهود البغى والظلم والطغيان ، وما هؤلاء الموظفون بجبناء ولا ضعفاء الرجولة ولكنهم فى الحق وطنيون صادقون الغيرة على بلادهم .

لقد كانت النيابة فى هذا الموضع من مرافعتها خليقة بأن لاتتناول شيئا خارجا عن جوهر القضية وأن لاتلقى نعوتا ولاصفات معيبة على فريق من الافراد

توجب عليهم نزاهتهم أن يؤدوا خدمة لوطنهم وتفزع بهم ضمائرهم الحية الى الاحسان الى أمتهم من هذا الطريق

واذا كان حضرة النائب قد اعتبر هذا الواجب « ظاهرة خلقية » تركها لعلماء الاخلاق ، فهى فى الواقع ظاهرة خلقية كريمة حسنة تستحق التشجيع ؟

الواجب الوطنى

ان كل فرد وكل موظف مطالب باحقاق الحق واحترام القانون ورعاية مصالح الناس ، الخصوم منهم قبل الأصدقاء ، هـــذا ما يطلبه الوطن من أبنائه وهذا ما يجب أن يعمله الوطنى دائما لبلاده ، لأن البلاد بلادنا والوطن وطننا ، فيجب أن يسير كل فرد وكل موظف فى الطريق المستقيم ، ان الحرية التى ننشدها تطلب منا دائما ونطمع دائما فى أن ترفع مستوى الأخلاق ، وأن تحمل كل انسان على الشعور بانسانيته وان هذه الانسانية تعطيه حقوقا وتلزمه بواجبات ، فعلى كل فرد أن لا يهمل فى المطالبة بحقه ، ولكن عليه كذلك أن يقوم بواجبه كاملا بل ان القيام بالواجب هو الشرط الضرورى والأساسى للمطالبة بالحق الكامل

أحمد ماهر

الوحدة العربية

فى مارس ومن عشر سنوات خلت كتب الشهيد أحمد ماهر هذا المقال عن وحدة الشرق ووجوب المؤاخاه بين ملوكه .

حدث فى مكة والملك ابن السعود فى طواف الافاضه عند الحجر الأسود أن اقترب من جلالته رجل وهم بطعنه وكان من ورائه شخصان مسلحان بالخناجر ولكن سمو ولى العهد أسرع الى ذلك الرجل فأزاحه جانبا وشهد شريكاه ذلك فأراد أحدهما أن يعاجل الأمير سعود بطعنة من خنجره ولكن رصاص الحراس أرداه قتيلا .

ومن تفاصيل هذا الحادث الأليم الذى دوى نبأه فى أرجاء الشرق العربى كله كما تنقل فى أنحاء العالم المختلفة وتوافد جمهور كبير من الكبراء فى مصر على الوكالة السعودية فى القاهرة يهنئون بنجاة جلالة ابن السعود وسمو ولى عهده من هذا الحادث الذى تحدثت عنه صحف الشرق والغرب .

ويلوح أن هذه المحاولة المجرمة لاغتيال حياة الملك جاءت عن مؤامرة مدبرة ومكيدة بيتت فى الظلام ومحرك خفى وراء الستار لتنفيذ مأساة خطيرة كانت بلا شك محدثة أسوأ النتائج لولا أن الله جعل لنجاة جلالة الملك سببا وحفظ حياته من شر جريمة منكرة .

وقد أتت هذه المحاولة الأثيمة فى وقت تأدية شعائر الحج ومناسكه والحج فريضة من فرائض الدين تنطوى على معنى اجتماعى من أروع المعانى معنى التعارف والأخاء والوحدة والتآلف وهى المعانى التى كان أولى بها أن تقوم مدلولاتها فى الشرق وممالكه وتطمئن وتسود دوله وأقطاره فإن وحدة الشرق هى الوقاء من

خطر المطامع التى تريد أن تنفرد بكل دولة شرقية على حدتها للقضاء عليها وانتهابها وسهولة الفتك بها، فما من بلد شرقى الا وهو هدف لبعض هذه المطامع أو نحوها معرض لأخطار السياسات الاستعمارية ومراميها، محاطا بالدسائس والمكائد المتفرعة عليها، المعالجة فى الخفاء تحقيقها وكلما ظلت كل دولة من دولات الشرق بمعزل عن سائرها أو بغير لحمة قوية تربطها ببقيتها كانت عرضا لأشد الخطر وأفتك الأساليب.

وقد رأينا الاستعمار الأوروبى كيف يعالج ابدا قيام التخاذل بين الممالك الشرقية بل لقد شهدنا من استمرار الحوادث كيف يحاول هذا الاستعمار دائما دفع بعض الدول فى الشرق ببعض، واثارة الخصومة بينها وأشعال نار العداوة والبغضاء، لتقوم دولة على الأخرى وتهييج الحفائظ بين شعوبها أو اصطدام مقاصدها وسياستها، وقد يستعين الاستعمار لحمل أجزائها على بعضها البعض حتى يقف هو متفرجا على الصراع الناشب بينها أو يمد دولة منها بكل الأسلحة والوسائل التى تمكنها من مقاتلة غيرها، فاذا ما كان الفريقان ينتحران من أثر القتال المستعر بينهما أو ما كاد يتمكن فريق من تحطيم الفريق الآخر، حتى تقوم المفاوضات بين الدول الاستعمارية ذاتها أو اعانتهما بوسائلها الخفية لتحفظ التوازن بين قواها وتوزع خريطة الشرق بين متباين اطماعها ليكون تقسيم أو تناهب مشترك أو تنازل احدى دول الاستعمار عن مطمع لها فى ناحية لقاء بديل منه، ترجوه فى ناحية أخرى ما دام أكثر هذه الدول المستعمرة متخوفا من بعضه بعضا أو يطوى الجوانح على غيرة وتنافس وتزاحم فى الخفاء وان تظاهرن بأنهن فى المودة والتكاتف أولياء حلفاء.

ان وحدة الشرق هى ازاء هذه السياسات الاستعمارية السبيل الى درء خطرها ودفع بلائها ومضاد مفعولها وقد لا يكون هناك عائق دون قيامها وتوثيق عراها وانشاء روابطها من جهة الشعوب نفسها فان الأمم الشرقية ترى الحاجة الماسة اليها وتنشد الأسباب والوسائل الكفيلة بتحقيقها إذ ليس بين شعوب الشرق وأممه غير المودة المتبادلة والاخاء الروحى والرغبة الصادقة فى الدفاع عن استقلالها

والذود المستمر عن حريتها وحرماتها وهى التى عانت أساليب الاستعمار فى كل ما يتصل بحياتها ومايمس كيانها السياسى وهيكل استقلالها وهى التى ذاقت البلاء ألوانا من كيده وتحملت صنوف المحن والنكبات فلم يعد يخشى عليها ، ان من موجبات السلامة من خطر الاستعمار ووسائل الوقاية الناجعة من شره قيام هذا الاتحاد المنشود بينها وانشاء هذه الروابط الروحية التى تربط اجزاء الشرق وأقطاره جميعا حتى يدرك الاستعمار أن الاعتداء على ناحية منه تارك أسوأ الأثر فى سائر نواحيه محدث وقعا أليما فى نفوس بقية شعوبه، ليس هناك اذن حائل حقيقى أو مانع خطير دون تأسيس وحدة شرقية واقامة تضامن معنوى بين أقطار الشرق وجهاته من وجهة الشعوب الشرقية نفسها ولكن إذا هناك ما يحول دونها فقد يكون آتيا من ناحية ملوك الشرق وعاهليه وأمرائه إذ من الأسف أن الملوك والأمراء والسلاطين والبابات إلى نهاية قائمة أصحاب الامارات والمملكين فى أقطار الشرق وربوعه وآفاقه وأمصاره لا يزال فريق منهم متشددا فى مسايرة أحقاد قديمة وعداوات دفينة ،على حين لا ينى آخرون فى النظر الى سواهم نظرة الحسد أو الغيرة أو البغضاء، بينما ظل فريق ثالث منهم متأثرا لسلطان الدول المستعمرة التى جعلت بلاده مناطق نفوذ مقسمة موزعة بينها بعامل الخوف الذى يكنه البعض لسواه ، أو بعامل تبادل المنافع وتناهب الضعفاء واستغلال استسلام المستضعفين .

ان حادث محاولة اغتيال جلالة الملك ابن السعود قد ذهب الظن فى تفسيره الى أن مكيدة « زيديه » قد نصب لإحداثه ولسنا نريد أن نجارى هذا الظن أو نأخذ بذلك التأويل ولكن نقول أنه اذا صح كان صورة نكراء من صور السياسة الخطرة التى تتأثر بها صلاتهم وعارضا خطر من أعراض داء شرقى تمكن من هؤلاء الأمراء والملوك والعاهلين فجعلهم متحقدين مختلفين، بينما يريد الاستعمار أن يقضى على ممالكهم جميعا ويذهب بسلطانهم من البلاد .

وليس أعجب من أن يجد الاستعمار مصلحته فى الاتفاق على الفتك بالدول الشرقية ثم يظل الشرق وهو أولى بالوحدة والاتفاق والتآزر والمؤاخاة متفككا الأوصال متحاقد المالك منعدم الوحدة واهن الجامعة فمتى يحين الشرق أن ينجو من هذه العلة الخطرة

* * *

من الشرق انتشرت الحضارة ومن الشرق بعث الله الرسل والأنبياء لهداية الناس ، وليعيشوا أحرارا كما خلقوا أحرارا ، ومن خـــلاله انتشر نور الحرية فى الأرجاء وعم الأنحاء .

* * *

اذا لم تتضافر الشعوب الشرقية وتتكاتف فى الحيـــاة سهل على المستعمر اقتناصها ، والاستيلاء عليها .

* * *

حقنا لا يتجزأ ولا يحتاج الى مساومة ، والشعب الذى أقسم أن يعيش حرا أو يموت حرا جدير بالحياة العظيمة ، والنشور فى آفاق العالم

* * *

كلما عرفنا الاستقلال والحرية وكلما أدركنا قيمتهما وتمتعنا بمزاياهما من العدل والحرية ازددنا أهمية وتقديرا فى نظر أصدقائنا وفى نظر الأمم الراقية

أحمد ماهر

حرية الصحـــــــافة

« هذا مقال لفقيد الأمة الدكتور أحمد ماهر باشا
طيب الله ثراه »

حد الحرية فى جميع نواحيها وضروبها ألا تؤدى الى ضرر ، أو تفضى بسوء الاستخدام الى أذى . والحرية على هذا التحديد ضد الفوضى . والتخوم الفاصلة بينهما ظاهرة لا تحتاج الى مجهود لاظهارها . وكما يسرى هـــذا على الحريات المختلفة يشمل حرية الصحافة

والأصل فى قيام الصحافة انارة الرأى العام ، فهى تفحص المسائل، وتدرس الموضوعات العامة ، وتمكن الحكومة من معرفة اتجاه الرأى العام فى هـذه الشؤون التى هى محل بحث وموضع تفكير

ولا يمكن أن تقوم الصحافة مع هذا مقام البرلمان ، وان أدت بعض وظائفه فى دائرتها ، وعملت شيئا من عمله فى نطاق اختصاصها ، اذ لا يتيسر لها ما يتيسر له من وسائل الرقابة على السلطة التنفيذية ، ولا يواتيها الاشراف عليها بالقدر الشامل الوافى الذى يتاح للمجالس النيابية . ولكنها فى كثير من الأحيان تمد هـذه المجالس بالنور ، فتساعدها على معرفة سليم الرأى وصحيح الاتجاه

فاذا غابت البرلمانات كان عمل الصحافة دقيقا للغاية . وكان كل مجهودها من صميم محاولاتها ودأبها ومثابرتها . وأكثر ما يكون غياب البرلمان مظهر حكم مطلق ، وارادة منفردة . وهذا ما يجعل الصحافة تعانى بلاء شديدا . اذ قد تحارب وتصادر حريتها ، وتقام عليها حدود عنيفة . فاذا صبرت لذلك وقاومت أدت واجبا وطنيا عليها فى أحرج الظروف

ولا شك أن على الصحافة مع الحرية المكفولة لها واجبات لا تتعارض ومبدأ حريتها . ولعل فى مقدمة هذه الواجبات الحرص على نشر الصحيح من

الأخبار ، واجتناب نشر غير الصحيح منها ، وهذا يقتضى التحقق من قيمتها قبل نشرها ، فان ذلك فضلا عن أنه من واجبها لا يزال أيضا من مصلحتها ، لأن كل خبر لا يتحقق أو يقابل بالتكذيب والنفى يفقد من قيمة الصحيفة ويقلل من ثقة الناس بها . فتتأثر مكانتها عند قرائها حتى الذين ألفوا الاعتماد على قراءتها

وأمام الصحفى على هذا الأساس نوعان من الأخبار — عدا الأخبار المحققة :

الأول خبر حاول أن يتحقق من صحته ، فلم يستطع ، والثانى خبر يريد أن ينشره على سبيل الاشاعة والأقاويل . وازاء هذين النوعين من الأخبار يظل الواجب الصحفى قائما ، لأن المصلحة الكبرى لصحيفة ما هى فى قيامه . وذلك أن يقدر المصلحة العامة ، ويفكر فى مقتضياتها قبل أن يخطو خطوة الى النشر . فاذا كانت المصلحة فى النشر ، نشر الخبر مع التحفظ اللازم ، واذا كان الخبر يلقى قلقا فى النفوس أو قد يحدث أثرا سيئا فى النظام ، وجب أن يمتنع عن النشر حتى ولو على سبيل الاشاعة !

ولما كان تكوين الرأى العام قائما على أساس ما تنشره الصحافة ، وجب أن يكون تحرى الوقائع ، وتوخى الحقائق كما بينت أول عمل للصحفى بقدر الامكان

ولكن نزوع الصحافة دائما إلى التسابق — وأشد ما يكون التنافس فى الميدان الصحفى فى الفترات الخطيرة والظروف الهامة — من شأنه ألا يحتمل الانتظار الطويل قبل النشر ، أو يقبل التسويف مخافة التخلف وضياع قيمة النبأ بذهاب أهميته أو التريث أكثر من اللازم قبل دفعه الى القراء

وهنا يبتدىء واجب الحكومة ، فيتصل بواجب الصحفى ، فهى لمصلحتها ولتنوير الرأى العام الرقيب على تصرفاتها مطالبة بامداد الصحافة بالمعلومات الصحيحة ، وتسهيل مهمتها عليها ، وتذليل الوسائل أمامها لتصل الى الحقائق من مصادرها الصادقة

وبالنظر الى دقة الظروف التى تمر بها البلاد الآن . والى الأحوال السياسية العامة فى الداخل والخارج ، وما لها اليوم من خطر ، فعلى الوزارة أن تساعد

على تلافى هذا النقص ،وتعمل على مد الصحافة بالمعلومات المطلوبة بأسرع وقت. وبدلا من هذا الذى رأيناه من أكثر من وزارة تعمد اليه ، وهو اصدار الأمر لموظفيها بألا يتصلوا بمندوبى الصحف ، ولا يعطوهم أخبارا بأية حال ، وإلا استهدفوا للعقاب ، كان يصح أن يكون فى كل وزارة قسم يرأسه كبير مسئول لاعطاء المعلومات دون حاجة الى مراجعة السلطات العليا حتى لا تضيع الفائدة ويتعطل العمل الحيوى الذى لا تستطيع الصحافة الاستغناء عنه ، وهو عامل التنافس والاستباق

* * *

من أقوال الشهيـــــــد

الوطنية ليست تجارة يتجر بها الناس ، بل هى فضيلة وخدمة فى سبيـــل الاصلاح العام ، فعلى الذين يتزعمون هذا البلد ، الجدير بالحيـــاة ، أن يضربوا المثل الأعلى فى وطنيتهم وجهادهم ، وأن يزنوا أعمالهم بميزان دقيق وأن يحاسبوا أنفسهم فى كل يوم على ما فعلوا . وأن يحرصوا على الحرية والعدل وعلى النظام، والقانون .

* * *

البطولة والوطنية تولدان مع صاحبهما وتلازمانه فى جميع أدوار حياته وتطوراته ، وهى هبة من عند الله اختص بها البعض من عباده

* * *

سوف يتلو الجيل الحاضر أجيالا مقبلة فيجب أن نعد لأبنائنا حياة عظيمة كريمة ، ويجب أن ننشىء أولادنا كما نشأ الفاتحون فى الأســـلام والأمصار ، ونعلمهم كيف استشهد المجاهدون فى الميدان أبطالا .

أحمد ماهر

العمال والوطنيـــــة

بتاريخ ٢٠ ابريل سنة ١٩٣٥

لست أرى بأسا أن أعود الى الحديث الذى تناولت فيه مسألة العمال حين صدور القرار الأول بتأليف مجلس أعلى لهم .

إن أخواننا العمال هم قسم كبير من الأمة وعماد قوى من الأعمدة التى شيدت بنيان النهضة الوطنية ولا تزال دعامة من دعائمها القائمة وسندا لا غناء عنه فى سير الحركة الى ما تصبو البلاد اليه فى سبيل استكمال الحرية والاستقلال .

ان العمال يمثلون فى حياتنا العامة العمل والشباب والقوة والانتاج والاخلاص وسهولة التعاون والتضامن بسبب تجمعهم فى المدن والمراكز الصناعية وبفضل وحدة حاجتهم واتفاق مصالحهم ، فمن هذه الوجهة هم مصريون يشعرون بأن واجبهم الأول هو الاهتمام بسياسة بلادهم ومصير وطنهم ومستقبل أبنائهم ولا يمكن أن تنزع عنهم الصفة الوطنية فى الحياة ليكونوا كما يراد بهم عمالا فحسب ليس لهم بوطنهم شأن ولا بالحياة العامة أدنى اتصال .

بل ان كونهم عمالا من شأنه فى الواقع أن يزيد عنايتهم بهذه الشئون ويوجب عليهم الاهتمام الدائم ، والتفكير المستمر فى الجهاد الصادق المنبعث من أعماق الغريزة وأغوار الشعور الوطنى فى سبيـــل مصلحة وطنهم والدفاع عن كيانه والحرص على مصيره والتقدم به إلى مثله العليا وغايته السامية .

إن الظروف الخاصة التى تحيط بهم وحاجاتهم وحقوقهم ، حيال أصحاب رؤس الأموال والشركات الصناعية الكبرى التى تستخدمهم وتنتفع بجهودهم ، تقتضى بلا شك العمل على الدفاع عنهم وحمايتهم من الاستغلال السيء الضار بهم المؤثر فى صحتهم .

ولا يتحقق هذا بغير الدرس والبحث والعناية والعمل على المقاومة التى

لا تنتفع بارهاق العمال من طريق الاكثار من ساعات العمل فوق الطاقة البشرية وما يتبع ذلك من اضعاف قواهم وتحطيم صحتهم وتوهين ذراريهم والتأثر فى النسل والبنين .

وليس للعامل كسواه من أفراد الأمة غناء عن فترة معينة من الراحة يستجم فيها ويزيل أثر التعب والشقة التى يعانيها فى عمله ويسترد خلالها قوته صحيحة موفرة كما يحتاج إلى فترة يومية للتفرغ لخاصة شئونه وحاجات عشيرته وملاحظة أبنائه والتمتع بالجلوس اليهم ومراقبة تربيتهم ورفع مستوى البيئة التى ينتسب فيها .

وقد يصاب العامل بمرض أو عاهة بسبب عمله أو قد تعجزه السن عن مواصلته أو تحول المشاق التى يكابدها طيلة السنين دون استمراره .

كل هذا يقتضى بلا شك عناية وتشريعا ينظمها لحماية الطبقة العاملة المجدة الغزيرة الانتاج.

ولكن لما كانت الأمة غير مقصورة على طبقة العمال وحدها وإنما تتألف من طبقات أخرى وعدة طوائف ، ولهذه أيضاً مطالب وحقوق ومصالح ينبغى الدفاع عنها والحرص عليها والعمل على تحقيقها ، ولما كان الاصلاح المطلوب لهذه الطبقات يقتضى تدبير المال الضرورى له ومراقبة تنفيذ ما يصدر من القوانين بشأنه أصبح مما لا شك فيه أن شئون الاصلاح المختلفة مرتبطة جميعاً بأوثق الروابط متصلة كل الاتصال .

فكيف يمكن إذا كان الأمر كذلك أن يسوغ أحد عزل طبقة العمال عن العناية بالشئون العامة ، والاهتمام بتذليل الصعاب المالية والسياسية التى قد تقف فى سبيل تنفيذ برنامج الاصلاح المنشود ، بل كيف يتيسر قيام التضامن والانسجام إجابة لرغبات طوائف الأمة المختلفة ، وتحقيق مطالب هيئتها المتعددة ، إذ حيل بين العمال وهم شطر كبير من الشعب وحياتهم مرتبطة بحياته ومصيرهم رهين بمصيره وبين الاهتمام بالمصير العام والحياة الاجتماعية والدفاع الوطنى عن الحرية والاستقلال .

هـذا هو الزعم الواهى الذى يريد الناس أن يلبسوه ثوب الحقيقة وهـذه هى الدعاية الظنينة المدسوسـة التى قد لا يمكن أن تجوز على العمال ولا على أحد من المفـكرين فى هذه البلاد والعاملين لخيرها العام .

وقد تـكون هناك وعود حكوميـة بأن شيئاً من الاصلاح سينفذ فى هذه الناحية أو قد بدأ الاتجاه يتجه نحوه ، ولـكن وعود كهذه لاينبغى التعويل عليها بل لو كانت بالفرض جدية لما وجب أيضا الاكتفاء بها ، لأن الديمقراطية انما تقوم على مباشرة الأمة شئونهـا بنفسها وبواسـطة من تثق بهم وتختارهم لتمثيلها وتحقيق مطالبها ، فضـلا عن أن وعوداً كهذه أو نحوها انما تصدر فى ظروف مريبة لتحقيق غاية معينة ، بل هى وسـيلة ليس الا على سبيل تهدئة الخواطر ومحاولة غايات قد تـكون بعيدة كل البعـــد عن مطالب العمال أو غيرهم من الهيئات .

ان وعودا كهذه قد يستعان بها فى أحيان كثيرة لمجرد التضليل والمسـاواة وادخال الانقسام وروح الفـرقة فى الصفوف وتوهـين الوحـدة القوميـة بـين طبقات الأمة المختلفـة وما هى فى الغالب الا مخدرا يراد به العمل فى سبيل غاية سياسية ضارة ، حتى اذا مافات الظرف الذى دعا اليها وتحقق الغرض الذى توسل بها من أجله ، عاد الواعدون الى تلك الأساليب القاسية التى عرفها اخواننا العمال وذاقوا مرارتهـا وتحملوا سوء عواقبها وكابدوا آلامها المبرحة خلال الأعوام التى كانت البلاد تحكم فيهـا حكما مسلحا على كره منها وما أحسبنى بذكير العمال بتلك المحاولات التى حاولتها جهات كثيرة فيما مضى ، للتغلب عليهم والبطش بهم والاستحواز على كتلتهم بعوامل الاغراء والتبرعات بالأموال ثم بوسائل التهديد والارهاب والضرب بالرصاص وقطع الأرزاق والمحاربة فى المعايش ومختلف الارهاق والعدوان والطغيان .

وما أنا بمعتقد لحظة ان اخواننـا العمال قر فى خواطرهم يوما ان مصلحتهم كما يقول فريق لهم هى فى الابتعاد عن حظيرة الوطن والـكف عن العناية بالشئون العامة وفض الأيدى من العمـل والتفكير الجدى فى أمر بلادهم ومصير أهلها

ومستقبل الوطن الذى يدينون له بالحياة ، بل أنا مؤمن كل الايمان أن كل المحاولات المريبة المدسوسة التى أرادت فى الأيام الأخيرة أن توقع الفشل فى صفوفهم وتصور لهم مخاوف وأوهاما من عند أصحابها بسبيل الارتباط مع مجموع الأمة فى العناية بشئونها العامة ، هى بذاتها قد بصرتهم أكثر من قبل وأكدت لهم أكثر مما هم متأكدون ، بأن واجبهم المقدس نحو أنفسهم وخاصة بيئتهم بل الواجب الذى يشمل هذا ضمنا وفى تأديته تأدية له ، يقضى عليهم أفرادا وجماعات ونقابات واتحاد عام بأن يحفلوا كل الاحتفال ويعنوا أصدق العنايه بمصير بلادهم وتحقيق مطالب قومهم للحصول على الاستقلال ، حتى يكون لهم حق الاشتراك فى مباشرة الشئون العامة والمشاطرة فيها مع غيرهم من الطبقات والهيئات .

والا لو صح أن كل فرد أو كل جماعة انما يعنى بمطالبه وصالح بيئته الخاصة لما وجد فى البلاد من يهتم بشئونها العامة ولضاع استقلال البلاد وتحطم البنيان من القواعد وفشل الأمر وذهب ريح الاجماع وتفككت الكتلة المتراصة الصفوف ولو صح هذا حقا لاستحلنا جميعاً عبيداً أذلاء نراض على الخسوف فنرضاه مستكينين صاغرين بل لما استطاع فرد بعد ذلك أن يطالب بحق له أو يذود عن حقوق الآخرين .

ولقد قامت مع روح هذه التفرقة سياسة الحكومات الرجعية فرأيناها تطالب الموظفين بالامتناع عن العناية العامة ، والا تطالبها بها من قريب أو بعيد كما شاهدناها تطالب الزراع والطلاب بالابتعاد عن التفكير فى مستقبل البلاد والمصير العام .

ان هذه الروح ذاتها هى التى يريد اليوم أن يبثها بعضهم فى صفوف اخواننا العمال لتحقيق غاية مدسوسة أثيمة ضارة بحركة العمال متجهة بها فى طريق منافيه للمصلحة مبتعدة بها عن حجة الصواب .

ولكنهم وهذا ايمانى بهم أعقل وأبعد بصرا وأرفع وطنية من أن يلتفتوا لحظة لهذه الدسيسة الأثيمة والعوامل الرجعية المكشوفة والمنازعات المتهمة المريبة لأن الترفع عن التأثر بها واطراحها من حساب النهضة العامة والتنزه عن

الاستماع لحظة اليها هو شأن كل مخلص لبلاده عاملا على خيرها متفانيا فى واجبه نحو الوطن .

وقد اختار الوفد لرياسة المجلس الأعلى لاتحاد العمال رجلا ناصع السيرة حازما محبوبا ضحى فى سبيل بلاده بالمنصب الكبير الذى كان يشغله احتجاجا منه على طرق العسف والشدة التى استخدمت فى محاورة قمع الحركة الوطنية رجلا معروفا بالخير والمروءة والنزاهة هو زميلى أحمد حمدى سيف النصر بك يعاونه فى عمله المتعدد النواحى رهط من خيرة الشباب الذين خصص أكثرهم من عهد بعيد جهودهم للدفاع عن مصالح العمال لمطالبته بحقوقهم وارشادهم الى خير الوسائل لتحقيقها وترقية مستوى بيئتهم فلست أشك فى أن اخواننا العمال دون استثناء ملتفون حولهم مناصروهم حتى تتحقق الأغراض العظيمة التى كانت دائما محل اهتمام المصلحين وعنايتهم .

اليوم فليعمل اخواننا العمال على أن يكونوا كلمة واحدة وكتلة متراصة وطبقة يقظة متنبهة لما يضرها وما ينفعها بعد أن صدر قرار الوفد كاشفا صفة الأمر مبينا خافية هذه الحركات الملتوية التى وجب القضاء عليها اخلاصا إلى العمال وحرصا على قدسية الوحدة العالية

تنظيم الاحسان

« لفقيد البلاد - فى ٢٣ فبراير سنة ١٩٣٥ »

ان المبرة الجليلة التى قامت بها السيدة الكريمة حفيظة هانم رستم الألفية بوقف جميع أملاكها على وجوه معينة من الخير والاحسان جعلتنى أعود الى التفكير فى موضوع كثيرا ما خطر لى ودار بخلدى وهو موضوع يتصل بهذه الناحية ويرتبط بالخير من حيث زيادة موارده وتنمية فوائده وثمراته وهو موضوع تنظيم الاحسان .

ولكن قبل أن أعالج فكرة الاحسان يصح أن أتحدث عن عاطفة الاحسان فى ذاتها وهل هى عند المصريين غريزة المعين حاضرة الباعث محسوسة عند القادرين على الخير معطاة الواجب لها من الذين يتيسر لهم المساهمة فى البر والخروج عن نافلة من أموالهم للاحسان الى الضعفاء والمعوزين

لست أشك فى أن المصريين يميلون فى مجموعهم الى الاحسان وينزعون بفطرتهم الى البر ويجدون من دينهم الذى جعل الزكاة فريضة باعثا قويا على البذل للخير وابقاء الاحسان واذا كانت المادية قد طغت فى العصر الحديث على صوت العاطفة حتى قست القلوب واستولت الانانية على النفوس وانشغل القادرون الى الاستكثار من أموالهم وتنمية ثرواتهم عن الغير به والبذل للخير العام كانت العاطفة نفسها لا تزال قابلة للتوجيه والاحسان بوجوب البر لم تتلاش مطلقا وانما تحتاج الى تربية ورياضة دائمة منظمة على أساس صحيح لما ينبغى أن يبذل الاحسان فيه وينصرف البر اليه ، ليس من شك أن البذل للخير هو عمل صادر عن عاطفة تجد السرور فيه والنشاط النفسى به ولست أقول مع القائلين فى بحث بواعثه أنه عمل انانى بحت ورغبة فى اكتساب الحمد ومجرد شراء المديح والذكر الحسن لأن ذلك يفقده عنصر الفضيلة الذى ينبغى أن ينطوى عليه

فضلا عن أنه أزكار الوجود، ونزعة الشفقة عند الناس والخوف من القدر وتقلباته والمجهول ودورة عملائه واذا ما انعدم هذا النزوع وتلاشى من النفوس هـذا الخوف لم يكن خير مطلقا ولم يبق للفضيلة فى هذا المقام أدنى أثر

النزوع الى الاحسان اذن شعور قوى ومهما كانت نشوة الحياة وتغلب المادية فأن النزوع باق فى النفس ، والعاطفة لا يمكن أن تستأصل شيئا ولكن ما يفسد على الاحسان سبيله ويضعف من فائدته هو أن أكثر القادرين لا يعرفون أى النواحى يحق لهم أن يتوجهوا نحوها بما يستغنون عنه من أموالهم للاحسان ويحارون فى فهم الوجوه الجديره بأن يبذلون فيهـا ما يستطيعون الخروج عنه مما ملكت ايمانهم

فاذا ما عنينا بفكرة تنظيم الاحسان وترتيب وسائله وتحديد وجوهه وتعيين مطالبه العامه فلاشك أن الاحسان ينموا وفريق القادرين عليه يكثر ونواحى الانتفاع به تتعدد وتشمل سائر الضعفاء وصنوف المحتاجين والمستحقين

وأول ما نشاهده من عيوب الاحسان فى مصر هو تركيزه فى جمعية رئيسية تتغذى به ولا تكاد تفيض منه كثيرا على الجهـات والفروع التى تحتاج الى نصيبها منه ولعل الامثلة البارزه عـلى هـذا التركيز كثيرة ليس هـذا موضوع حصرها ولكن يكفى أن نمثل لها بالجمعيات الخيرية التى تألفت لمساعدة الفقراء فان لدينا من هذا النوع أكثر من جمعية جعلت مركزها الرئيسى القاهرة أو احدى المدن الكبيرة فى البلاد حيث يقوم مجلس ادارتها وأكثر مدارسها المنشأة لابناء الفقراء ولا يكاد ينتفع بها إلا سكان المدينة نفسها ، بينما سكان الاقاليم لا يستفيدون منها شيئا ومتى أحس هؤلاء أن أقاليمهم لا تجـد نفعا عائدا على ابنائها من هذه الجمعيات لم يعد شعورهم ينبعث إلى المساعدة ولم يختلج فى عواطفهم الدافع القوى الذى يبعثهم على الاشتراك فى الانتساب لها كما أن الفرد الذى يفكر فى مساعدة الجمعيات وأمثالها يقف مترددا دون الاستجابة لحاسة الاحسان اذ تحدثه النفس بأنه من الغضاضة عليه أولا يحمل به أن يتقدم بشىء قليل الى جمعيـة كبيرة فيمتنع لهذا خلق كثير من القادرين على التضحية

بمساعدات صغيرة أو طفيفة مع أن هذه المقادير مع حصرها تأتى بمجموع حسن اذا هى عمت فريقا كبيرا من الأفراد والمتواضعين فلكى ننمى موارد الاحسان ونحسن القيام عليها ونستفيد بها أفضل الاستفادة لا بد من تنظيم البر واجتناب تركيزه والمباعدة بينه وبين حصره فى مكان معين أو مدينة كبيرة كما هو الواقع الآن اذ نرى أن أكثر الجمعيات تقيم مراكزها الرئيسية فى مدينتين أو أكثر ويكاد مددها ووجه عملها ينحصران فى الوسط الذى تقوم فيه ولا يغذى سائر النواحى الأخرى ومختلف الجهات .

إن خير وسائل تنظيم الاحسان عندى هو ايجاد شعبات محلية من الأشخاص المشهود لهم بالفضل والنزاهة وحب الخير والتبعات مع عاطفة الاحسان فتتولى هذه الشعبات جمع المعونات من الحى أو القسم الذى يقيم أفرادها فيه والاشراف على توزيع البر على المحتاجين والمستحقين فى دائرة أحيائهم أو أقسامهم،فان قيام هذه اللجان فى المناطق الصغيرة يعين أفرادها على تعرف حاجات ضعفائها وحالات بؤسها ومبلغ استحقاق أهل الفاقة للمساعدة والأخذ بأيديها وتخفيف متاعب الحياة لها على أن يكون مرجع هذه الشعب المحلية الى الادارة العامة أو المركز الرئيسى حتى تكون بمثابة الأوردة والشرايين بالنسبة للقلب وسريان الدورة الدموية خلالها الى أطراف البدن وأجزائه بالسواء، ان كل قسم أوحى أو وسط محدود هو فى الواقع وبسبب عاطفة الجيران والتعارف الطبيعى والاتحاد فى البيئة مجتمع صغير قائم بذاته فاذا ماقام أفاضل أهله والبارزون بين سكانه بفهم أحوال المحتاجين منهم ودراسة وجوه حاجاتهم وألوان بأسائهم كان ذلك بلاريب أفضل من البحوث التى يقوم بها المركز الرئيسى للجمعيات الخيرية والتحريات التى يتولاها وقد يحدث فى بعض الأحيان أن لا تصل الى الحقائق والمعلومات الصحيحة واذا ما وجدت الشعبة المحلية انقضت الغضاضة من المساعدة فى الخير بالقليل أو بالتافه ويصبح المجتمع الصغير المنحصر فى الحى أو القسم أو القرية هو الذى يتولى رعاية ضعفائه ويتحرى وجوه البحث ، فتكثر اعداده وتنمو مقادير الاحسان وتزيد الاكتتابات للخير والبر العام .

لقد كثرت لدينا الجمعيات الخيرية المختلفة الأنواع بل لقد كثرت الجمعيات المنشعبة والمتماثلة حتى كاد بعضه يزاحم الآخر ولكنها جميعا على كثرتها لا تزال صغيرة محصورة الفائدة فى الموضوع الذى تأسست له لأنها فقدت روح التنظيم ونقصها التدريجى الذى يجعل من تعدد نواحيها وفروعها ، مجتمعات صغيرة ووحدات متعددة تنتمى الى أصلها وتتصل بمركزها فتعظم الفائدة كما تكثر الموارد بهذا نرجو أن يقف القائمون بشئون هذه الجمعيات ببحث هذه الفكرة ودراسة وسائل تنظيم الاحسان وتكوين الشعب المحلية والفروع واللجان ليمكن من شاهد هذا التنظيم أنه بجانب تسهيل وسائل المساعدة للفقراء تكثر المعونات والتبرعات وتنمو وسائل الاصلاح الاجتماعى فى الهيئات الصغيرة والأحياء المحدودة اذ يصبح أفراد هذه الشعب واللجان بمثابة هداة ومعلمين ومصلحين اجتماعيين فى أحيائهم وأقسامهم فيعم الاصلاح وتنشر مكارم الأخلاق

اقتصاديات

« هذا هو الخطاب العظيم والبحث الاقتصادى الخطير الذى ألقاه الفقيد الكريم يوم ٩ يناير سنة ١٩٣٥ فى المؤتمر الوطنى عن الأزمة الاقتصادية ووسائل علاجها . . . »

دولة الرئيس . حضرات السيدات . حضرات السادة

أحيي المظهر العظيم الماثل فى هذا الجمع الحافل ، الذى لا يترك جلاله وصفاً لواصف ، ولا قولا لقائل ، أحيي مصر فى هذه الصورة المعنوية الرائعة التى تجلت فى اجتماع هذا المؤتمر ، أحيي مصر الوطن العزيز الذى وجد منكم أكرم الأبناء، وأينع بكم وازدهر وطاب منه الغرس والثمر .

أحيي هذا الرمز الجليل للوحدة الرائعة ، والمثل البارز على أقوى معانى الجماعة ، والدليل الحى الملموس على فضل الفكرة الصالحة ، وقوة المبادىء الشريفة المكافحة ، والجهاد الوطنى القائم على الايمان والرغبة الصادقة فى خدمة الأوطان.

أيها السيدات أيها السادة :—

ان الموضوعات الاقتصادية هى بطبيعتها موضوعات جافة ، فلا عجب اذ كان موضوعى قاسيا وبحثى غير سائغ ، ولكنى محاول تقريبه من الافهام بقدر الامكان متناوله متناولا سهلا مستبعدا منه كثرة الشواهد الاقتصادية وعمليات الحساب والأرقام .

الحالة الاقتصادية فى كل بلد مرتبطة بحياته أوثق الارتباط ، متعددة الدوافع بليغة النتائج والمؤثرات . يكفى أن تستعرض هذه النواحى فى أزمتنا المالية خلال السنوات الأخيرة لنتبين مدى أثرها ، وخطر مفعولها ومبلغ تغلغلها فى كيان

الحياة نفسها ومظاهرها المختلفة وصورها المنوعة الألوان .

ولعل أخطر ما تحدثه الأزمات الاقتصادية فى الشعوب والجماعات هو الأثر النفسى والمظهر الروحى ، فإن الأحوال الاقتصادية توجد عند عسرها واشتدادها فى النفوس عوامل متناقضة وأفاعيل متباينة ، واختلاف هذه العوامل وتباينها يرجع الى ما خطرت عليه النفوس من ضعف أو ما طبعت عليه من قوة ، والى مبلغ الرياضة النفسية فى المجاميع والأفراد ، ودرجات الارادة والحلبة وقوة المقاومة ومدى الاحتمال والتراضى . والاشتداد فى الأزمات الاقتصادية مظهر عامل خطير يتوقف مقدار أثره على مقياس مداه فى الأمة وميزان حرارته ، ومبلغ انتشاره وضعفه وقوته وهذا العامل هو رغبة فى الخلاص من الأزمة بأى شكل كان ، ومتى تمكن هذا العامل من النفس أحدث لديها استخفافا بأخطر الاعتبارات أو قلة مبالاة تدفع الى التهاون بكل شىء حتى بما كانت النفس من قبل فى أيام الرخاء ونعومة الحياة تنشرد فيه وتجنح الى الحرص عليها .

وقد ظهر هذا العامل فى أزماتنا الاقتصادية مدى السنوات الأربع الماضية ، وكان أثره واضحاً بلاشك وفعله ظاهر بلا ريب ، ولكن خطره لم يتجاوز أضعف درجاته ، ولم يتعد أقصر أشواطه ومداه ، اذ اقتصر أمره على قلة من الأفراد ولم ينتقل الى المجاميع ، فانحصر الخطر ، وضعف الضرر ولم يصب به غير الذين استسلموا له ولم يعمل فى غير نفوس ضحاياه .

وفى الأزمات يبدو مع هذا العامل الخطر عامل آخر مقابل له ، مدلل على ذاته كما هو مدلل على غيره وهو عامل الرغبة فى التماسك ، والجنوح القوى الى مقاومته بأى شكل كان ، ولو بأغلى التضحيات ، وأفدح الخسائر ، وأشد المغارم وهذا العامل النفسى فى قوة تصميمه يحدث فى النفس أيضا قوة عناد ، وفرط صلابة واشتداد جهاد ، لأنه يوحى الى النفس بأن لا تسلم فى الاعتبارات التى تقدرها ، ولا تذعن لوطأة الأزمات التى تنحنى عليها لتقهرها ، لكن تدفعها فى مختلف درجاتها الى التماسك والتجلد والثبات .

وبقيام هذين العاملين النفسيين الدالين على قيمتها بتعارضهما تحيى ارادة

الفرد كما تحيي ارادة المجموع ، وبهما فى الأزمات الشداد تنصهر النفوس فتظهر أخس المعادن كما تبدو أغلى المعادن ويعرف الذهب الخالص ويتميز التبر والابريز

وهذا ما فعلته الأزمة الاقتصادية فى بلادنا خلال السنوات الأخيرة فقد شوهدت نفوس رخوة استسلمت من أول وهلة لعامل الرغبة فى الخلاص منها بأى ثمن معنوى ، فأقلتها أن تسترد بعض ماديتها من هذا الاستسلام ، ولكنها فى الواقع فقدت قيمتها المعنوية ، ولا يمكن أن تقوم المادية بذاتها ، وانما تتلازم المعنويات والماديات وتتفاعل ومن يفقد ثمنه المعنوى فى المجتمع فهو أرخص الناس وان كان أغنى الناس .

كما شوهدت نفوس أخرى . شوهدت نفوس قوية صلبة أبت الا المقاومة وان استلزمت المقاومة واقتضى التماسك النفسى من التضحيات بالمال واحتمال مغارم وخسائر فادحة ، والتعرض لأساليب كيدية وعوامل سياسية مناوئة . ومظاهر خصومة حزبية طائشة متهورة ، ولست بحاجة الى أن أذكر ما يعرفه الناس جميعا من حوادث المحاجر والمصانع والمرافق ورؤوس الأموال الضخمة التى استهدفت للمحنة الاقتصادية فى ذاتها كما تحملت مضاعفتها والعوامل الكيدية التى زادت فى بلائها وشدتها . فقد رأينا قوة مقاومة تنبعث من أشخاص لم يكونوا معروفين من مجموعة الشعب كله وانما كانوا معروفين فى محيطهم أو نابهين فى بيئتهم وبلادهم وأقاليمهم ولو أن هؤلاء آثروا يومئذ تغليب الاعتبار المادى على الاعتبار المعنوى ولو فى غير استسلام فعلى أو دون خضوع مطلق لوجب يومئذ حساب هذا الاعتبار الخطير عند تقدير تصرفهم ووزن مسلكهم فقد كان الضغط السياسى شديدا وكانت أسلحته وعوامله متناهية فى القتل والفتك والاجهاز .

ولكن الدوافع النفسية هى التى ربطت قلوبهم وقد رأوا أمامهم مجموعة الشعب تقاوم المحنة الاقتصادية ومضاعفتها السياسية بكل ما فيها من قوة وصبر مع ما هى فيه من شظف وفاقة وفقدان مدخر فكان هذا ايضا عاملا آخر ، وإن كان خارجيا فى دفعهم الى المقاومة وتشبثهم بالصبر والجلد على ما تتعرض له حياتهم المادية من المغارم الفادحة .

لقد كانت الأحوال الاقتصادية فى السنوات الأخيرة على هذا النحو محنة ولكن كانت أيضا امتحانا ، لمعرفة مبلغ احترام الجماميع للمعنويات ، وحصرها لتمييز صحيح المعدن من مزيفه ، ومحكا لقوة الروح الوطنى فى البلاد ، وكان من حسن الحظ بل كان موضع الفخار ، أن عدد الذين استسلموا للضغط الاقتصادى ومضاعفته ظل طيلة هذه السنين قليلا لا يعتد به ، ضئيلا لا يذكر بجانب عداد الملايين الذين صبروا وصابروا وقاوموا فنجوا ونجت مبادئهم من كل خطر .

وليس من شك فى أن عامل التجانس والمقاومة مهما كان الثمن ، أحدث نتيجة نفسية أخرى بالغة الأثر ، اذ جعل الزعماء والقادة كلما رأوا البلاد متحملة ما أصابها وشهدوا المجموع صابرا على ما ابتلى به ثابتا على رغم الآلام والمحن الشداد ، معتزما بحزمه منه واكتوائه بعذاب الأزمة وشدته وطئتها مع ما يراه من المعنويات التى تبذل للمستسلمين وتسوية الضائقات التى تحيط بالمفرطين فى حياتهم المعنوية والمتهاونين جعل الزعماء والقادة كلما رأوا ذلك الثبات العظيم يتخذون منه مقويا لعزائمهم ومشجعا على التفانى فى كفاحهم وجهادهم حافزا نفسيا لأرادتهم فى توجيه النضال السياسى الوجهة القومية الصالحة .

ومن الانصاف لهذا الشعب الكريم المعدن أن أجاهر من فوق منصة هذا المؤتمر الجليل أنه مهما تحمل الزعماء والقادة فى السنوات الأربع الماضية ومهما ضحوا به وقاسوه من الشدائد فان ذلك كله لا يقاس فضله بما ينبغى أن يعترف به من الفضل والمجد لهذه الملايين الصامتة التى يتألف منها مجموع هذه الأمة السليمة الجوهر الخالصة المعدن النقية من الزيف ، لهذه الملايين الصامتة التى تحملت ولم تتكلم ، وقاست ولم تضجر ، ولم تتبرم تلك الضحايا المجهولة التى لا يعرفها أحد وهى كل أحد ، بل هذا الجمهور الصبور والجندى المجهول ، والمجموع السليم الذى امتحن بالأزمتين السياسية والاقتصادية نجح فى امتحانها نجاحا مشرفا يستحق التمجيد ويثير الاعجاب .

وبقدر ما شرف هذا المجموع القوى المتماسك وبرز كرم جوهره . ينبغى الرثاء فى غير احتقار لأولئك الآحاد الذين سقطوا صرعى على الطريق وهدت

الأزمة كل قواهم من أول وطأة فان المستضعفين قد طفوا على وجه الماء ، « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » للمجموع السليم من هـــذا الشعب إذن المجد والفخار والثناء ، وللفئة المستسلمة المستضعفة الاشفاق والأسف والرثاء . . . ، وقد كان من اجتماع العوامل النفسية التى أحدثتها الأزمة الاقتصادية فى البلاد نتيجة بارزة ملموسة سيمتد مداها الى المستقبل ويشمل أثرها ما بعدها وذلك أن البلاء الحسن الذى ابتلته الأمة فى مقاومة العوامل الاقتصادية والسياسية فى الماضى القريب يرسل فى الحياة المصرية روح الطمأنينة على مصير البلاد ، والثقة بالنجاح فى تحقيق أمنيتها العليا والفوز بحقوقها كاملة إذ مهما تبدلت الأحوال وتغيرت الظروف ومهما ضعفت بعض النفوس فلا بد من الوصول الى النهاية المقصودة ، والغاية المنشودة ، بل ذلك كله أمر لاشك فيه ، ولا منصرف عنه ولا حواجز مستحيلة دونه ، وسيثمر الجهاد على مر السنين ثمراته ، ويكسب الوطن بالدأب ومواصلة النضال قضيته .

إن هذه المعركة المختلفة الميادين هذه المعركة التى خرج منها مجموع الشعب سليما ما به من سوء ، تنبىء عن مبلغ طهارة الكتلة المتحدة من عوامل التضعف والاستسلام وتدل على أن مصر واصلة حتما الى غايتها العليا ، وهذا هو المشجع على الاستزادة من قوة الجهاد وحشد أقصى العزمات وبذل كل المستطاع فى فى سبيل بلوغ الحق الكامل المنشود .

أن هذا المستودع العـــام من قوة المقاومة لا يمكن أن ينفد وهذا المخزن الروحى الذاخر بكل مظاهر الارادة والعزم والتصميم يتجدد دائما ولا يمكن أن يستهلك وهيهات أن يتلاشى ما فيه أو يفـــرغ ما يحتويه وهيهات أن تحتبس موارده ، أو يشح معينه الدافق الغزير .

والذى يتقدم للجهاد ينبغى أن يوطن ارادته ونفسه ووطنيته على حقيقة واحدة تبرز فى ثنايا تاريخ الجهاد الوطنى فى العالم كله ، وهى أن الغاية لا تتم فى يوم أو سنة لأن حياة الأمم لا تقاس بمقياس أعمال الأفراد وما يحسب طويلا فى عمر الفرد فهو قصير غاية القصر فى عمر المجاميع ، وما رأينا الحرية تنال عفوا

أو تصل الشعوب اليها فى عدد محدود من السنين ، ولكن تنال بالجهود الطوال، واجتياز المكاره والأهوال وبعد مر الأحقاب المتوالية .

هذه هى الأمة البولونية مثلا ، لقد قسمت ووزعت بين الدول الكبار منذ أجيال بعيدة ، وحرمت من الحرية واضطهد الشعب البولونى المجاهد وسامه الظلم ألوان العذاب ، ولكن العاطفة الوطنية ظلت باقية والجهاد فى سبيل الحرية والخلاص استمر مدى طويلا لاانقطاع له الى أن تهيأت الظروف التى ساعدتها على احتلال مقعدها بين الأمم واسترداد عزتها وشأنها بين الشعوب .

وهذه ايرلندا وجهادها وما تحملته من آلام فى سبيل حريتها وما قاساه شعبها الباسل من المقاومة والاضطهاد والتشريد ، لقد بقيت العاطفة قوية على الرغم مما صادفته من مكاره ، وما لاقته من صنوف القهر والاستبداد ، حتى لقد جعل الأرلنديون ما يصيبهم من الضغط والأزمات وأنواع الاضطهاد ، مدعاة للفخر وسببا للاعتزاز كما اتخذوا من ضحاياهم وفداياتهم أسوات حسنة وأمثلة قدوات، أمام الذين يطمعون فى شرف التقديس ويريدون أن يكونوا فى مجد الوطن بناه .

وما دام فى كل شعب مجاهد لحريته ذلك الفرد القوى الشجاع الصبور الذى يضحى ويثبت على الألم وذلك الجندى المجهول الذى لم يقل له أحد افعل هذا ولم ينبعث الا من حرارة وطنيته واخلاصه ولم يتردد ليفكر لحظة فيما قد تتعرض له حياته وانما ذهبت فى سبيل التفانى والتلاشى فى وظيفته أو فى وطنه ، وهو لا يدرى الى أين ، ولا يعلم ماذا تكون العاقبة بالنسبة له وكأنه فى غابة كئيبة مغلقة أو فى تيه كثير الأعشاب مختلط السبل ، مادام هذا الفرد المجهول الذى يتكون من أمثال المجموع الموحد المعروف المعلوم والذى قد لا يجد أن الجماعة الكبرى أو الوحدة العامة يدا تمتد اليه ، ولا كفا رحيمة تصل اليه لا عن تهاون فى تقدير تضحياته ، ولا أصغار لشأن مجهوده . وبذله وتفانيه ولكن عجز عن المساعدة واستحالة شمول المجموع بالمعونة المؤيدة، مادام فى الشعب المعروف هذا الجندى المجهول فان الطريق الى الحرية التامة مسلوك حتما

والاستقلال الكامل الموفر هو نهاية الجهاد وغاية النضال المحققة .

يا حضرات السادة

لقد خرجت الأمة المصرية اذن من الأزمة المزدوجة أزمة المال وأزمة فى السياسة مصهورة خالية من الشوائب ، ثابتة رغم النكبات المنوعة والخطوب ، ولكن فريقا من الناس لايزال يتساءل ، كيف ولماذا لم تثر هذه الأمة مع قسوة الدوافع وشدة الضغط من جميع النواحى وعنت الوطأة عليها من كل جانب وجوابنا لهـــذا السؤال المنكر لسلطة الطبيعة أن الثورة ليست عاملا مصطنعا ولكنه تفاعل نفسانى عام يتهيأ له ظرف خاص أو تغير الى حالة سيئة شديدة التأثير تشمل الجماهير ويجيش أثرها فى الصدور حتى تنبعث من حرارتها الشرارة الكهربائية فتندفع وفى هذه الحالة يحدث الانفجار فى المستودعات النفسية القابلة للالتهاب وليس فى وسع أحد أن ينكر أن هذه الشرارة وجدت فى البلاد على أثر الانفجار السياسى الذى أحدثه صدقى باشا وشركاؤه وظهرت شهبها فى تلك الحوادث الدامية فى المنصورة ودكرنس وبلبيس والزقازيق والاسكندرية وبورسعيد والعنابر وأنحاء القاهرة ولولا حكمة القيادة الوطنية لاندفع لهبها وتفاقم شررها وتعاظم خطرها فهى التى راعت تهدئة الخواطر وتسكين الثائرة وتلطيف حدة الغضب الذى استولى على النفوس .

وقد يسأل فريق آخر اذا كان العامل السياسى لم يبلغ مداه وقضت الحكمة الوطنية دون تفاقم أثره فلماذا لم يتأثر العامل الاقتصادى بهذا الأثر ولماذا لم تندفع بسببه الشعلة المنتظرة منه .

ولكن فات الذين يعجبون لذلك أن يعلموا أن العامل الاقتصادى لا يمكن أن يحدث هذا التأثير الا اذا بلغت المحنة الاقتصادية والحالة المعيشية حد الجوع المطلق ونفاد القوت الضرورى ولست أنكر أن سوء الأحوال الاقتصادية فى السنوات الأخيرة التى جاوزت الأزمة المالية فيها الانقلاب السياسى الخطير كان قد بلغ آخر حدوده ووصل الى أقصى مداه وانه لو كان ذلك هو الشأن فى غير هذه البلاد لثارت بسببه الجماهير وتمردت الجماعات ، فليس امتناع الثورة للعامل

الاقتصادى فى بلادنا ضعفا فى النفوس أوتصورا فى الغرائز أوشذوذا فى الطبائع ولكن مرجعه إلى أن الظروف والمؤثرات الاقتصادية غير كافية لتبينا بسبب قلة حاجاتنا وفضيلة قناعتنا وبالأخص فى القرية والأوساط الدنيا محدودة الاحتياجات بسبب محيط حياتها والمعلوم أنه كلما ارتقى الفرد فى سلم الحضارة ازدادت حاجاته واتسع مدى مطالب معيشته وأصبحت المعنويات أيضا داخلة فى ميزانيته وإن لم تكن مسايرة لروح العصر ولا مصاحبة لمستلزمات الحضارة. الاستقلال التام إذن هو العامل الناجع الفعال فى ترقية مستوى المعيشة ورفع درجة الحياة فى البيت والكوخ والمدينة والقرية ولست بحاجة إلى التوسيع فى هذه الناحية لأنها داخلة ضمن بحوث الزملاء المحترمين مقررى اللجان الأخر فى المؤتمر .

حضرات السادة :

لقد ساءت الحالة الاقتصادية فى السنوات الأربع الماضية سوءا بعيد المدى شديد الوطأ متجاوز الحدود ، وقد تحمل الفلاح المصرى أقصى حصة من سوءها بقوة الصبر الزاخرة فى فطرته ، وتضاعفت كما قلت قلة حاجاته ولكن ليس معنى هذا أن هذه الحالة السيئة محتملة ما دامت واقعة دون حدود الاضطراب وزوبعة الانتقاض وترك السكينة والهدوء وإنما الذى شجع السواد الأعظم من الشعب على الاخلاد والى الصبر الطبيعى فيهم بجانب قلة الحاجات، هو أن المصيبة كانت عامة والضائقة كانت شاملة فتجاذب شمولها فى نفوس الناس مع عاطفة دينية متمكنة من نزعاتهم وهى أن المصيبة إذا عمت هانت متى تساوى الناس فى البلاء احتملوه وقد كان فى الامكان الالتجاء الى وسائل من العلاج صالحة ، والتفكير فى مداواة الضائقة ببعض الأدوية الناجعة مع الاستعانة بالأدوية النفسية فان الأزمة أشبه بمرض وكثير من الأمراض يعالج بقوة الايمان النفسى ومتى وثق المريض بأن الشفاء ممكن وأن العلة ميسورة لم يعد الطبيب يشق عليه استكمال مقتضيات البرء ومستلزمات الشفاء . كان مثل هذا ممكنا فى السنوات الأربع الماضية لو التجىء اليه فعلا وعمدوا أليه أخلاصا

ولكن للأسف كان الطبيب غير موثوق به وكان المريض غير مصدق له فضلا عن أن المعالج كان يحصر كل مجهوده فى معالجة ناحية من المريض على حساب نواحى مرضه ويحاول عبثا مداواة جزء بينما يترك المرض يفتك ببعض الأجزاء

لقد فشل صدقى باشا فى معالجة الأزمة الاقتصادية نعم فشل فى العلاج لو جاز أن نسمى ما فعله علاجا كما فشل كذلك فيما كان يصطنعه من المخففات والمسكنات وكان أكبر باعث على فشله فقدان عامل الثقة ولم يكن مثله ليصيب شيئا من النجاح حتى وإن صدقت نيته واستقامت بالغرض فكرته ، إذ لم يكن الناس يعتقدون فيه أو يشعرون بأدنى ثقة نحوه ولا يمكن أن يحدث الذى يعالج أو يحاول العلاج أى تأثير فى علة المريض ما دام هـذا ينفر منه بل يبغضه ويسترب فيه ، ولسمعة الطبيب دخل كبير فى شفاء مرضاه لأن عامل الثقة متوفر ومتى توفر أحدث تأثيره المحسوس .

وكان فى الامكان أن يتعاون الشعب مع الحكومة فى درأ أخطار المحنة الاقتصادية ولكن الناس أبوا التعاون مع حكومة شخص كهذا لا يتمتع بنصيب ما من ثقتهم وليس له سمعة حسنة فيهم وأعماله السياسية دائما تذكار ماثل أمامهم حتى لقد فضلوا احتمال كل الآلام والتجلد لكل المصائب ومعاناة كل ما يمكن أن يعانوه من أنواع البلاء والسوء على أن يمدوا أيديهم اليه أو يشتركوا معه فى علاج بعضها أو كلها ومحاولة التخفيف من وطأتها الماحقة .

ولم يكن هو أيضا يحاول العلاج مخلصا فى محاولته حتى كان يمكن أن يقوم صدد المحاولة ملطفا من شدة النفور من سياسته مخففا من حدة الكراهية والبغضاء المتمكنة فى النفوس نحوه ولكنه زاد فى ذلك النفور ونفخ فى نار تلك البغضاء بأن أدخل الحزبية - بل الحزبية العمياء - فى تنفيذ ما كان يصطنعه من المسكنات وجعل الانتفاع بها والاشتراك فى نصيب من المساعدات والضمادات التى يوزعها على جرحى الأزمة والمعسرين من قبيل الملطفات محل مساومة وثمنا للتحول عن العقائد فكانت مسكنات وفى الواقع فخاخا ومصائد كما كانت أجرا على التشيع السياسى له والدخول فى زمرة حزبية ووسيلة لابقاء الاشياع بجواره كلما

ملوا البقاء معه غذاهم وتعهدهم بالمنافع والمساعدات ليمسكهم عن الذهاب ويمنعهم من التملص والفرار .

ومن هذا يتبين أن العامل الاقتصادى أثر فى المحنة السياسية كما أن العامل السياسى له أثر كذلك فى المحنة الاقتصادية وفى الوقت نفسه كانت الأزمات تتفاقم وتستعجل وصدقى باشا عاجز عن درء أخطارها وكلما ارتفعت فى السوء درجة ارتبك وأسقط فى يده وارتد حيرة واضطرابا .

وكان من اشتداد الضائقة أن وجدت فى البلاد مشاكل حيوية مستعصية قاسية لاتزال تواجه المشتغلين بها وان قلت درجة تفاقمها بسبب تحسن قليل أو تغيير فى الظروف أو تخفيف من درجة الضغط أو قيام وسائل العلاج الوقتى وظهور استعداد حسن للتفكير القويم فى تفريج شئونها بمختلف الأساليب .

واليوم تواجه البلاد من هذه المشاكل الخطيرة مشكلة الديون العامة والديون العقارية أولا ، أريد أن لا أطيل القول فى المشكلة الأولى لأن البلاد فى شأنها واضح هذا فضلا عن أنها الآن موضع مفاوضات وأبحاث دقيقة وهى فى أيد قوية حازمة تدعو الى الثقة والاطمئنان ، أما الديون العقارية فان وجه خطورتها راجع الى شمولها وارتباطها بأكبر موارد الثروة العامة فى مصر واتصالها بالحياة الطبيعية فيها وخاصيتها الفطرية وهى الزراعة والانتاج الزراعى وقوام حياة الفلاح وهو العامود الفقرى فى كيان الجماعة المصرية .

كما أن الجانب الخطر فيها أيضا يتصل بأشد المخاوف من حيث انتقال ملكية الأراضى المدينة الى المصارف الدائنة وأكثرها فى أيدى الأجانب وأصحاب رءوس الأموال الطارئين على البلاد .

بدأت أزمة الديون العقارية قبل سواها من جوانب المحنة الاقتصادية فى مصر ، وجاءت السنوات الأخيرة فرفعت درجة سوئها واشتدادها وكان السبب الرئيسى لوجودها هو قيام أزمة زراعية اختل معها التوازن بين قيمة الحاصلات وبين نفقات الانتاج أو المطلوبات من الأراضى التى ساءت وتوالى هذا الاختلال بسبب هبوط أسعار الحاصلات سنة بعد أخرى فزاد الأمر سوءا واشتدادا

على الملاك والمزارعين كما أن المتاعب التى جعلوا يعانونها السنين المتوالية والعجز عن سداد المطلوبات منهم واهمال العناية بأراضيهم لقلة المال أو بالتالي لانعدامه كانت من ناحية أخرى سببا فى نقص غلة الأراضى وانحطاط رتبة المحاصيل وما يتبعه من الضرر من تأثير فى الأسعار وتدهور الأثمان .

ولاشك فى أن هذين العاملين — هبوط الأسعار ونقص غلة الأرض — يتفاعلان أو يشتركان فى السوء وتفاقم المشكلة ، وقد يؤديان الى الخراب العام اذا لم تتضافر الجهود على تخفيف أثرهما وعلاج الحالة الناجمة من هذا التفاعل الخطير .

ان دفع الأزمات يختلف تبعا لاختلاف الظروف والأحوال . ولكن أشد مضاعفتها هى تراكم الديون العقارية على الزراع واستحالة النهوض من شدة تراكمها كما أن تحديد أقساط تلك الديون على أساس الحالة الاعتيادية أو أيام الرخاء هو سبب آخر فى حدة وقعها وخطر تفاقمها .

ومتى بلغ حال المدينين هذا الدرك من السوء واستحال معه الوفاء بديونهم أوجب هذا العجز سريان مفعول الشرط المنصوص عليه فى كافة عقود الاقتراض وهو احتساب فائدة الأقساط المتأخرة بسعر تسعة فى المائة فيزداد عجزهم وتستحيل مقدرتهم على الوفاء فيعمد الدائنون الى اتخاذ اجراءات نزع ملكية الأطيان .

ومما زاد البلاء العام من هذه الناحية أن حكومة الانقلاب الصدقية ظلت واقفة موقف المتفرج فترة طويلة حتى بلغت أزمة الديون العقارية هذه المرحلة الخطرة ، وعندئذ وأمام الاصوات من حولها انتبهت الى هذا الموقف الرهيب فتقدمت بين التردد والحيرة خطوة الى محاولة العلاج ، ولكنها فى الواقع قد اختارت لهذه المحاولة أسوأ الظروف وتقدمت متأخرة بسبب تلكأها الطويل ، اذ أصبح مركز المدينين يومئذ أسوأ ما يمكن أن يكون واستحال على أكثرهم الوفاء بالاقساط المستحقة عليهم ، وأخيرا تدخلت فى الامر وأبرمت تسوية مع البنوك العقارية ولكنها جاءت قليلة الفائدة بالنسبة للمدينين وافية فى حماية مصالح المصارف الدائنة ولئن كانت تلك التسوية قد أدت الى تجميد الديون

المتأخرة وتقسيطها مع انقاص مقدار الاقساط السنوية للبنوك الكبرى بنسبة ٢٤ فى المائة تقريبا وتخفيض قليل فى سعر الفائدة ، فلم تكن فى الواقع مانعة عنهم الخطر الذى يتهددهم بشبحه المخيف لأنها لم تكن متناسبة مع عجزهم عن الوفاء ولهذا لاعجب ، أو هى لم تلبث أن ظهرت ضئيلة وقتية لاتدفع شرا ولا تنقذ من خطر .

أما بالنسبة للبنوك الدائنة فقد تفادت ما لا مصلحة فيه من نزع ملكيات الأراضى المدينة إذ ليس من طبيعة عملها أن تتولى هى الاستثمار الزراعى كما توصلت الى تحصيل تلك المبالغ المتأخرة عند المدينين دون أن تتكلف شيئا أو تتحمل ضررا . وقد بلغ مجموع هذه المبالغ مقدار أربعة ملايين من الجنيهات ولم تكن البنوك تحلم بتحصيله لولا تلك التسوية ، فى حين أنها لم تعمل سوى التخفيض غير المحسوس بالنسبة لسعر الفائدة . إذ المعروف أن إطالة مدة القروض ليس فى الواقع سوى عمل عادى من أعماله ووسيلة لضمان استثمار أموالها الموظفة لهذا الغرض .

وقد بقيت أزمة هذه الديون قائمة بسبب ضآلة تلك التسوية وضعف أثرها فى تخفيف الوطأة وتفريجها ، ولكن قيامها لم يقف يومئذ حيث هى بل ازدادت سوءا على مدى الأيام واشتدادا فى الوطأة على المدينين أمام عجزهم عن الوفاء بالقسط الأول الذى ألزمتهم تلك التسوية الصدقية دفعه على شقائهم وسوء حالهم

وسقطت حكومة صدقى باشا يومئذ ولم تحدث شيئا محسوسا حتى فى باب المسكنات الوقتية وقضت الوزارة الفاتحة أجلها ولم تزد على سلفتها أى تخفيف أو تلطيف من حدة هذه المشكلة القاسية ، وان ظل وزير ماليتها يطيل الكلام ويكثر من البيانات ويلقى القول جزافا وتركت بحث هذه المسألة الخطيرة مدعية وجوب انتظار ما يفعله المدينين لاثبات حسن نيتهم لدفع ما يستطيعون الوفاء به من ديونهم وأسرفت فى الوعود بالسعى لدى البنوك ووضعت مقترحات خيالية لم تعمل بواحدة منها .

وكان أولى بالذين من واجبهم العمل أن يحاولوا محاولة جديدة لتخفيف هذه المشكلة المرتبطة بالأزمة الاقتصادية العامة أوثق الارتباط ولو على سبيل التكفير عن خطيئتهم الوطنية فى حق بلادهم لاقامة هذا النظام السياسى الشاذ المهدر للحريات المفسد لسائر نواحى الدولة وأداة الحكم — كان أولى فى سبيل علاج هذه المسألة الخطيرة أن يدرسوا موضعها على ضوء مقدرة المدينين فعلا على الوفاء وما ينبغى للبنوك الدائنة النزول عنه بما هو مستحق لها بعد مراعاة التزامها نحو دائنيها ونفقات ادارتها نظير استفادتها من تدخل الحكومة ومعونتها كما كان ينبغى تحديد مدى هذا التدخل ومقدار تلك المعونة وموردها وسبيل استردادها ، وكان أولى بها كذلك أن تبحث فيما توجب حالة البلاد عليها من العمل ازاء تلك البنوك اذا هى رفضت أن تتحمل بعض التضحية .

هذا هو البحث الذى ينبغى أن تتوفر على درسه الدولة فى سبيل معالجة هذه المشكلة الحيوية .

أما بحث مقدرة المدينين على الوفاء فان ما به هو معرفة قيمة غلة الأرض وما يقابلها من نفقات زراعتها وضرائبها ومتوسط ما يخصصه الفرد لمعيشته وحاجيات حياته وأسرته ، وهذا البحث ميسور اذا عهد به الى هيئات تتألف فى الاقاليم وتضم بين أعضائها ممثلين يختارهم المدينون فيها ومندوبين عن المصارف الدائنة وطائفة من الخبراء الفنيين .

وفى الوسع أن تستعين هذه الهيئات على بحثها هذا بالتقديرات القديمة التى كانت تعتمد عليها البنوك لتحديد قيمة الأطيان بحسب ترتيبها وتبعا لمبلغ جودتها وما تصدره وزارة الزراعة وشركة المحاصيل من الاحصاءات الخاصة بحالة الحاصلات ومقاديرها وقيمتها . على أن تفرغ تلك الهيئات من عملها هذا قبل نهاية ديسمبر من كل سنة أى قبل أن تحل مواعيد دفع أقساط البنوك فى الغالب ، فان الوصول الى موازنة صحيحة بين قيمة غلة الارض وما تتحمله من شتى النفقات كفيل بتعيين مركز المدينين ومدى قدرتهم على الوفاء بالاقساط المستحقة للبنوك عليهم .

ولست أريد أن أعين شيئا فى هـذه الناحية فان ذلك يختلف بلا شك عاما بعد آخر . والآن أتناول الـكلام عن مبلغ ما تطالب المصـــارف الدائنة من التضحية به فان ذلك عمل واجب ما دام خراب المدينين الراهنين مؤديا حتما الى افلاس البنوك المرتهنة .

ان حالة البنك العقارى فعلا تؤكد متانة مركزه وتثبت مهارة المشرفين عليه وحسن ادارتهم وبعد بصرهم ، ولست أريد أن أبسط عمليـة حسابية مستطيلة بسبب تحديد مدى التضحية المطلوبة والميسورة فى الوقت الحاضر ولـكنى لا أكون مشتطا فى تحديد هذه التضحية بمقدار ربع الأقساط (المستحقة) فى سبيل ضمان ثلاثة الأرباع الباقية وفى هذه الظروف ينبغى للبنك استخدام احتياطيه ورصـيده للديون « المعدومة » فانه إذا تنازل عن هذا الربع أغضى عن جزء فى حكم المعدوم من أجل انقاذ الأجزاء الأخرى.

غير أن هذا بطبيعة الحال يقتضى تحديد مركز دائنيه من الدرجة الثانية والثالثة قبل مطالبة البنوك المرتهنة بالتنازل أو التسامح فى شىء مما يستحق له ولست بحاجة الى هذا الصدد إذ يكفى القول بأن قبول البنوك مساعدة مدينيها لن يرجع الا الى ما تجده من المصلحة الـكبرى لها من الاقدام على هذه المساعدة وانها لا يمكن أن تقبل التضحية اذا لم تستوثق من أن المدينين هم وحدهم الذين سيجنون فائدة تضحيتها وتسامحها لأنه بذلك فقط يتحسن مركزهم وتزداد مقدرتهم على الوفاء وفى ذلك أيضا ما يعين على تحقيق ماتنشده هذه البنوك من ذلك التسامح وضمان استخلاصها لأكثر ما يمكن استخلاصه من الأقساط المستحقة على المدينين .

ولم تنجح أية تسوية من شأنها تنازل البنوك عن شىء من مطلوبها اذا كانت فائدة ذلك التنازل عائدة على دائنى الدرجتين الثانية والثالثة وهـــذا هو وجه الصعوبة القائمة فى سبيل حل مشكلة الديون العقارية وهو يقتضى العناية التـامة بدرس حالة أولئك الدائنين من حيث تعيين مقدار هذه الديون ومعرفة كفاية أثمان الأعيان المرهونة لسداد قيمتها لمفاوضة الدائنين فى أمر شراء الحـكومة

لديونهم والحلول محلهم بقيمة ما تدفعه لهم على أن تقسط تحصيلها على مدى فسيح من السنين .

أما فيما يتعلق بالأعيان المرهونة التى لا تسمح حالتها بضمان الوفاء بما عليها من ديون الدرجة الثانية أو الثالثة فليس أمام الحكومة سوى ترك هؤلاء الدائنين وشأنهم وأنهم مضطرون الى الانتظار اذ لن يستفيد أحد منهم شيئا من نزع الملكية ما دامت قيمة العين مستغرقة بديون مقدمة على دينه وحتى لا يتيسر تحديد مدى السنوات التى يجب الاستمرار فيها على هذا العلاج لكيلا تطول فترتها ويتيسر الخروج بالبلاد مما هى فيها من حرج، لذلك ينبغى تخفيف ثقل المصاريف فى كفة الميزان فان الفوائد التى تعود من هذا التخفيف لا تقتصر على المدينين من الزراع والملاك وحدهم ولكنها تعم فى الواقع كافة الأفراد والهيئات لأن ذلك فى الحقيقة من الوسائل التى ينبغى الالتجاء اليها لمعالجة الأزمة العامة التى تنوء البلاد تحت عبئها الأليم ومن هنا كما لا يخفى يحدث علاج المشكلة العقارية أثره الحسن فى تخفيف الضائقة عامة .

ومن وسائل تخفيف ثقل المصاريف العمل على مساعدة الزراع فى الحصول أولا على أجود البذور والسماد بأثمان معتدلة حتى لا يقع فى مخالب المرابين ويهدف لأطماعهم وثانيا فى الحصول على مصاريف الزراعة وهذا ما كانت حكومة الوفد الماضية تنشده وترمى اليه بتقريرها مبدأ انشاء بنك التسليف الزراعى ولكن مع الأسف جاءت الحكومة الصدقية فأقامته لتسىء استخدامه وتستغل الفكرة أشنع الاستغلال جاءت لتحيله عن معناه وتصرف عمله فى غير وجهته ومرماه جاءت تلك الحكومة الحزبية فجعلت منه أداة لمحاربة الأمة مصيدة تحاول بها اقتناص الناس واصطياد المأزومين والمدينين فى حبائلها على أمل أن تزيد بذلك فى عداد أنصارها واشياعها .

ولكن خاب أملها ، وطاش سهمها ، إذ رفضت الأمة فى مجموعها أن تتزحزح عن موقفها المشرف وثباتها الرائع وفضلت أن تقاسى من وقع الأزمة ما تقاسى ، على التفريط فى حقوقها الوطنية .

واذا كان قد فات فى مبدأ الأمر معظم الغرض الذى أنشىء بنك التسليف لتحقيقه فقد ساعد ثبات الأمة وفشل خطة صدقى باشا وسوء استغلاله على رد البنك الى طبيعة عمله واتخاذ اتجاهه المستقيم شيئا فشيئا بعيدا نوعا ما من «الحزبية» الايجابية العنيفة ، كما ساعد الوقت والمران موظفيه على اكتساب الخبرة الواجبة وإن كانت قواعد تنظيمه ووسائل تطبيقها لا تزال بحاجة الى كثير من التحوير والتبديل لكى يحقق البنك الغاية الكاملة منه والغرض الذى كانت الحكومة الوفدية صاحبة الفكرة فى انشائه ترمى اليه .

ويؤدى الى الغرض ذاته الذى يقصد اليه تخفيض مصاريف الزراعة وانقاص أجور النقل والحلج والتخزين والتأمين وغيرها والعمل على زيادة غلة الفدان وتوخى أنجع الوسائل فى محاربة الآفات الزراعية ورفع أسعار الحاصلات بايجاد أسواق جديدة وبتحسين ريها وأنواعها وعلى الأخص بالتيسير على الزراع حتى لا يلزموا أو يكرهوا على بيع حاصلاتهم فى أوقات غير مناسبة ، فان هذا التيسير كان للاسف منعدما أو قليل الأثر فى السنين الأخيرة بحكم القسوة والاعنات فى جمع الضرائب ، وما عهد تحصيلها بالسياط والعذاب الشديد ببعيد

ولهذا التيسير أيضا وسيلة أخرى كبيرة الأثر والفائدة وهى الجمعيات التعاونية أو ما فى حكمها كما أنه من بين وجوهه الصالحة استخدام الضرائب الجمركية اذا ما حسن استعمالها كأداة لتحقيق هذا الغرض .

وأما أثر تخفيض ما يحصل من الضرائب العقارية ووسائله ومقدار التسامح فيه فلست أجد ما يقال فى هذا الصدد سوى أنه يحسن التسامح نهائيا فى جزء منها ، يتغير سنويا تبعا لتغير الظروف والاعتبارات وعلى أن يكون هذا عاما وبنسبة معينة محدودة وذلك لأنه لا يجوز فى الأزمات الحاضرة التى لم تستقر الأحوال فيها بعد احداث أى تعديل نهائى فى قيمة هذه الضرائب .

وبين وسائل التخفيف والتيسير على الزراع وتحسين الحالة العامة أن تعمل الحكومة على مطالبة البنوك بالعودة الى فتح باب الاقراض وتخفيض سعر الفائدة الرسمى بما يناسب هبوط سعرها فى غير هذه البلاد .

وهنا تعرض لنا ملاحظة نراها جديرة بالاشارة وذلك أن الفرع العقارى لبنك التسليف وهو الفرع الذى أنشأته الحكومة لأقراض صغار المالكين الذين لا تقبل البنوك العقارية معاملتهم جعل القاعدة فى عمليات الاقراض لهذا الفريق من الملاك لاتتجاوز السلفة الف ومائتى جنيه وحدد الفائدة بسعر سبعة فى المائة مشترطا ألا تزيد قيمة الضرائب التى يدفعها المستقرض عن خمسين جنيها فى السنة ثم جعل من باب الاستثناء جواز رفع قيمة القرض الفين وأربعمائة أى الى الضعف لمن لا تقبل بنوك التسليف على قرضه ولكنه فى هذه العمليات حدد سعر الفائدة بثمانية فى المائة .

هذا هو الحادث الذى هو ولا ريب عجيب لأن البنوك العقارية تترض بسعر ستة فى المائة ولذلك تصعب مطالبتها بتخفيض سعر الفائدة ما داءت الحكومة لاتتجاوز هذا السعر فى عمليات السلف التى يتولاها الفرع العقارى من بنك التسليف وانما نتوجه بالرجاء الى الحكومة أن تكون فى هذه القروض قدوة لسواها بأن تخفض هى سعر فائدتها أولا لتحذ البنوك حذوها فى هذا السبيل.

نقول ذلك ونحن مدركون تماما اختلاف ظروف عمليات القروض التى يقوم بها بنك التسليف العقارى الحكومى عن ظروف عمليات القروض التى تقوم بها البنوك الأخرى .

والآن نعود الى تناول وجوه تخفيض النفقات عامة فنقول انه ينبغى العمل على تخفيض نفقات معيشة الافراد بانقاص أجور النقل والتعليم وغيرها والنظر الى تحقيق هذه الغاية من طريق تعديل الضرائب الجمركية كما ينبغى الاكثار من المنشآت التعاونية وغل أيدى شركة الاحتكار وايقافها عند حدها .

ولا يخفى أن ذلك كله وان جاء فى باب الحديث عن المشكلة العقارية التى قدمناها فى البحث على غيرها الا انه يشمل الازمة من وجوهها المختلفة ونواحيها المتعددة .

وليس من شك فى أن تحقيق هذه الوسائل التى عيناها بشأن تخفيف ثقل المصاريف يزيد فى مقدرة المدين على السداد فاذا فرضنا انه بالرغم من ذلك كله

لا يزال هناك مدينون لا يستطيعون الوفاء بثلاثة الارباع من المستحق عليهم من المصاريف الدائنة بعد التسامح فى الربع الذى أشرت اليه وانما تقف مقدرتهم على الوفاء عند نسبة أقل من ذلك . كالنصف مثلا أو نحوه ، فان علاج ذلك هو أن تتولى الحكومة دفع الجزء الباقى لتكملة الثلاثة الارباع الى البنوك الدائنة على أن تقسطه على هؤلاء المدينين بأقل مايمكن للفائدة وفى مدى متسع من السنين . وقد جرى هذا البحث بسبب علاج أزمة الديون العقارية على الاعتقاد بأن البنوك الدائنة سوف تتقبل التضحية بجزء من مطلوباتها قبل المدينين اذا استبعدنا رفضها وتجاوزنا عن احتمال اصرارها على استخلاص كل ماتطالبهم به . لمعرفتنا الوثيقة بحسن استعداد هذه البنوك ولیقيننا التام بحكمة مديريها وتقديرهم لمصلحة البنوك نفسها وادراكهم وجوب مراعاة مصلحة المدينين لارتباط المصلحتين .

ولكن اذا رفضت المصارف الدائنة هذه التضحية - وهو هنا فرض احتمال - واذا وجدنا متعنتين لا يحفلون بهذه المصلحة المشتركة خوفا ، أو طمعا فان الحكومة فى حالة كهذه يمكنها الالتجاء الى وسائل ثلاث : أولا — أن تمتنع عن بذل أية مساعدة كانت لهذه البنوك . ثانيا — أن تزيد مقدار الاموال التى تعطيها لبنك التسليف العقارى الذى يعمل الآن لمساعدة صغار المزارعين زيادة تمكنه بعد ذلك من مساعدة كبارهم أيضا . ثالثا — لما كانت الحكومة تملك مقدارا كبيرا من الاسهم فى هذه البنوك فان لها أن تستخدم حقها فى وقت اجتماع جمعيتها العمومية لمحاسبة ادارتها عن الاضرار التى تعود على المساهمين وهى منهم من جراء التعنت ورفض التضحية وما ينطوى هذا الموقف عليه من تعريض مصالحهم للخطر الذى تتعرض له حتما من عسر المدينين وعجزهم عن السداد والالتجاء بسبب ذلك الى نزع ملكية أراضيهم ورسو مزادها على البنوك وهى لم تخلق للاستثمار الزراعى وليس فى وسعها مطلقا استغلالها استغلالا يصون مصالح المساهمين كما دلت على ذلك التجارب وقامت الشواهد اذ تبين أن ادارة البنوك للاراضى الزراعية التى الت اليها ملكيتها من هذا الطريق لم تصب أدنى

نصيب من النجاح فضلا عن أن زيادة نزع الملكيات من شأنها بلا شك أن يزيد الخطر استفحالا وتضيف سوءا الى سوء .

هذه هى الاعتبارات التى راعيناها فى استبعاد رفض البنوك التسامح اليسير مع مدينيهم مع اعتقادنا الحسن فى حكمة مديريها وحزمهم فى أخذ الأمور مأخذ التهوين والتيسير لا مأخذ التصعيب والتعسير .

وما من شك فى أن علاج المشكلة العقارية سيؤثر أثرا محسوسا فى الحالة التجارية ومدى الأخذ والعطاء إذ كلما ازدادت مقدرة الناس على الشراء وتوسعوا فى معيشتهم وكلما هبطت المواد اقتصروا على أقل الممكنات واضطرتهم قلة ما فى أيديهم الى الاستغناء عن الكثير من الحاجيات وفى بلد زراعى تتأثر التجارة تبعا لتأثر الأحوال الزراعية فاذا تحسنت هذه انتعشت تلك وقامت الثقة مقام الشك فلا تلبث البنوك أن تعود فتبسط يدها بعد أن قبضتها طويلا ولها العذر فى قبضتها لأنها تدافع بذلك عن مصالح أصحاب الأموال المودعة لديها لاستثمارها والحكمة المالية هى رائدها فى معرفة متى تجعل يدها مغلولة ومتى تبسطها أصلح البسط .

ان الازمات بطبيعتها وخواصها تتوالد وأسباب العلل تتضاعف وتتفاقم فلا عجب اذ تشابكت نواحى الأزمة الاقتصادية فى البلاد وأخذ بعضها برقاب بعض ولكن متى انتعشت ناحية سرى انتعاشها الى بقية النواحى .

أن الرواج أيضا يتوالد ويخلق جديدا فى بابه وأسباب تنميته ووسائل الانتفاع به وكما أن حالة الركود وعواملها تحوى فى ذاتها جرثومة اشتدادها كذلك تنطوى حالة الانتعاش على نواة تقويتها وتنميتها واستمرارها وتكاثر فروعها المختلفة . لقد آن للثقة أن تعود لأن الجو الحالى يساعد فى عودتها وما دامت الصلة بين الحكومة والشعب قائمة على قواعد التأييد والرضى وتبادل الشعور ووحدة الاتجاه فان التعاون على العلاج مكفول كما أن اعتقاد المريض بمهارة طبيبه وحسن نيته ، وكامل عنايته عامل نفسى كبير الأثر فى تقصير مدة العلاج ، وبلوغ مرحلة النقه ، ودور الشفاء .

وليس فيما أشرت اليه من الوسائل العلاجية ما يستقصى الأخذ به أو ما لا يدركه ، وما دامت روح الثقه قد أخذت بوادرها تظهر فان المستقبل القريب كفيل بتحسين مطرد وانتعاش ، تنمو درجاته على الأيام .

* * *

العمل الصالح عنوان لفاعله ، ولا نزاع فى أن الأمة التى تعتبر نفسها مسوقة لزعيم تقتل بيدها حياتها ومستقبلها .

* * *

خير أمة هى التى ينقاد اليها الزعماء طواعيه

* * *

الرجل الشجاع النزيه ، هو الذى يجعل مكانه من قلوب أمته باخلاصه لها ودفاعه عن حريتها ، ومضيه لاعزازها وتقرير كرامتها .

* * *

ان الرحلة الى الحرية لم تتم بعد ، وانا لانزال دائما بحاجة الى التضحية وانكار الذات .

* * *

انه سيأتى قريبا اليوم الذى نحقق فيه أمانينا الوطنية كاملة ونتمتع بحريتنا القومية تامة ؟

أحمد ماهر

حـــديث

« فى ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٣٦ رأى تحرير الجهاد أن يستطلع رأى سعادة رئيس مجلس النواب فى بعض المسائل العامة وكان الرئيس يومئذ الشهيد احمد ماهر فأدلى اليه بالحديث السياسى الخطير عقب المعاهدة وقد عالج فيه أعباء العهد الجديد علاج الحكيم الخبير »

اعباء العهد الجديد ، كيف نكون جيشنا ؟ كيف نعالج مشكلة المتعلمين العاطلين ؟ . كيف نسير فى طريق الاصلاح ؟ . عقب المعاهدة !! . .

الى أى درجة تعتقدون سعادتكم بقدرة مصر حكومة وشعبا على الاضطلاع بأعباء العهد الجديد بعد إبرام المعاهدة .

إن ثقتى بقوة مصر حكومة وشعبا على الاضطلاع بأعباء العهد الجديد ثقة كبيرة جدا لا حد لها . ان الثقة بأنفسنا عظيمة والرغبة الصميمة التى نحس بها جميعا للوصول الى أغراضنا وتحقيق أمانينا رغبة قوية متوفرة فى ذلك الشعب المصرى الذى جاهد وناضل طيلة هذه الأعوام فى سبيل نهضته واستقلاله واعلاء كلمته انما هو شعب مجيد لا يتردد لحظة واحدة فى كل تضحية تطلب منه ولا يرضى أن يسير فى طريق إلا فى الطريق الموصل الى مجده وعظمته كأى شعب له تاريخ عظيم حافل بجسام الحوادث وعظم الأمور والحكومة وعلى رأسها دولة مصطفى النحاس باشا وهو الشخص الذى قاد الحركة الوطنية بالمهارة والتضحيات الكثيرة التى تحملها وليس هناك داع لذكرها الآن ، هذه الحكومة

التى سار بها منذ بدأت المفاوضات بقوة وعزم ويقين صادق الى الآن ستسير فى طريقها وسيبذل دولته مجهوده ووقته ويضع مواهبه وما عهد فيه من عمل وارادة قوية حتى يصل بالبلاد الى تحقيق أمانيها كاملة وحتى تتبوأ المركز الذى يليق بها.

وهذا هو يقيني ومقدار ثقتى بقدرة الشعب والحكومة وعلى رأسها النحاس باشا فى الوصول الى الغاية التى ننشدها جميعا ونرجو الله أن يحقق قريبا ان شاء الله أمانينا جميعا فوحدة اللغة والقومية تربطنا ولسنا كبعض الشعوب الأخرى مثل البلقان أو البلجيك فى اختلاف العناصر حتى نتقاتل.

هل ترون سعادتكم قريب أم بعيد ذلك اليوم الذى تستطيع فيه الدولة المصرية أن تحمى حدودها وحرية الملاحة فى قناة السويس بقوة جيشها وبحريتها وطيرانها الحربى؟

ان المسألة فى هذه الحالة مسألة تنظيم ومالية وأنا اعتقادى أن الاعداد العسكرى نفسه لا يحتاج الى وقت طويل لأن أدوات الجيش ومعداته تحتاج الى مال وحيث توفر المال أمكن ايجاد جيش قوى منظم أحسن تنظيم فلتكوين جيش يجب الحصول على المال اللازم وتوفيره من شتى الطرق ويجب على الحكومة فى هذه الحالة أن تسير فى سياستها المالية على خطة معينة وهى توفير المال لتكوين الجيش من كل باب يمكن التوفير منه واعتقادى أيضا ان المصريين جميعا على استعداد لتحمل كل ما يطلب منهم لتوفير المال وايجاده بشرط أن تعمل الحكومة من جانبها على ايجاد المال وأمامها وجوه كثيرة لاقتصاد المال منها ومهما اقتضى الأمر بعد ذلك من تضحية فهذا يحتمل فى سبيل اقتصاد المال وليس من شك فى أن الأمة تقبل بعد ذلك من جانبها أن تتحمل أى تضحية وكلنا على استعداد لتحمل التضحية وأظن أن التضحية المالية هى أخف التضحيات على كل حال هناك دائما المال الاحتياطى فى خزينة الحكومة ولكن اذا احتاج الأمر للتضحية من جانب الشعب فيجب أن يتقدم الجميع ويقف الى جانب الحكومة ويساهم بنصيبه فى التضحية وأنا أعتقد أن هذا رأى معالى وزير المالية وانه سائر ان شاء الله الى النتيجة المطلوبة والى تحقيق الغرض الذى نسعى اليه

جميعا . . . فالجيش هو القيادة والضباط وصف الضباط ولتأسيس كل هـذا تأسيسا جديدا قويا منظما يحتاج الى شيء من الوقت . ان ما رأيناه في المصرى من عزم وثبات في أى جهة يتجه فيها برغبته وثقته التامة في نفسه وقوة يقينه في العمل وما هو معروف من شجاعة الجيش المصرى ومهارة القواد في الظروف السيئة التي مرت به ، كل هذا يجعلني اعتقد اعتقادا تاما أن هذه المسألة ليس من العسير تحقيقها وحلها ولا تحتاج الى مجهود كبير ! !

وبهذه المناسبة وفى العهد الجديد سيكون لوزارة الحربية المركز الأول بين جميع الوزارات وعلى وزير الحربية أكبر المسؤليات وأخطرها والمجهود الذى يجب أن يبذله في هذه الناحية مجهود هائل وان الاصلاح كله سيتوقف ليس فقط على الرغبة - رغبة الاصلاح الموجودة في النفس - وانما على الخصوص تتوقف على الحزم والتنظيم لأن المطلوب في الواقع هو انشاء وتكوين جيشنا وادخال تحسينات عليه ، في الحقيقة غير موجود الآن ونحن نريد تكوينه من جديد .

رأيه في أزمة العاطلين

ترون سعادتكم تزايد العاطلين من المتعلمين أو انصاف المتعلمين عاما بعد عام وترون أن داء طلب الوظيفة الحكومية بعد احراز الشهادات على اختلاف درجاتها وأنواعها ما زال متسلطا على النفوس كشأنه أيام أن كان يقول اللورد كرومر « أن مهمة المدارس في مصر انما هى تخريج موظفين للحكومة » فماذا ترون من وسائل الاصلاح لهذه الحالة التي يتفاقم ضررها يوما بعد يوم هل يعالج الأمر بحصر عدد الأماكن المختلفة بحيث لا يزيد عن حاجة الحكومة أم يباح التعليم للجميع في جميع المعاهد دون تحديد للعدد على أن يبذل مجهود كبير في تحويل نفوس المتعلمين عن الوظائف أو الأعمال الحرة وهل تتسع الأعمال الحرة للجميع اذا رغب فيها هذا العدد الضخم من المتعلمين وانصاف المتعلمين . ؟

في الحقيقة مسألة المتعلمين المتعطلين مسألة مبالغ فيها كثيرا ، حقيقة يوجد عدد كبير من المتعلمين العاطلين ولكن سبب هذا لا يرجع الى عدم وجود الأعمال ولكنه يرجع الى كما تقولونه في السؤال من أن داء طلب الوظيفة الحكومية متسلط على

نفوسهم فلماذا لا يشتغل ابن الزارع فى الزراعـــة ويجهد فى ادخال التحسينات الحديثة على زراعته فيتحسن مركزه وما ليته فى هـذا البلد حتى تستطيع التصدير بدل الاستيراد ونواحى الانتاج كثيرة نذكر منها على سبيل المثال تربية المواشى يجب أن تنشأ المراعى وتدرب المناطق التى تصلح لتربية المواشى وبذلك يمكننا ايجاد مصدر ثروة هائلة .

علينا أن ننظم زراعتنا تنظيما حديثا بالطرق التى يتعلمها طلبة الزراعة فتحسن الزراعة ويزيد انتاج المحصول بحيث يتناسب مع قوة الأرض ونحن اذا قارنا بين محصول بلادنا ومحصول البلاد الأخرى نجد الفرق كبيرا وذلك لأن وسائل التنظيم لا تستخدم استخداما كافيا فيجب أن يصرف الشبان المزارعون فى هذه الناحيـة ،وذلك خير لهم من البحث عن الوظائف والدرجات، يجب على الشاب المزارع أن يشتغل اذا احتاج الأمر تحت التمرين ثم بعـد ذلك تهيء له كفاءته وجهوده المركز اللائق به . وهـذا ما يحدث تماما فى العواصم الأخرى على أن كل هذا لا يمنعنا من القول بأنه يوجد عدد زائد عن الحاجة وأرى أنه يجب الموازنة، نعم يجب عمل توازن فنساعد من جهة على ولوج الأعمال الحرة مع مراقبة تطورات الحالة الاجتماعية فنساعد مرة فئة من ناحية ثم نساعد فئة أخرى من ناحية ثانية وهكذا يوجد التوازن وأرى أن الأخصائيين يمكنهم تدبير الأمر ومعالجة هذه الحالة على أن يكون أساس العلاج هو تغير روح الطالب واعتقاده أنه يتعلم ليطلب وظيفة من الحكومة بل يجب أن يدرك أنه يتعلم العلم نفسه فاذا لم تتغير هذه الروح واذا لم يمكن لولاة الأمور تغييرها فليس من شك فى أنه يجب تحديد عدد الطلبة فى التعليم الاعدادى

ان الغرض الأساسى من التعليم هو العلم نفسه أولا ومد الطلبة بأسلحة تمكنهم من المعيشة سواء كانوا فى الوظيفة أو كانوا فى الأعمال الحرة واذن يجب تغيير الروح الموجوده فى نفوس الطلبة وحملهم على الاعتماد على النفس وأن يشقوا طريقهم فى الحياة بسواعدهم وأظن أننى لست فى حاجة لأضرب الأمثال وماذا كان قبل أن يصير الى ما هو عليه الآن والمركز الكبير الذى وصل

اليه بمجهوده وكفاءته وقدرته على النجاح ولا ريب أن فى الأعمال الحره صعاب كثيره يلقاها الرجل فى بدء عمله ولكن وان كان يجد الشدة فى أول الأمر غير انه فى النهاية يجد النجاح وقيمة النجاح ومقـــداره له لذة كبيره.. .أما ان تجد فى كل مائة شاب فى وظيفة حكومية واحد يطمع الى مركز الرئيس فهذا لا يمكن التسليم به ولا يرضاه أحد فللوصول الى الدرجات الكبيره والمراكز الرئيسية فى الحكومة عوامل كثيره لا ضرورة لذكرها ولكن الشاب الذى يشتغل فى الاعمال الحرة ليس له الا نبوغه ومواهبه وقدرته على العمل وكفاءته وقناعته وأمانته ورغبته فى تحقيق أمل من آماله كل ذلك كفيل بنجاحه وجعله يتبوأ المركز اللائق به فالحكومة من جانبها لا تستطيع أن ترغم الشركات على اعطاء الموظف المصرى المرتب الذى يطلبه ولكنها ستعطيه المرتب الذى يساوى عمله فلو جاءنى شاب يحمل شهادة الليسانس وطلب أن يشتغل فى وظيفة سائق سيارة فأننى أعطيه مرتب سائق سيارة وبقدر مهارته وليس لى أن أعطيه مرتبا على أساس شهادته.

فيجب على هؤلاء الشبان الاقتصاد فى طلباتهم وكما احتملوا سنى الدراسة الأولى فيجب أن يحتملوا المتاعب التى يلقوها فى السنوات الأولى بعد خروجهم من المدرسة الى الحياة العملية حتى تصير الأمور أمامهم حقائق لا خيالا.

يشاهد فى القرى بوادر خطر نبتت بوادره منذ سنوات وذلك أن الكثرة العظمى من أبنـــاء الريف يحتقرون عمل آبائهم المزارعين الفقراء على أثر التحاقهم بمدرسة من مدارس التعليم الأجبارى والأولى لاعتقادهم الخاطىء أن من يقرأ أو يكتب لا ينبغى أن يحمل الفأس أو يحرث الأرض حتى أصبح العاطلون من هذا النوع يحصون بالمئات فى كل قرية وحتى أوشك أن يقرض ذلك الساعد المفتول وتلك اليد العاملة التى كانت وينبغى أن تبقى عمودا فقريا لثروة البلاد وقوتها فماذا ترون سعادتكم من علاج لهذا الخطر الملحوظ؟

هذا صحيح فابناء الريف بطبيعة الحال يميلون الى المدن وانتاج الصناعات أكثر من انتـــاج الزراعة. وهذه معضـــلة تواجه كل الحـــكومات

فى العـــالم فـــتراها تبذل جهودا كبيرة فى ترغيب أبنـــاء الريف على البقاء فى بلادهم وأرى أن فكرة الكسب الكثير الذى يراه أبناء الريف اذا جاءوا الى المدن فكرة فيها بعض الخطأ .

ويجب على الأعيان أن يفهموا أن بقاءهم فى بلادهم أحسن لنجاح أعمالهم ونتيجة ثرواتهم فنى المدن عيشة انفاق وعبث أما فى الريف معيشة انتاج وعمل وهذا يظهر أوقات الأزمات فترى الاعيان يعودون الى الريف لقلة النفقات وانعدام وسائل الاسراف فأرجو أن يتيقظ الشبان من هذه الحالة ويؤثرون العيش فى بلادهم على العيش فى المدن مادامو ا يستطيعون العمل فى بلادهم .

هب سعادتكم أن مصر ذات أسرة عظيمة واحدة ثم عهد اليكم بتنظيم شئونها وأوامرها والنهوض بمرافقها فما هى ضروب الاصلاح اذا أخذتم بتقديم الاهم على المهم واذا وضـــعتم لأنفسكم برنامجا وعولتم على انشائه فى عشر سنوات !

أرى أن طرق الاصلاح كلها يجب أن تسير مرة واحدة فيجب أن تصلح التجارة والزراعة والصناعه وكلها موارد الثروات فاذا زدت فى موارد الثروة أمكنك أن توجد سككا حديدية وتنشىء المدارس والمستشفيات فكل شىء لابد منه . المدرسة لابد منها والمستشفى لابد من ايجاده والطيارة ضرورية والمهم هو وجود توازن فى عملية الاصلاح .لابد كل اصلاح يستوجب اصلاحا آخر فتقدم التعليم يساعد على تقدم الصناعة والتجارة والزراعة ووسائل تحسين الصحة تحتاج الى مستشفيات فأنا لا أستطيع أن أرتب طرق الاصلاح بحيث تكون أولا وثانيا وثالثا يجب أن تكون كما قلت لك أن تسير دفعة واحدة فى طريق الاصلاح وأن نوجد التوازن فبينما نزيد فى تحسين ناحية نعمل على تحسين ناحية أخرى ولايجب أن نضاعف المجهود فى ناحية ونهمل الناحية الأخرى لأن معنى هذا وجود خلل فى التوازن ؟

أحمد ماهر

من شغاف القلب :

ابنـــــتى

قطعة من الأدب العالى تمثل أروع ما فى
الأبوة من عطف وحنـــان بقلم فقيـد الوطن
أحمد ماهر فى أول نوفمبر سنة ١٩٣٤

أصـــارحك القول بانى لو لم أخبر ابنتى بما طلبت منى الكـتابة فيه ولو لم تستحثنى على تحقيق وعدى فى مقابل أن تـكـتب لى وحدى عن (ابى) لاعتذرت عن اجابة طلبك لأنك أردت منى أن اتحـــدث الى قرائك عن أمر يقتضى تحليل عواطفى وعرض نفسيتى وشرح عوامل خفية قد كان لها أثر عميق فى حياتى . ولذلك لأنك تريد منى أن أكتب عن عاطفة عميقة فى النفس . بل هى أعمق الغرائز الانسانية فيها . ومن لم يـكن والدا هيهات أن يدرك احساس الأبوة فان هذه العاطفة التى أشعر بها فى أعماق صدرى هى شىء أحسه ولـكن يصعب على أن اصفه . وانى لأعتقد استحالة وصول أى شخص مهما حاول الاستعانة ببلاغة اللغة الى التعبير عن غريزة متأصلة كـهذه ممتزجة بدمه وحياته

أحب ابنتى هذا هو كل ما أستطيع أن أقوله وأردده . وقد زاد فى مبلـغ هذا الحب — وهو وحده شديد بالغ القوة — أنها قد حرمت من والدتها وهى فى المهد فهى يتيمة من هذا العهد وأنا لها من صغرها الأم والأب

وهى تجد عندى هذه العاطفة المزدوجة معا فى حب عام وحنان كلى وفى حب خاص من كلتا ناحيتيه . فاذا ما أرادت شيئا مما تقتنى الفتيات أو مما يطلبن من الزينات التمست رأيى فيما تقتنيه واستشارتنى فيما تشتريه كما أنه اذا ما خطرت لها فـكرة أو صعب عليها الاهتداء الى مسألة ذهنية من المسائل طلبت مساعدتى وسألتنى فـكرى

وقد تأثرت بى من ناحية شـــعورها الاجتماعى كما وجدت فى هذا أكبر فخرى وأعظم سرورى . فهى تعتقد مثـــلا كما أعتقد تماما أن المثل الأعلى للسيدة الفاضلة هو شخصية حضرة السيدة الجليلة صاحبة العصمة أم المصريين اذ ترى فى شخصيتها الرفيعة مثال الوفاء للوطن والوفاء للشريك والوفاء للمصريين جميعا اتخذتهم بنين

وليس عجيبا ذلك منها فقد نشأت هذه الصغيرة على أحداث الثوره وألفت كبار الحوادث ودرجت فى محيط وطنى . وأذكر فى أيام حبسى الاحتياطى بسبب قضية الاغتيالات السياسية المعروفة — وكانت يومئذ صبية لم تتجاوز العقد الأول — أن جلس أحد اقاربها يتحدث اليها عن أبيها فأراد فى قسوة شديدة أن يختبر مبلغ صبرها وقوة تحملها فقال لها : « أرأيت كيف صنعوا ببابا » وكيف، أنهم اعتقلوه وسجنوه ؟ فلمعت عيناها ولكن لم يتحير الدمع فيهما وأجابت : « وماله يعنى ؟ أنا أعرف أنه محبوس لانه يحب مصر وأنا فرحة لذلك مطمئنة »

وعلى هذا كان لحبى إياها ناحية جديدة فانا أحبها كأب وأحبها نيابة عن الام وأحبها وطنيا يفخر بالوطنيين، والوطنيات .

ولو أردت أن اتحدث لك عن تواضعها وقناعتها لطال المقال الى مالا يحتمله المقام . ولذلك أترك هذا جانبا للاشارة الى أنها عما قليل مفارقتى الى حياة الاسرة ومعيشة الزوج . ومهما أحاول تسكين ثائرة أنانيتى . . . أنانية الاب الذى يشعر بأن ابنته قطعة من لحمه وبضعة من روحه ودمه فلا أجد ما ينسينى تصور هذا الفراق . غير أننى أسلمتها الى ذمة من أعتقد أنه سيجعلها تستمر على الشعور بذلك الشىء الروحى النادر فى الحياة . وهو السعادة والهناء .

من مهجة الحب :

أبي

بقلم السيدة المصونة كريمة الشهيد سميحة أحمد ماهر

أبي العزيز :

يوم أخبرتني أنه طلب اليك أن تكتب موضوعا بعنوان ابنتي ، ووعدتك بالكتابة عن أبي ، كنت أظن أن يراعي سيسلس معي في التعبير عما تكنه حبات قلبي من العواطف البعيدة الغور فيه ، حتى اذا ما أمسكت القلم وقف عاجزا عن شرحها ، لانك لي لست كسائر الآباء لابنائهم فلقد حرمني الله من والدتي وأنا في اللفائف ، وتفتحت عيناي في طفولتي لا كما تفتحت اعين الاخريات من أب وأم ، بل عنك وحدك ، وأنت وحدك كل شيء لي ، وهيهات مهما أوتيت من البلاغة أن أستطيع تبيان ما يضطرب في نفسي من العواطف ، لا لأن الخواطر تنقصني ، أو لأن الكلام يعوزني — فما أكثر ما أريد أن أقول ، ولكن ما أشد عجزي عن تنظيمه وتسطيره ، ويخيل لي أن الالفاظ اقل عددا من أن تصف ما يخالجني نحوك ، وليس ابلغ من قولك في موضوعك (أحب)

فأنا أحب أبي حبا بكل ما في تلك الكلمة من قوة وعزم وشدة ، وأنا اهيم به هياما ، لأنه في طفولتي رفيق لعبي ودرسي ومأكلي وملبسي ، وأعشقه لأنه في شبابي مصدر نور الوطنية المنبعث في فؤادي ، وفوق كل ذلك فيه كل مزايا الانسان الكامل فشجاعته ووطنيته متواضعة لا تفاخر ولا تعلن ، وحبه للخير وسلامة طويته ولين خلقه ، فطرية في غير حيلة ولا تصنع ، وذوقه سليم بلا

« الشهيد بعد عودته من أوربا عقب توقيع المعاهدة »

UNIVERSITY OF

تكلف ، وحبه لحرية الرأى والاعتداد بالكرامة لامرية فيهما ، وخصومته عنيفة شريفة بلاحقد أو نقمة وثقابة فكر وبعد نظره لاتبارى وصفاء طبعه وحلاوته فى الصلات بالناس لاتجدهما فى غيره ، ولايدفعنى لقول ذلك حبى واعجابى ، بل لأنى خبرته فى السراء والضراء فوجدته الحق الذى لايقبل شكا أو جدلا

أبى أردت لى الحياة الزوجية فأنأى بعض الوقت عنك ولما أشبع بقربك وهأنذا قبلتها راضية مرضية لأن هذه هى أرادتك وهى سنة الله فى خلقه وسأكون عند حسن ظنك ووفق ماتهوى وتشتهى

* * *

لا أحب المظاهر الفارغة ولا الدعايات ، فالوطنى الصالح هو الذى يعمل فى هدوء .

* * *

علموا أولادكم وقوموا أخلاقهم ، واذا كنا فى حاجة الى العلم فايضا نحن للاخلاق الفاضلة أحوج مانكون

* * *

لكى نرقى بالخلق القومى يجب علينا العناية بفضائل العادات والسير بتربية الشبيبة على نمط يتلاءم ومقتضيات العصر

أحمد ماهر

شبابنا المتعلم

هذه كلمة كتبها فقيدنا الغالى من أحد عشر عاما نصيحة للشباب ودرساً عالياً له ، وليس هناك مرحلة يجب أن توجه فيها الدروس لشباب الوطن من المرحلة التى نحن فيها الآن وليس هناك ماهو أقوم من ذلك الدرس وتلك العظة يوجهها الزعيم الشهيد وكأنه كان ينظر بعين الغيب الى هذا اليوم

لست أشك فى أن مشكلة الشبان المتعلمين الذين لايجدون اليوم عملا هى من المشاكل الاجتماعية الكبرى التى يزيد فى حرجها وصعوبتها أن جزءا كبيرا من الاعمال الحرة الهامة التى تحتاج الى معارف خاصة وتقتضى معلومات متعددة والتى يتيسر لشبابنا المتعلم المساهمة فيها والقيام بها اليوم فى أيدى الأجانب وشركاتهم أذا استثنينا بنك مصر والشركات المتصلة به .

وليس من ريب فى أن بنك مصر وشركاته أدت فى هذه الناحية خدمة جليلة وافتتحت مجالا أمام الشبان المصريين الذين تخرجوا فى مدارس التجارة ولو لم تفعل ذلك من منشأها منذ سنين لكان من المرجح أن توصد تلك المدارس أبوابها وينقطع بذلك هذا النوع الصالح من التعليم فى البلاد

ولست أنسى ولا أحسب أحدا قد نسى فضل الاستاذ المغفور له ويصا واصف فى العناية بهذه المشكلة وهى فى دورها الأول إذ طلب من أعلى منبر البرلمان الى الشباب الانصراف عن الاعمال الحكومية والاتجاه نحو ميادين العمل الحر .

على أن هذه المشكلة فى الواقع تقتضى بحثا من ناحيتين ، وهما ناحية إعداد

الشبان لهذا النوع من الاعمال وناحية استعداد أصحابها لقبولهم والانتفاع بهم وكلتا الناحيتين مرتبطة بالأخرى أوثق الارتباط إذ يجب أن يكون الاعداد متجها نحو مطالب أصحاب العمل ذاته والوفاء بمقتضياته ومتى تحقق ذلك وتوافرت تهيئة الشبان على نحو مايطلب أصحاب الاعمال لم يعد شك فى أن هؤلاء يجدون من مصلحتهم ونجاح عملهم الانتفاع بتلك الهيئة واستثمار ذلك الاعداد

ومتى أقدم الشبان على العمل بعد الاستعداد الصالح له وفق مطالب أصحابه لم يعد ينقصهم فى سبيل اتقانه واجادته غير التجربة والخبرة والمران وهذا متروك بالطبع للزمن والرغبة والتوجه الصادق فى نفوس الشباب ، كما أثبت ذلك النتائج الحسنة التى أدى اليها استخدام بنك مصر للشبان فى اعماله وفى الشركات التابعة له .

ولما كان أغلب الاعمال المالية والتجارية والصناعية كما أشرت فى صدر حديثى اليوم فى أيدى الاجانب كان من الصعب عليهم بلا شك تقدير قيمة هؤلاء الشبان لانقطاع كل صلة بين البيئتين ولذلك كان اهتمام وزارة المعارف دائما من عهد انشاء مدرسة التجارة العليا على الأخص منصرفا الى العمل على ايجاد هذه الصلة من طريق الممتحنين إذ كانت تتوخى كل عام أن يكون جانب كبير منهم من بين المشتغلين بالمسائل التجارية والمالية حتى يتسنى لهم أن يشهدوا بأنفسهم مبلغ تعليم هؤلاء الشبان ومقدار استعدادهم كما أن وزارة المعارف لاحظت عند تكوين اللجنة التى كان لى شرف رياستها والتى كانت مهمتها اعادة النظر فى تنظيم التعليم التجارى وتعديل برامجه أن يكون بين أعضائها من يمثلون تلك الاعمال أحسن تمثيل وأتمه

وقد قامت تلك اللجنة بمهمتها وقدمت تقاريرها وانى لانتهز هذه الفرصة لأرجو وزارة المعارف العمل على تنفيذ مقترحاتها فى هذا الشأن .

وقد كان للدعوة التى وجهها سعادة أحمد عبد الوهاب باشا فى موضوع استخدام الشبان المتعلمين فى اعمال المصارف والشركات الاجنبية قيمتها وارجو ان يكون لها الاثر المطلوب .

وليس من شك فى أن قيمتها ترجع الى تقدير رجال الاعمال لصاحب الدعوه وهو مايجعله خير من قام بها فى هذه الاوساط الاجنبية كما أن هذه القيمة تعود أيضا الى خبرته الطويلة بحالة هؤلاء الشبان ومعلوماتهم وكفايتهم .

ولم أعجب لما أجابت به شركات صناعية وبيوتات مالية وتجارية على هذه الدعوة من استعدادها لتنفيذ هذه الرغبة وقبول عدد من الشبان المصريين بين موظفيها وعمالها فإن ذلك هو ما كان منتظراً بعد توجيه هذه الدعوة الحكيمة الصائبة . ولكنى كنت أرجو أن تصادف هذه الاجابة آذانا صاغية وأن تجد قبولا أحسن مما وجدته فى نفوس الشبان وهم يعلمون مبلغ عناية الوزير الذى قام بها بشئون البلاد عامة وبشئونهم على وجه خاص فقد يصح لهم ألا يهتموا أول الأمر بما تعرض تلك الشركات ودور الاعمال عليهم من مرتبات صغيرة قد لايجدونها مناسبة مع ما انفق آباؤهم عليهم فى سبيل تعليمهم وما أحرزوه من الشهادات .

بيد انى للأسف قد رأيت كثيرين منهم قد احتجوا على ماعرض عليهم من الرواتب الضئيلة وقد فاتهم أن القائمين بهذه الاعمال الحرة لايحفلون بالشهادات فى ذاتها وانما يحفلون بقيمة العمل ومبلغ الإنتاج ، وانهم لهذا الاعتبار يفضلون أن يبدأ الشاب حياته العملية بأصغر مرتب ويوكل بأقل عمل على أن يتدرج فيه وينمو مرتبه شيئا فشيئا لما يظهره من كفاءه ومقدرة وحسن تصرف فيما يناط به من الواجبات وشدة انتباه ومراعاة لمصلحة العمل أو فائدة العمل الذى يعمل فيه .

ومتى ظهرت كفايته أو برز نبوغه لم يتردد أصحاب العمل فى تقدير مجهوده غير مقيدين بمواعيد ترقية ولا بنظام درجات وعلاوات كما هو الشأن فى الوظائف الحكومية .

وقد كنت منذ أيام فى زيارة لمصنع شركة مصر للغزل والنسيج فى المحلة الكبرى فشهدت شابا رضى أن يبدأ العمل بمرتب بسيط ولكن لم تمض ثلاثة سنوات عليه حتى بلغ راتبه نحو ألف جنيه فى العام وأضحى اليوم يشغل

مركزا رئيسيا كبيرا فى المصنع وماذلك الا بفضل جده ودأبه واظهار مهارته وكفاءته حتى لم يلبث أن استرعى بها جميعا أنظار بعض المهندسين الاجانب الذين كانوا يتولون تركيب آلات جديدة فى المصنع فكانوا هم أول من أحسنوا الشهادة فى حقه ونصحوا بضرورة الاستفادة من كفايته ومقدرته

وإنى لأعجب لهؤلاء الشبان يحتجون فى هذه الناحية على قلة الرواتب وضآلة الأجور بينما نراهم فى الوظائف الحكومية يرتضون أقل منها وأضأل فلا تكاد مصلحة من المصالح تعلن عن خلو وظائف صغيرة برواتب لاتكاد تذكر حتى تعلن الصحف أن مئات من حملة الشهادات الثانوية بل والعالية قد سارعوا الى تقديم طلبات للاستخدام فيها وبات كثير من الشبان المتعلمين تعليما عاليا يقبلون على الرضى بوظائف صغيرة لقاء رواتب غاية فى القلة لاينتظر من ورائها خيرا لهم ولازيادة فى راتب ولا أمل يخامرهم يوما فى ترقية وحسن مصير

ان الابتداء فى العمل الحر براتب صغير مكفول النتيجة لأنه خطوة فى سبيل الوصول الى القمة اذا ما توافرت الجدارة والكفاءة وحسن الاستعداد فليس الراتب اذن فى ضآلته مما يجب أن يحفل الشباب به فى أول مدارج الحياة العملية ، ولكن هكذا هى الأعمال الحرة وعلى هذا درج الذين يتجهون نحوها فلا معنى اذن لهذه الكبرياء التى تساور الشباب لأن مقاييس النجاح فى الحياة لا تتغير وفق أهواء الذين يدخلون الميدان ويطلبون الاشتراك فيه ولكنها تقتضى منهم الطاعة والقبول والاحترام ؟

صلاحية الرئيس

قابل أحد محررى « الاهرام » سعادة الدكتور أحمد ماهر رئيس مجلس النواب وعضو الوفد المصرى فى مكتبه ودار الحديث بينهما على الموقف السياسى الحاضر ولا سيما ما اتصل منه بقرار الوفد المصرى الخاص باعتبار سعادة النقراشى باشا منفصلا من الوفد . وقد أفضى سعادة الدكتور فى ١٥ سبتمبر سنة ١٩٣٧ الى المحرر بالحديث الآتى :

لم أكن أتوقع عند الساعة التى عرف فيها أن هناك خلافا فى الرأى بين سعادة النقراشى باشا وبين الوزارة أن الأمر سينتهى الى القطيعة وأنه سيبلغ من السوء نهايته فيفضى الى حرمان واحد من طرفى الخلاف من جهود الطرف الثانى وتعاونه معه على الخير والصالح العام . ذلك ان الخلاف فى الرأى بين أعضاء الهيئة الواحدة أمر طبيعى جدا ، وليس فى وجوده دليل على نقص فى التقدير أو مساس بما ينبغى أن يكون متبادلا بين الأعضاء من الثقة والاحترام .

قد يكون لأحد الاعضاء اتجاه خاص فى مسألة من المسائل أو رأى معين فى بعض الأمور ، وسواء أكان مصيبا أم كان مخطئا فيما يذهب اليه من الاعتقاد فان له أن يبدى رأيه وأن يدافع عنه ما استطاع الى ذلك سبيلا .

ذلك هو رأيى فيما يتصل بأصل الخلاف أبسطه من غير التعرض للموضوع أو الدخول فيما وراء ذلك من تفاصيل .

ولقد كان قائما بنفسى فى بادىء الأمر ان هذا العارض الذى نشأ سيزول وأن الرأى لا بد مستقر فى نصابه ثم يعقب ذلك أن تعود الأمور سيرتها الأولى من التعاون والوفاق . ولكننى لما رأيت الأمور تسير فى عكس الاتجاه الطبيعى

ظننت أنه يكفى أقل جهد لتعديل الاتجاه والتزام الجادة الواضحة فان من كان له مثل ماضى سعادة النقراشى باشا فى الخدمة الوطنية الصادقة والجهود القومية المشرفة لا يتصور يسهولة قطع الصلة بينه وبين رئيسه وزملائه ولا يصعب استئناف التعاون بينه وبينهم على أساس الصالح العام وعلى هدى السنين الطويلة التى امتزجت فيها الجهود واختلطت فيها النفوس وتوحدت فيها الحظوظ والأقدار .

وأنى على الرغم من كل ما حدث ما زلت على هذا الرأى ولا أزال أنادى به وأصر عليه .

وإذا كنت أرى غير متفرد أن سعادة النقراشى باشا قوة وطنية كبرى ينبغى بل يجب الاحتفاظ بها وادخارها لخير الوطن فانى فى الوقت نفسه أقرر حق حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا علينا باعتباره زعيما للامة ورئيسا للوفد ، ولست أرى أن هناك أية صعوبة أو أى تعارض أو أى شىء من هذا القبيل يصح أن يعوق بين تعاون الصديق النقراشى والرئيس مصطفى النحاس .

وكان مما يعين على هذا الاعتقاد انه لم يخطر ببال أحد حتى سعادة النقراشى باشا نفسه المساس بشخص صاحب المقام الرفيع رئيس الوفد أو التعرض لرياسته اذا ان ذلك كله كان فوق متناول البحث وخارج نطاق العمل والتقدير وانما كان الخلاف قائما على أسلوب الحكم الذى تحكم به البلاد ، وقد رخص الدستور لكل أن يبدى رأيه فيه فى حدود النظام العام من غير أن يكون استعمال هذا الحق موجبا للعداوة أو مفضيا الى القطيعة والشحناء .

والخلاف فى الرأى بل فى كيفية صلاحية الرئيس للقيام بتكاليف الرياسة أمر متعارف عليه فى جميع الهيئات ذات النظم النيابية وأقرب شاهد على ذلك ما حدث فى حزب المحافظين سنة ١٩٣١ فقد قامت حركة فى داخل الحزب ضد المستر بلدوين رئيس المحافظين اذ ذاك وكان محور الحملة دعوى بعض غلاة الحزب ان المستر بلدوين قد أساء سياسة الأمبراطورية وعرض سمعتها للهوان

فرأى المستر بلدوين ردا على ذلك أن يعقد مؤتمرا عاما للحزب ليحتكم اليه هو وخصومه فى الرأى من حزبه وقد كان أن أيدت الأغلبية رئيس الحزب ولكنها لم تعرض بالسوء الى الأقلية اذ كان مدار الخلاف على الصالح العام للامبراطورية لا على الأشخاص وما اليها .

لقد كان مبلغ ما أخذ على سعادة النقراشى باشا قبل يوم ٢٣ أغسطس الماضى أنه وجه بعض ملاحظات على طريقة الحكم ونبه الحكومة للتحرز منها ، وقد كانت دوائر الوفد حتى المعارضة منها لصدور هذه التصريحات لا يذهب بها الفكر الى أن هناك ما يقتضى البحث فى الحرمان من جهود النقراشى باشا فلما كانت ذكرى الزعيم الخالد وجاء الجميع الى القاهرة وتم اجتماع بيت الأمة كانت الأفكار متجهة الى ازالة الجفوة القائمة واستئناف التعاون ، وكانت اقتراحات الصلح التى أشارت اليها « الاهرام » من تفكير معالى مكرم عبيد باشا . وصحيح أنه أخبرنى ساعة ذكرها أن صاحب المقام الرفيع رئيس الوفد قد أباها ولكن مجرد صدورها من مكرم باشا وبلوغها عنده مبلغ الحل الذى ينبغى عرضه على الرئيس ، كل ذلك يظهر بجلاء ان فكرة الصلح كانت حتى ذلك التاريخ هى الغالبة ولم يكن هناك اتجاه الى الفصل والقطيعة .

ولم يحدث بعد ذلك جديد غير البيان الذى أذاعه سعادة النقراشى باشا وهو لم يعد بعد أن يكون تقريرا للمبادىء التى يراها سعادته كفيلة بتحقيق المثل الصالح لسياسة البلاد .

ثم كان أن تطورت الأمور تطورا غير منتظر وان انتقلت من مرتبة التفكير فى الصلح والتفاهم الى مرتبة القطيعة والفصل ، وكان أن دعى الوفد للبحث فى الموقف الحاضر فى ظروف غير عادية وفى وقت كانت النفوس فيه هائجة والأفكار مضطربة والدعاية السيئة منتشرة والظواهر كلها تنبىء بالعواقب الوخيمة .

ولقد ضاعف من أثر هذه العوامل ما كان من تحديد حضرة صاحب المقام الرفيع رئيس الوفد وجهة نظره فى الموضوع المعروض للبحث وابداء رأيه فيه

صراحة فقد خير الأعضاء بين شخصه وبين شخص النقراشي باشا وجعل مدار الرأى على هذا المحور الدقيق .

وظاهر أنه لم يكن هناك وجه لهذه المفاضلة اذ أن شخص النحاس باشا لم يكن موضع مساس ولا كان محل خلاف وانما كان الخلاف — كما أسلفت على أسلوب الحكم وليس بعيب أن يجتهد مجتهد فى تغيير هذا الأسلوب أو تحريره طبقا لما يراه محققا للخير .

وقد لا يكون صاحب المقام الرفيع رئيس الوفد قد قصد من عرض الموضوع على كل حال قد عرضه على هذه الصورة وليس فى الامكان تجريد الألفاظ من مدلولاتها ولا رفعها عن أن تنتج فى الرأى أثرها.

وقد انضم الى هذا العامل الخطير عامل آخر ينبغى أن نفسح له مكانه فى التقدير ألا وهو أن خمسة من أعضاء الوفد القضاة فى الموضوع ، وهم من الوزراء، هم فى نفس الوقت يعدون أنفسهم متصلين بأساس الدعوى ، وان مع تقديرى لزمالتهم لا أستطيع أن أرى فى الجمع بين صفتى الخصم والحكم أمرا عادياً أو شيئا مألوفا فى التقدير والحكم .

وهنا سأل المحرر سعادة محدثه عن القيمة العملية للنص الوارد فى قرار الوفد بشأن رأيه فى مركز سعادة النقراشي باشا وكيف أنه لا يزال يعتبره عضوا فى الوفد وقد أجاب سعادته على ذلك بما يأتى :

ان القيمة العملية لهذا الرأى هى اننى أرى لسعادة النقراشي باشا على من الحقوق ما لسائر حضرات أعضاء الوفد ولا ارى أن هناك أمرا من الأمور التى تطرح على الوفد يصح أن يكون سرا بالنسبة له . ذلك الى أننى سأشاوره فى الأمر وأشركه فى كل ما يعرض على الوفد من الأمور

وسأل المحرر سعادة الدكتور ماهر عن الخطوة التالية من خطاه السياسية فأجاب : — ان الأمور مرهونة بأوقاتها وانما أردت أن أبسط للرأى العام موقفى فى الحادث الخاص بسعادة النقراشي باشا فقد يبدو لأول وهلة أنه موقف شاذ اذ كنت فيما يظهر قد أبيت الأخذ برأى اخوانى ، ولكن متى عرفت الظروف المحيطة به استقام وجه الرأى فيه .

التربية السياسية

هـــذه الخطب والكلمات الرائعة ، ترى الشهيد العزيز احمد ماهر وقد تناول فيها شتى الآراء الوطنية الخطيرة ويحلل فيها موقفه هو وصحبه من الخلاف الذى حدث على أسلوب الحكم فى منتصف ســـنة ١٩٣٧ بأدق معانى التحليل فى أدب عال ولفظ رفيع فكان فيها رجل الحق والحقائق فى وقت واحد ، وقد تجلت فيها فضيلة الشجاعة فى الرأى والصراحة فى القول بأسمى معانيها والتى جبل عليها الفقيد الكريم . . .

اخوانى : أشكر لكم هذا الشعور النبيل الذى دلت عليه كلمات خطبائكم وأحيى فيكم الإخلاص الذى تجلى فى تأييدكم لنا ، والتفافكم حول الذين يدينون بمبادىء ســـعد السامية ، والذين ينصرون الحق ويدعون الى تأليف القلوب ، وجمع الكلمة والعمل لخير البلاد وصيانة حقوق أهلها جميعاً

وانى أنتهز هذه الفرصة لأحدثكم عما يتقولون به علينا وما يريدون به الوقيعة بين من يعملون لوجه الله والوطن لا للأغراض الذاتية والمصالح الخاصة

ينشر أحد الكتاب مقالات متتابعة فى احدى الصحف يدس بين سطورها روح التفرقة بين من يخلصون للمصلحة العامة ويحرصون على الدستور من عبث العابثين يقول هذا الكاتب : أن أحمد ماهر ومن معه الذين لم يرضوا بسياسة النحاس باشا وتصرفاته فى الحكم يؤيدون الوزارة القائمة فى الحاضر والمستقبل . وانى أيها السادة لم أقل ما يرمينا به هذا الكاتب ، وانما قلت إن أحمد ماهر وأصدقاء

أحمد ماهر وكل وطنى محب لبلاده انما يؤيد الحق والعـــدل ويعمل جاهدا على صيانة الدستور واحترام الحريات والمساواة بين المصريين جميعاً وهذا ما يجب أن تكون عليه تربيتنا السياسية فاذا كانت الوزارة الحالية تعمل على تحقيق هذه المبادىء السامية من غير نظر الى النزعات الحزبية فقد استحقت التأييد وكفلت لها البقاء اما اذا لم تحترم دستورا ولا قانونا ، أما اذا فرقت بين أبناء الأمة وحادت عن الطريق المستقيم ، أما اذا جعلت أموال الدولة غنائم توزع على الأهلين والاصهار فانه لا مناص من معارضتها ومناهضة سياستها كما عارضنا النحاس باشا الذى لم يحترم قانونا ولا دستورا ولا أقام وزنا لمبادىء العدالة والمساواة بل اعتدى على الحريات العامة وعلى حقوق الأفراد وحاربهم فى معتقداتهم وآرائهم فلما أحس انصراف القلوب عنه أخذ يصطنع المحافظة على الدستور ليحجب عن الأبصار تخبطه واضطرابه

واسفاه ! !

ومن أعجب العجب أيها الاخوان أن زملاءنا بالأمس لم يكتفوا بما أسلفوه من التجنى على الحق والواقع بل ذهبوا يطعنوننا طعنا جارحا ويقولون إن أحمد ماهر والذين أيدوه من الشيوخ والنواب يطمعون فى المناصب الوزارية أليس هذا من المضحكات ؟ أليس هـذا من التغرير وامتهان العقول ؟ أليس هذا طعنا فى كرامة الرجال واسفاه . لقـد كان النواب بالأمس فى نظر النحاس باشـــا رجالا لأنهم كانوا يؤيدونه واليوم يقال عنهم أنهم أنصاف رجال وأشباه رجال لأنهم وقفوا من النحاس باشـا ومشيره موقف المؤاخذة والحساب والزود عن مصالح البلاد وحرياتها ودافعوا عن الحق وأيدونا عاملين بوحى من ضمائرهم لا سلطان لأحد عليهم إلا سلطان الواجب وتقوى الله فى حقوق الوطن « تصفيق حاد وهتاف » بالأمس كان هؤلاء النواب عند النحاس باشـــا وطنيين مخلصين واليوم اذا ناقشوا تصرفاته وخالفوه فى رأيه الخاطىء أصبحوا غير وطنيين ولا مخلصين وقد كان على النحاس باشـا أن يحترم الآراء ويحترم مخالفيه فلا يطعنهم

فى كرامتهم ولا يسرف فى هذه المهاترات التى لاتجيزها العقول ولا يرضاها شرف انسان والتى تتنافى مع دعوى المحافظة على الدستور الذى يستمد حياته وحرية الرأى والشجاعة فى الحق .

شرف وفخار ..

عجيب أيها الاخوان ما يقولونه من أن أحمد ماهر باشا وعلى ماهر باشا يريدان احتكار خدمة البلاد وخدمة العرش ، وهذا قول باطل ولا نخضع لاستئثاره وأحسب أن هذا القول قد اندس الى قائله من جراء البدعة التى ابتدعوها وسموها « الزعامة المقدسة » فهم يرمون الناس بعيبهم ويتخيلون فى كل عامل مخلص أنه يحاول الانفراد بالخدمة العامة مع أن المجال واسع للجميع والوطن فى حاجة الى جهود أبنائه كلهم وليس قيام فرد بالواجب عليه معفيا غيره وان كان شقيقه من حق الوطن فى ذمته وانه لمن الشرف والفخار الوطنى بما كان عظيم أن يرى الأخ أخاه بل اخوته يتوسطون ميدان الجهاد ويعملون معا تحت راية الوطن العليا

نحن نساهم فى خدمة البلاد وخدمة العرش كمصريين ومن واجبنا أن نعمل لهذه الغاية السامية . لا أن نعمل خاضعين لشخص واحد ومنساقين وراء « زعامة مقدسة » ولو انهدمت من أجلها مصلحة الوطن

لقد دأب النحاس باشا ومن معه فى هذه الأيام على الايقاع بين العاملين وبذر بذور الفتنة بين المخلصين فأخذوا يقولون إن الغرض من الوزارة هو التخلص من النحاس باشا والتمهيد لاحمد ماهر ، وقد قلت من قبل ، نتمنى أن توفق الوزارة الى العمل على ما فيه خير البلاد واحترام القوانين واعطاء كل ذى حق حقه قلت هذا لرئيس الحكومة وقلت اننا نعمل لمصلحة عامة لا لمصلحة خاصة ، ولكن الذين يشترون الحكم بكل ثمن ولا يرون للحياة معنى الا فى ظله يظنون الناس جميعا مثلهم يتهالكون على الحكم ولا يرضون عنه بديلا .

مغالطة . .

يقولون أيضا أن بعد الخلاص من النحاس باشـــا يعودون الى « أصحاب العيون الزرقاء » لنتفق معهم ونصطلح . . . فماذا يريدون من هذا الكلام . . . انهم يحاولون قلب الأوضاع وطمس الحقائق فهم من أجل تلك الدعوى الكاذبة — دعوى المحافظة على الدستور — لجأوا الى أصحاب العيون الزرقاء . وفى سبيل بقائهم فى الحكم طلبوا التدخل الأجنبى وهذا اعتداء على استقلال البلاد لا يجيزه وطنى مخلص ، ولا يقدم عليه الا من سفه نفسه وهانت عليه كرامته قرأت للنحاس باشا خطبة أرى مع الأسف الشديد أنه ضمنها وقائع كثيرة محرفة ، بعيدة عن الصواب وقد كنت أترفع بالنحاس باشا عن هذا المستوى ولذلك أحزننى ما جاء فى هـذه الخطبة من أباطيل تشهد على صاحبها بما لا يسره اذا ما وضحت الحقائق وعرفت الوقائع للجميع .

على أثر تصريح السير صموائيل هور بشأن الدستور فى سنة ١٩٣٥ وقيام الشباب بالثورة على هذا التصريح والمطالبة باعادة دستور ١٩٢٣ فى غير ابطاء . تلك الحركة التى اقترنت باستشهاد الكثير من أبناء الوطن وانتهت الى تأليف الجبهة الوطنية دعى النحاس باشـــا للتشرف بمقابلة المغفور له الملك الراحل . فرأى قبل أن يتشرف بهذه المقابلة عرض الأمر على زملائه واستدعانى وزميلى النقراشى باشا مع من استدعاهم للتشاور فى الأمر .

وقد تداولنا فى تشكيل الوزارة ومن يدخلها وكان الرأى السائد هو اسناد وزارة المالية الى سعادة أحمد عبد الوهاب باشا . ولكن مكرم باشا لم يرقه هذا الترشيح لأنه افتئات (فى زعمه) على ما هو مقرر من قبل من ترشيحه هو لوزارة المالية .

وأخيرا ذهب النحاس باشا لمقابلة جلالة الملك فؤاد الأول فاقترح جلالته تأليف وزارة قومية فاعتذر عن القبول . ثم ألفت الوزارة برئاسة على ماهر باشا وكان ذلك بعد بحث ومداولات ومفاوضات بينه وبين النحاس باشـــا

لاختيار الوزراء المحايدين حتى يتم الاختيار باتفاق الأحزاب والهيئات جميعا . وقد اختير سعادة أحمد عبد الوهاب فى وزارة توفيق نسيم باشا وعلى ماهر باشا بترشيح الوفد ورضائه وزيرا المالية .

شكلت الوزارة على هذا الأساس ومضت فى أعمالها ولكن سرعان أن رفع النحاس باشا صوته بالشكوى من تصرفات الوزارة الماهرية ومن عجب أن شكواه كانت منصبة على أعمال الوزارة الاصلاحية .

أبدى النحاس باشا استياءه من كل عمل قامت به الوزارة لأنه أرادها على أن تكون وزارة انتقال لا تملك انجاز مشروع اصلاح قبل قيام البرلمان وقد قال على ماهر باشا اننى أعمل كل مايعود على البلد بالمصلحة فاذا اختاطت السبل فى أى تصرف من تصرفاتى فللوزارة التى تلى الحكم بعدى أن تصلح هذا الخطأ وليس معقولا أن أكون رئيسا للوزارة ولا أعمل ما يعمله رؤساء الوزارات فى سبيل الاصلاح العام .

هذا وقد حرص على ماهر باشا فى كل تصرفاته ومشروعاته على أن يشترك الوفد فيها فكان مكرم باشا شريكا فى المشروع الخاص بانشاء معهد الأمير فاروق كما اختير النقراشى باشا للاشتراك فى اعداد مشروع الاصلاح الاجتماعى وكما اشترك غيرهم من الوفديين فى اعداد المشروعات الأخرى واعتمد على بعض الزعماء الوفديين كذلك فى اصلاح بعض الوزارات وتحقيق بعض المسائل الكبرى واذن فالادعاء بأن على ماهر باشا كان يتفرد بالتصرف فى اصلاحاته ادعاء لا دليل عليه . ولا معنى أيضا للاعتراض من جانب النحاس باشا على وضع الميزانية فى الموعد المحدد لها والاعتراض بإرجائها الى أن يقوم البرلمان لايتفق ومقتضيات المصلحة العامة للدولة وقد تحقق ما كان يتوقعه على ماهر باشا إذ اجتمع البرلمان وانقضى وقت طويل قبل عرض الميزانية على البرلمان وكان ذلك محل الشكوى العامة .

معارضتى لأخى ..

يقول النحاس باشا أن أحمد ماهر يضع العراقيل فى طريقه من ذلك الحين ولا أدل على بعد هذا القول عن الحقيقة والواقع من أننى مكثت زهاء التسعة عشر عاما أعمل الى جانب النحاس باشا وأعارض سياسة على ماهر باشا لا شىء إلا لمصلحة البلد لأننى كنت أرى غير ما كان يراه أخى .

كنت مع النحاس باشا فى الوقت الذى كنت أحارب فيه أخى . لأننى رأيت فى سياسة النحاس باشا أنها تجرى طبق المصلحة . فلما أن تغير الحال ورأيت النحاس باشا قد ازدهى بلقب الزعامة المقدسة الذى خلعه عليه مشيره الناصح ورأيت أن من الظلم أن أجاريه فى محاربة من يعمل للصالح العام كان لزاما على ألا أساير هذه السياسة التى تسير وفق الهوى .

زعم باطل ..

زعم النحاس باشا أن ماهر باشا على أثر وفاة المغفور له الملك الراحل أراد أن يطيل بقاءه فى الحكم ففاوض الانجليز فى تأجيل الانتخابات الى أمد أوسع والواقع أن هذا زعم باطل تجنى على الحقيقة إذ أن ما حدث فعلا هو أن الانجليز كان يرون تأجيل الانتخابات الى ما بعد انتهاء المفاوضات ولكن ماهر باشا صرح أنه لا يمكن أن يبقى فى الحكم لحظة واحدة إذا لم تجر الانتخابات فى موعدها المقرر فكان هذا التصرف من على ماهر باشا ممهدا للنحاس باشا فى ولاية الحكم ولكن النحاس باشا قلب الحقيقة وغير الأوضاع وهو يعلم أن ما قاله غير صحيح .

تدرج النحاس باشا بعد ذلك الى الكلام عن مسألة نسيم باشا والوصاية على العرش وهذه المسألة كما تعرفون كانت على جانب عظيم من الدقة ، وكل ماحدث فى شأنها هو أنه لما تبين أن اسم نسيم باشا بين أسماء الأوصياء أبديت اعتراضات من ممثلى الأحزاب الأخرى على اسم نسيم باشا ثم اتفقت الآراء على أن يختار الأوصياء برضى الجميع لأن مهمة الأوصياء تقتضى ذلك وهى فى الواقع مهمة

مؤقتة ولا أدرى تعرض النحاس باشا لهذه المسألة وتطوعه الآن لتزكية نسيم باشا وتحميل غيره مسئولية ابعاد اسمه من قائمة الأوصياء ، وهو يعلم أن هذه المسألة لا صلة لها بما يعنى البلاد فى الوقت الحاضر .

تحدث النحاس باشا عن احمد عبد الوهاب باشا والظروف التى أحاطت به بعد اشتراكه فى وزارة الوفد بعد ذلك واستند الى أوهام رأى أنها تبرر تصرفه معه فقال انه اشترك فى وزارة على ماهر باشا التى اعتدت على حقوق البرلمان وأن أخاه كان فى الانتخابات ضد مرشحى الوفد .

والواقع أن الوفد دائما كان يعد احمد عبد الوهاب باشا صديقا له فالوفد هو الذى أشار على عبد الوهاب باشا بالاشتراك فى وزارة نسيم باشا لتقويتها وهو الذى طلب بعد ذلك أن يشترك فى وزارة على ماهر باشا وقد قال لى النحاس باشا نفسه أنه اختار عبد الوهاب باشا فى وزارة الوفد بعد الانتخاب وقد أفهمت عبد الوهاب باشا ذلك فلما اتجه الرأى الى العدول عن اشتراك عبد الوهاب باشا فى وزارة اوفد أدهشنى هذا التصرف وأعلنت استيائى منه وقد سألنى النحاس باشا لماذا غضبت فقلت اننى لا أرضى لنفسى أن أكون «نصابا سياسيا» وأخشى أن يتبادر الى خاطر عبد الوهاب باشا أننى سخرت منه وأصررت على أن أبقى بعيدا عن أعمال الوفد . هذا يعتبر فى نظرى الى حد ما ، ترضية لشرفى فصارحنى النحاس باشا لاشىء هناك مما أظنه وأن الأمر أهون مما أتصوره وانه قد تم الاتفاق بينه وبين عبد الوهاب باشا على أن يعين مديرا لبنك التسليف الزراعى وانه طلب اليه أن يرجونى فى قبول رئاسة مجلس النواب وسويت المسألة على هذا الأساس ولو أنها لم تقع من نفسى موقع الارتياح التام

سيطرة

ويا ليت الأمر وقف عند هذا الحد ووفى النحاس باشا ومشيره بعهدهما ، ذلك أنهما لم يلبثا بعد ولاية الحكم أن تنكرا للرجل من غير ما سبب اللهم الا إرادة مكرم باشا أن يكون هو الحاكم المسيطر على كل ما له علاقة بالحكم فى البلاد .

قال النحاس باشا أنه لا يرى مانعا من تعيين سعادة عبد الوهاب باشا مديرا لبنك التسليف الزراعى . وانه يستحسن الرجوع الى مكرم باشا فى ذلك . « ضحك شديد » قابلت مكرم باشا وتحدثنا فى هذا الشأن ولكنه ضرب بهذه الارادة عرض الآفاق وأصر على ألا يكون عبد الوهاب باشا مديرا لهذا البنك والا استقال .

انصاف

وهناك ما هو ادعى للعجب والدهشة فان النحاس باشا حينما أخذ الأهبة لاعداد خطاب العرش اقترحت عليه أن ينص فيه ما قام به على ماهر باشا فى أثناء حكمه من ضروب الاصلاح وشتى المشروعات المفيدة للبلد فأجاب بأن هذه الرغبة سبقت الى خاطره على تحقيقها انصافا لعلى ماهر باشا وما قدمه من خدمات لبلاده .

ولكن عجبت حين رأيت خطاب العرش خاليا من ذكرى أى عمل لعلى ماهر باشا ورأيت اسمه لم يذكر الا حشرا بين جملتين وردتا عن وزارة نسيم باشا وما أدته فى أثناء حكمها . لم أر ازاء ذلك أن أدخل فى مناقشة مع النحاس باشا وانتهزت فرصة شكر حضرات النواب المحترمين على انتخابى رئيسا للمجلس فضمنت شكرى اياهم اشارة الى ما قام به على ماهر باشا من خدمات للوطن فى اثناء حكمه وكان هذا اقل ما ينتظر من رجل يعرف للمحسن احسانه وللمسىء اساءته . بغض النظر عن صلة الأخوة التى تربطنى به ما دام يسير على منهج يتفق مع مصلحة البلد ولا أريد بأن أعيد القول بأنى كنت حربا على أخى أيام لم نكن متفقين معا فى سياسة واحدة وأيام كنت واقفا بجانب النحاس باشا .

عتاب

ولقد عتب على النحاس باشا ومكرم باشا فى هذا الموقف وأبديا استياءهما من أننى لم أنوه بما قامت به وزارة الوفد من أعمال فقلت لهما أننى حين أفعل ذلك

أكون قد مدحت نفسى لأنى عضو فى الوفد .

تلك هى المؤامرة التى تزعج خيال النحاس باشا ولا ينفك ترددها فى كل آونة ولحظة فى غير ما سأم ولا ملل وليست هناك على الحقيقة مؤامرة الا فى خياله ولايزال به الوهم يصور له الخيال حقيقة حتى يعتقد هو أنه حقيقة ، ولكى يؤثر على سامعيه — وقليل ما هم — بذكر هذه المؤامرة الموهومة يقول النحاس باشا أنه كان يأتمر به وبوزارته ، والواقع ياأخوانى أن هذا قول بعيد من الحقيقة فان الوقائع تشهد بأن النقراشى باشا بعد استقالة النحاس باشا من وزارته الثالثة عول على عدم دخول الوزارة الجديدة فأقنعته بأن امتناعه عن الاشتراك فيها ليس من المصلحة فى شىء واذا كان هناك خلاف فى الرأى فان فى الاستطاعة العمل على التفاهم . وقد قمت بتسوية الخلاف فعلا . ولكن النحاس باشا لأمر لا أفهمه ولا زلت حائرا فى فهمه ، تجنى وركب رأسه واتبع مشورة السوء .

فأعلن أنه لا يستطيع العمل مع النقراشى باشا لعدم الانسجام «ضحك»

* * *

ومن عجب أن النحاس باشا هو صاحب لقب الزعامة المقدسة وقد كان من قبل قاضيا لا يتورع عن اصطياد الأدلة التى يخال أنها تؤيده فى موقفه واليكم مثلا على هذا التصيد الغريب المريب هذ الكتاب الذى نشرته احدى صحفه على أنه مرسل اليها ممن قالت أنه أخو عضو فى مصر الفتاة . أيمثل هذا يعتقد النحاس باشا أنه يحارب مخالفيه فى الرأى ؟ وهل من الخيانة للبلد أن يقوم ماهر والنقراشى باشا فيصارحا الزعامة المقدسة بأن حكمها لا يحقق الخير ولا المصلحة للبلاد ؟!

لقد حدث أيها الاخوان فى عام سنة ١٩٣٠ أن قام فى حزب المحافظين من يطعن فى طريقة حكم المستر بلدوين فلما شعر هذا بخطر الحملة عليه جمع مؤتمر المحافظين لبحث هذه المسألة واستفتاه هل يبقى بعد هذه المطاعن رئيسا للوزارة أو لا يبقى فقرر المؤتمر أن يبقى رئيسا للحزب وللوزارة ، ولكن المستر بلدوين لم يشن الغارة على معارضيه ولم يطردهم من الحكم بل ظلوا يعملون معه ولم يفعل ما فعله النحاس باشا ومشيره الناصح الأمين !

لقد ضربت لهم هذا المثل فلم يعيروه التفاتا وركبوا متن الشطط واعتبروا النقراشي باشا منفصلا من الوفد فقلت لهم انى لا أزال اعتبر النقراشي باشا عضوا فى الوفد وطلبت النص على هذا فى قرار الوفد لأننى سأذيعه فأين هى الخيانة للوفد وأسراره

اخطاء

أيها الاخوان : لقد خاضت الصحف فى ذكرى الأزمة القائمة بين العرش والوزارة . حقيقة لقد أخطأ النحاس باشا اخطاء عظيمة واذا كان هناك من قام ينصح للنحاس باشا ويريه عاقبة تصرفه نحو العرش ومايجره للبلاد من خطر، اذا كان هناك من قام بذلك فهو احمد ماهر دون سواه .

لقد فاه النحاس باشا بأقوال غير لائقة ولا تصدر عن رجل مثله فلما اراد تكرارها واعادتها امام الهيئة قبيل اقالة وزارته صرخت فى وجهه طالبا اليه ألا يعيد مثل هذا القول مرة أخرى فان كل مايقال فى الهيئة الوفدية سيذاع وتعرفه عامة الشعب فوافق الحاضرون على ذلك .

هذا ما صنعه احمد ماهر ايها الاخوان لكبح جماح من لا يعرف كيف يكبح جماح نفسه . فاحكموا الى او فاحكموا على فانى راض بحكمكم .

ان الوفد ليس الا مبادىء ولكنهم يعتبرونه اشخاصا وذوات ، انى طلبت اليهم ايها السادة الايكون قضاتى من غير الوفديين كرئيس لجنة فى حزب الشعب أو وزير كان شريكا لهم فيما وقع منهم من اخطاء وتصرفات فانه لايمكن ان يكون الشخص خصما وحكما فى آن واحد ولكنهم أصموا آذانهم واصروا واستكبروا استكبارا .

تصرف سليم

لا يقول الدستور أن الأغلبية تتلاشى فى شخص الزعامة المقدسة، ومكرم باشا مخترعها، لقد جرب حضرة صاحب الجلالة الملك ، النحاس باشا ومكرم

وطريقتها فى الحكم ، أبدى انه لا يستطيع العمل معهما وطلب الى الأغلبية أن تختار سواهما . أفليس هـــذا التصرف دستوريا . صادرا عن ملك دستورى بفطرته وطبيعتـه . ولـكنهم يأبون الا عادا وتعسفا ويقولون لا بد من فلان وفلان ان هـذا ليس بدستور بل هو تشبث واستماتة بمقاعد الحـكم ، لقد عابوا على وفود الناس الى المجلس لتحيتى وتأييدى فى موقفى ، ولست أدرى ما هو وجه العيب فى ذلك ؟ أليس المجلس مقر عملى ؟ هذه مهاترات ما كان اغنانى عن الرد عليها ، ولـكنى أذكرها فى مقام التدليل على عقلية هؤلاء القوم .

ايها الاخوان : لقـد اخطأ حساب هؤلاء القوم فقد كانوا يظنون انفسهم خالدين فى الحـكم ومقدسين فلما اخطأ تقديرهم ثاروا وظنوا باطلا ان البـــلاد ستثور حمية لهم ولـكنها لم تفعل بل احتفظت بهدوئها وسكينتها إذ كانت لم تحس انها فقدت بفقدانهم شيئا عزيزا عليها .

وإنا لنسدى اليهم النصح كما اسديناه من قبل الا يتورطوا فى هذه الخيالات لئلا تنقلب عليهم اعمالهم .

واختتم كلمتى بالدعاء الى الله سبحانه وتعالى ان يوفقنا الى السداد والرشـــد وان يحفظ للبلاد مليكها الدستورى المحبوب فاروق الأول ؟

أعضاء مكتب مجلس النواب بعد تشرفهم بالمقابلة الملكية سنة ١٩٤٠

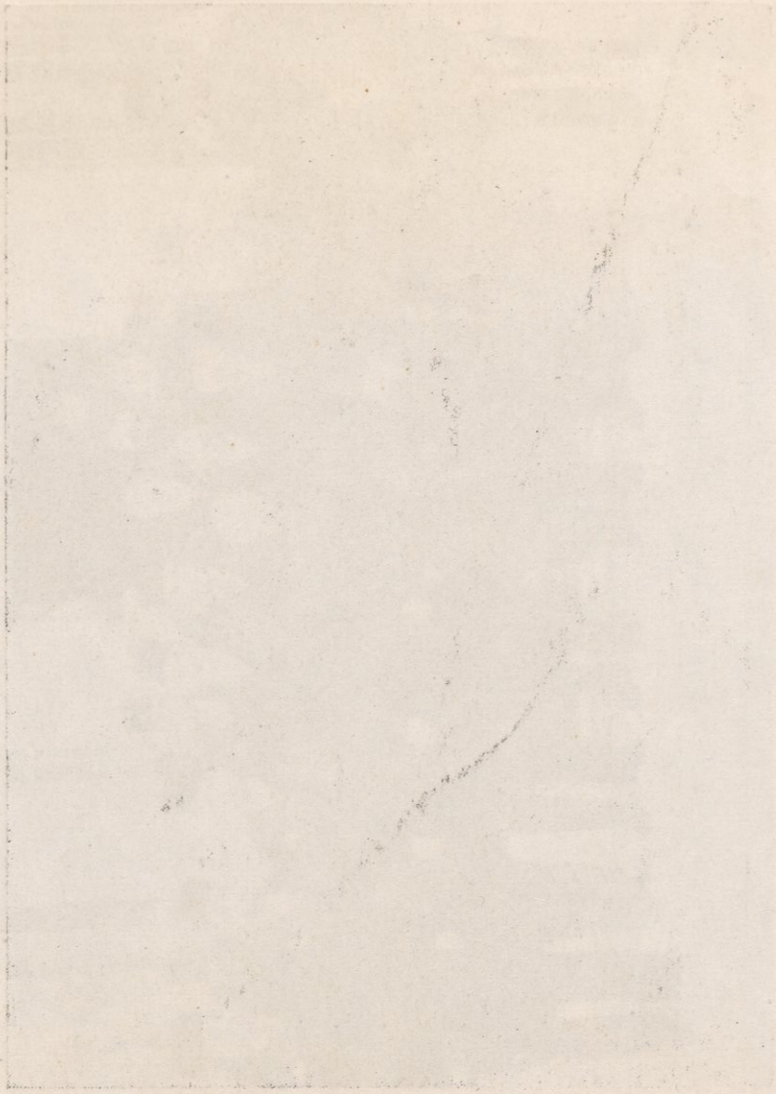

جهاد الامة . .

(الفضل للدماء التى أريقت على
أرض الوطن من أبناء الوطن)
«احمد ماهر»

أيهـــا السادة :

منذ فجر النهضة ونحن نعمل لتحقيق أمانينا القومية التى وضع أساسها زعيمنا الخالد الذكر سعـد زغلول وقد سرنا فى طريقنا المستقيم نجاهد معتقدين أننـا فى النهاية سنصل الى أغراضنا السياسية بفضـل التضحيات العظيمة التى قدمتها الأمة وبفضل الشهداء الذين ضحوا بأرواحهم رخيصة فى سبيل الوطن وبفضل وحدتها القومية . نعم وصلنا الى ما وصلنا اليه اليوم من ابرام معاهدة الصداقة والتحالف بيننا وبين الانجليز والغاء الامتيازات بفضل الدماء التى أريقت على أرض الوطن من أبناء الوطن

ومن عجب أيها الاخوان أن رفعة النحاس باشـا قد أراد فى هذه الأيام أن يستأثر بكل ماوصلت اليه البلاد الآن ويعزوه لشخصه حتى لقد أخذ يردد فى خطبه وأحاديثه هذه النغمة والواقع أن الفضل فيما وصلنا اليه انما يرجع الى الأمة جمعاء يرجع الى ثباتهـا وجهادها وتضحيات أبنائها وشهدائها ولم يكن رجال الوفد الا وكلاء عنها يوقعون وثيقة استقلالها فلا فضل للنحاس ولا لماهر ولا لغيرهما ، انما الفضل للامة متراصة متكاتفة (هتاف وتصفيق)

لقد انتهى جهاد الأمة الخارجى أيها السادة وانعقدت الآمال على أنه بعـد استقرار الأمور ستسير وزارة النحاس باشا بالبلاد فى طريق التقدم والتجديد.

ولقد طالما نصحنا اخواننا أن يسيروا فى حكم البلاد عـلى سياسة قوميـــة لا حزبية ، فلا يفرقوا بين أبناء الوطن الواحد فى المعاملات ولا يتخبطوا فى تصرفات الأثرة ولا يتمادوا فى الاشتغال بالسفاسف وتوافه الأمور .

غرور واستغلال . .

ولكن نفسية النحاس باشا ومكرم باشا قد تغيرت بعد أن زين لهما الغرور انهما يملكان التصرف فى عقول الناس وضمائرهم ومصايرهم جميعا . حتى وصل بهما الأمر ألا يسمعا لنصيحة ناصح مخلص ولا يسمعا لأحد حتى بمجرد الاعتراض عليهما فى أى شأن من الشئون العامة فاذا قام رجل من أعضاء الوفد أو الهيئة الوفدية يندد بخطأ لا يبالى النحاس باشا أن يقول له : لقد وصلت الى مركزك بفضل ترشيحى لك . وكأنى بالنحاس باشا يريد من زملائه أن يكونوا آلات صماء وأدوات زينة فلا رأى ولا مشورة ولا نقدا صحيحا نزيها . وكلكم لا شك تعلمون أن ثائرة النحاس باشا لم تثر على النقراشى باشا إلا لأنه رجل حر صريح يعنى بالصالح العام قبل المصلحة الشخصية والمآرب الذاتية فكان جزاؤه اعلان الحرب عليه ورميه بالخيانة ثم اعتباره منفصلا عن الوفد وخارجاً على الوطن ! ولست أدرى كيف يستسيغ رجل له شىء من الكرامة والاعتداد بالنفس أن يكون صدى لصوت النحاس باشا (هتافات بحياة النقراشى باشا) .

أخذت الأمة على النحاس باشا هذا التحكم فاستنكرت قراره وحملته وحده أوزاره وكان فى مقدمة من أعلن الاستنكار أبناؤنا الطلبة الذين أراد النحاس باشا أن يستغل براءتهم وطهارة نفوسهم فى اعلان الحرب على النقراشى باشا فقال فى احدى خطبه : إن النقراشى باشا كان ضد التساهل مع الطلبة فى الامتحانات وانه هدد بالاستقالة ولكنه رأى من جانب هؤلاء الطلبة الأبرار وطنية لا تتأثر بهذه الدعاوى على الرغم مما أحدثه النحاس بمشا ومن يماثله من قلب لأسس التعليم قلبا له خطره على مستقبل أبنائنا وعلى الرغم من أن النقراشى باشا كان المعارض الوحيد لهذه السياسة الضارة التى يراد بها مجرد الاستغلال . رغم كل هذا قام الطلبة يعلنون استنكارهم لموقف النحاس باشا من النقراشى باشا . فاذا حدث أيها الاخوان . لقد استعرض رفعته كل ما فى جعبته من وسائل لتكميم أفواه الطلاب والشباب فلم يجد أمامهم سوى الاستغاثة بالقانون الذى كان النحاس باشا

وأعضاء الوفد فى مقدمة المستنكرين له والمندين ببطلانه .

ويا ليت النحاس سوى بين الطلاب فى تنفيذ هذا القانون ولكنه فرق بين فئة وأخرى فهو يحلل لفريق ما يحرمه على الآخر .

ولقد كانت المظاهرات تقابل بالترحاب والثناء على شعور الطلبة وحضهم على الاشتغال بالسياسة حين يستريح الى سماع الهتاف له ، فاذا قصد هؤلاء الطلبة رجلا يعرفون ماضيه ويؤمنون بشرف موقفه وهو النقراشى باشا أصبح الحلال حراما وراح النحاس باشا ينبش القبور لبعث قانون غير دستورى سبق أن حمل عليه ونعته بأسوأ النعوت وقال على الذين شرعوه أنهم أرادوا استخدامه لأغراض خاصة .

الأزمة وأسبابها . .

والآن أنتقل بكم الى ما سماه النحاس باشا بالأزمة الدستورية ويجب على كل مصرى أن يفهم أن الأزمة عند النحاس باشا ليست الا كل ما يحول بينه وبين كرسى الحكم وكل ما يعترض طريق قدسية الزعامة التى لا ينبغى أن يقف فى طريقها ناصح ولا ناقد .

يصيح النحاس باشا ويصخب وينادى بالدفاع عن الدستور واذا ما سألتموه أين هو وجه الخطر على الدستور لم يحر جوابا ولكنها نغمة يرددها فى كل وقت ولا يمل تكرارها من غير أن يقول للناس شيئا عن هذا الخطر المزعوم .

والآن أرجو أن تسمعوا قصة الأزمة التى حاكها خيال النحاس باشا فى مسألة تعيين على ماهر باشا رئيسا للديوان الملكى .

قامت قائمة النحاس باشا لهذا التعيين ونادى بالويل والثبور مؤكدا أن فى تعيينه اعتداء على الدستور ، وخطب فى بعض الوفود مصرحا بهذا الاعتداء . وجمع الوفد المصرى والهيئة الوفدية ، ثم ما لبث أن تشرف بمقابلة حضرة صاحب الجلالة الملك وعاد بعد تشريفه بهذه المقابلة ، فهل استمع أو سمع أحد ماذا حدث فى هذه المقابلة أو بعد هذه المقابلة ؟ كل ما حدث أيها الإخوان أنه فى

طريقه الى مصر ، سأله سائل عما حدث بشأن الأزمة وما كان يتخيله خطرا على الدستور أجاب السائلين هل أنتم «فرحانون» قالوا نعم فيجيب «وأنا كمان فرحان»

هكذا شأن النحاس باشا فى هذه الأزمة المزعومة بل لقد تحدث بعدئذ عن المقابلة الملكية فقال : لقد أفضيت الى جلالة الملك بأنى صديق لعلى ماهر باشا منذ عهد بعيد وانى أقدر فيه الكفاية وحسن التصرف . فخبرونى برأيكم أيها الإخوان كيف نشأت الأزمة ، اذا كان النحاس باشا يقول فى غير مواربة . ان المقابلة أسفرت عن « انبساطه » واذا كان هناك أزمة حقيقة وهناك خطر فان معنى هذا كما يفهمه كل عاقل هو أن يزول السبب فيزول الخطر أو يستقيل النحاس باشا احتجاجا على خرق الدستور ،

أما القمصان الزرق فان الرغبة الملكية السامية أبديت فى غير مرة فى حل تشكيلاتها فكان موقف النحاس باشا من هذه الرغبة هو موقف المراوغة واخيرا وبعد أن تطورت الأزمة الأخيرة أعلن انه قبل حل هذه الفرق التى تعرفون كيف قامت وماذا صنعت .

وهناك مسألة على شىء من الخطر وهى تعيين عضو بمجلس الشيوخ .

قال النحاس باشا بعد ذلك أن فى الاعتراض على تعيين عضو بمجلس الشيوخ اعتداء على الدستور . وكيف يفهم هذا الاعتداء ؟

رشح النحاس باشا الأستاذ حسن نافع لهذا الكرسى فأبديت ملاحظة تتعلق بالمراد من التعيين فى مجلس الشيوخ وقيل له أن مرشحه لا تتوفر فيه الشروط المطلوبة فرحب بهذا الاعتراض ورشح بدلا عنه محمود فهمى باشا وكيل وزارة المواصلات السابق وبعد أن خلا الكرسى الذى يشغله على ماهر باشا رشح النحاس باشا فخرى عبد النور بك فأبدى على ترشيحه نفس الاعتراض ولكن النحاس باشا ركب رأسه وأصر على تعيينه والا كان الدستور فى خطر وأعلن أنه لا يرضى بفخرى عبد النور بديلا .

الاعتراض وقع فعلا ولم يكن فيه أى اعتداء على الدستور حين قبل النحاس باشا مرشحا غير الأستاذ حسن نافع ، فلماذا يثور بعد ذلك فى حالة مشابهة

فيصبح الخطر كل الخطر أن يكون الاعتراض على ترشيح فخرى عبد النور بك لعلكم لا تعرفون السر فى هذا التشبث والإصرار . إن السر خطير فى نظر النحاس باشا فان فخرى بك قد أخذ عهدا من مكرم باشا على تعيينه وأخذ موثقا من النحاس باشا على القبول فى حين أن فخرى بك هذا اعتبر من الخوارج عن الوفد حتى لم يسمح مكرم باشا ولا النحاس باشا بترشيحه فى دائرته أو تركها له .

فهل يصح فى الأذهان بعد ذلك أن يخلق النحاس باشا أزمة ويفتعل الخطر على الدستور من أجل هذه الملاحظة والاعتراض ، بينما هو نفسه قد سلم بهذه الملاحظة على ترشيح الأستاذ حسن نافع ، اذا كانت هـــذه الملاحظة الكريمة تعتبر خطرا على الدستور فى ظنه، فلماذا سلم بها من قبل؟

أما عن يمين الجيش قد أراد النحاس باشا إدخال تعديل عليها فقيل له أن اليمين تتضمن الخضوع لأوامر الحكومة وفى هذه الكفاية ولكنه أصر على التعديل وبقيت المسألة معلقة وأخيرا بعد أخذ ورد سلم بوجهة النظر ولم يعد هناك خطر على الدستور ولا الاعتداء عليه .

أيها الإخوان : ان الدستور هو أثمن وأغلى ما نحرص عليه فلا يليق أن نزج به فى كل مسألة مهما تكن بعيدة عنه ولا صلة لها به .

حرام أن يجعل هؤلاء القوم الدستور تكأة لأغراضهم الشخصية ووسيلة لقضاء مصالحهم الشخصية وهو دستور لايزال فى حاجة الى التدعيم والرعاية فقد ضحت البلاد فى سبيله ضحايا عزيزة غالية .

الأمانة فى النقل

اخوانى :

لقد اقحم النحاس باشا فى خطبته الأخيرة اسم رفعة نسيم باشـــا فى هذا الخلاف وهو رجل فى حالة صحية لا تسمح له بأن يدفع عن نفسه اذا وضعت أعماله فى الميزان وقد كنت أعرف الى هذه اللحظة أن النحاس باشـــا لا يزال يحتفظ بميزتين وهما الأمانة فى النقل والصدق فى القول ولكنى أقول والأسف

يملأ نفسى ان فقدان كرسى الوزارة أطاح بهاتين الميزتين .

يقول النحاس باشا ان نسيم باشا كان يعمل على اعادة دستور سنة ١٩٢٣ وانه سرعان ما ألف دستور صدقى باشا بعد توليه الحكم واسمحوا الى هنا أيها الاخوان أن أتحدث اليكم فيما عرفته وباشرته شخصيا فى هذا الشأن .

قال النحاس باشا ان نسيم باشا حرص على أن يذكر فى الأمر الملكى الصادر بالغاء دستور صدقى باشا أن يحل محله الدستور الذى ترتضيه الأمة وقد فهمنا جميعا فى ذلك الحين أن المقصود بالدستور الذى ترتضيه البلاد انما هو دستور سنة ١٩٢٣ لأننا كنا لانرضى به بديلا فلما رأينا فى الجو مايشعر بالتباطؤ والتفكير فى شىء آخر استقر الرأى على أن يرفع نسيم باشا خطابا الى المغفور له الملك فؤاد بأن دستور سنة ١٩٢٣ هو ما ترضاه البلاد ولعلى ما أذيع سرا اذا قلت أن نسيم باشا لأمر ما أراد أن يوفق بين رضاء مايهمه أمرهم وأمر الابطاء بالدستور وبين ارادة الأمة . وارادة نسيم باشا أن يلقى الأمر على عاتق جلالة الملك فرفع مذكرة الى جلالة الملك يطلب فيها إما اعادة دستور سنة ١٩٢٣ وأما عقد جمعية وطنية لاخراج دستور ترتضيه الأمة، لكن المليك الراحل تغمده الله برحمته كان حاذقا بعيد النظر فقال انه يفضل اعادة دستور ١٩٢٣ فما لبثنا أن طالبنا نسيم باشا بالعمل على تنفيذ هذا الأمر الملكى ولكن نسيم باشا أخذ يراوغ ويماطل ويعقد اجتماعات فلما رأيناه يسلك هذا المسلك ضربنا له أجلا غايته ١٣ نوفمبر فاذا لم ينفذ هذا الأمر الملكى اضطررنا الى عدم تأييد الوزارة

فلما حان ميعاد عيد الجهاد الوطنى ولم يعن نسيم باشا بما تعهد به من جانبه اضطر النحاس باشا تحت ضغطى وضغط النقراشى باشا عليه وقيام الأمة على بكرة أبيها وفى مقدمتها الذين ضحوا بأرواحهم رخيصة فى هذا السبيل، ازاء كل هذا لم ير النحاس باشا بدا من اعلان عدم استطاعة الوفد الاستمرار على تأييد وزارة نسيم باشا ولكن نسيم باشا رغم ذلك ظل وسيظل رجلا عظيما فى نظر النحاس باشا .

يقول النحاس باشا ان نسيم باشا رفع مذكرة طويلة مشرفة يبسط فيها وجهة

النظر الوطنية الى دار المندوب السامى . والواقع ان النحاس باشا شافه نسيم باشا بما يقبله الوفد وطلب اليه أن يبلغ دار المندوب السامى ذلك فرفع نسيم باشا مذكرة وبعد أن رفعها اطلعنا على صورة منها فرأيناها وكأنها مكتوبة بيد انجليزية لا يد مصرية ، وقد أغضب الوفد هذا التصرف واستكثر النحاس باشا نفسه على نسيم باشا أن يكتب لدار المندوب السامى عن وجهة النظر الوفدية فلا ينطبق على الحقيقة ، والواقع وكان عذر نسيم باشا حسن نيته ، وقد عاد بناء على طلبنا فأبلغ المندوب السامى أنه أخطأ فى النقل .

لم يصدقه الانجليز وحسبوا أن ذلك خطأ من الوفد لأنه من غير المعقول أن ترفع المذكرة برأى الوفد ولا يطلع عليها وقالوا لو أن نسيم باشا لم يمارس الحكم قبل ذلك لكان له شبه عذر وكان نسيم باشا رجل ولى الوزارة غير مرة وكان رئيسا للديوان الملكى واذا كان مثل نسيم باشا لا يستطيع الاضطلاع بهذه المهمة العسيرة فمن ذا الذى يقوم بها .

تلك هى قصة « المذكرة المشرفة » التى تحدث عنها النحاس باشا فهل هناك طمس للحقائق وقلب للاوضاع أعجب من هذا ؟ ويقولون ان ماهر والنقراشى اتفقا مع الأحزاب الأخرى ضد نسيم باشا حتى أبعد اسمه من عضوية مجلس الوصاية وحقيقة الأمر أن النحاس باشا اجتمع بنا وأبدى رأى الأحزاب باستبعاد نسيم باشا من أعضاء مجلس الوصاية فوافقنا جميعا على ذلك وواضح أن ما قاله النحاس باشا يتنافى مع الحقيقة ويبعث على الأسف .

شهادة وتحكيم !

وأعجب العجب أن يستشهد النحاس باشا على صحة هذه الوقائع بنجيب الهلالى بك هذا الذى كان يطلق لسانه فى كل مكان بحملات شعواء على النحاس باشا وتصرفات وزارته وكان يهاجم الوفد والوزراء فى ذلك الحين وعلى رأسهم النحاس باشا فى دار أحد زعماء الأحزاب قبل أن يشترك فى الوزارة النحاسية ببضعة أيام ، حتى لقد أبدى ملاحظة بشأن ماينبغى القيام به لمقاومة أعمال الوزارة

كان ذلك موقف شاهد النحاس باشا الذى رأيناه بعد أيام يقوم فى حفلة السيده زينب خطيبا يعلن الحرب على رئيس الحزب الذى كان يجلس فى داره منذ بضعة أيام . وهذا هو الرجل الذى يفرح النحاس باشا بانضمامه اليه وشهادته له ، وهذا هو موقفه الذى يغنى فى ذاته عن كل تعقيب ، إلا أن نرثى للحالة التى انتهى اليها النحاس باشا بمن معه

يقول النحاس باشا بعد ذلك أن اقالته كانت مدبرة بدليل أن على ماهر باشا حين عرض عليه فكرة التحكيم رد عليه باقتراح عرض الامر على البرلمان فلم يقبل هذا العرض ولعلكم تعرفون أن البرلمان ينظر فى كل شىء الا فيما يتعلق بالدستور فان لذلك شروط معينة

أما لجنة التحكيم فقوامها رجال ممن اشتركوا فى وضع الدستور الذى قبلته الأمة وان كل ماسيقررونه سيسرى على كل من يلى الحكم فى المستقبل

لقد كنت افهم أن يطلب النحاس باشا انقاص هذا التحكيم أو بعض التعديل الذى يمكن الاتفاق عليه ولكنه رفض بحجة أن هؤلاء خصومه ، ولا أدرى الى متى يتجاهل ماينبغى عليه أن يفرض فى غيره من أن له وجدانا وضميرا لقد كان أعضاء لجنة الدستور جميعا من الخصوم ولم يشترك فيها احد من الوفديين ولكنها كانت تعمل بوحى الضمير ، ونحن الآن نعتز بالدستور الذى وضعته ونستشهد بأقوال اعضائها اذا أشكل علينا امر والتبس علينا نص ، بل نحن لانرضى بدستورهم بديلا فلا يليق ولا ينبغى الطعن فى مظاهر الناس وكرامتهم من غير سبب اللهم الا رغبته فى الاستئثار بالامر فى كل شىء .

لقد تحدثت الى الوفود الاخرى عن الموقف وتفاصيل تطوراته التى ادت الى اقالة النحاس باشا بعد ان اغلق بشططه كل باب فى وجه الكثرة البرلمانية الوفدية وهو يدعى فى الوقت نفسه أن الدستور قد اعتدى عليه وان الحكم يجب أن يكون تخليدا له هو والمشير الذى استأثر به واطمأن اليه .. ولا أريد أن أعود الى حديث انتهينا منه وأكتفى الآن أن أختم كلمتى بشكركم وتحية تلك اليقظة التى تتجلى فى غضبتكم للحق وكل ما أرجوه هو أن لا تنصروا

ألا الحق غير ناظرين الى الأشخاص فمن أخاص فى العمل لخير الوطن وأقام على العهد وأخذ نفسه باحترام أحكام الدستور فانصروه ، ومن عمل لأغراض خاصة لا خير فيها للصالح العام فاخذلوه .

ولنمض فى طريقنا أقوياء بالحق مسترشدين بوحى الضمائر ورعاية الملك الدستورى العادل » هتافات وتصفيق حاد طويل » .

عن قنال السويس

من كان الحق فى جانبه لا يعوزه فى مناقشة
خصومه عنف أو انحراف عن جادة الصواب .

أخوانى :

أشكر لكم تفضلكم بالحضور لتأييد الزميل المحترم على عباس نائب الخليفه السابق الذى أرجو بجهودكم وعملكم أن يعود الى مجلس النواب ليشترك فى نصرة قضية الحق والعدل وليعمل مع العاملين للمصلحة العامة لا لمصلحة شخصية أو غرض ذاتى

وأتوجه بأخلص الشكر لحضرات الخطباء الذين سمعنا منهم كلمات طيبة وتحية صادقة وان كنت آخذ على الشاعر المجيد ما بلغ حد الهجوم العنيف فى بعض أبيات قصيدته ، لأن من كان الحق فى جانبه لا يعوزه فى مناقشة خصومه عنف أو انحراف عن جادة الصواب، فلندع السباب والشتائم متاعا خالصا لخصومنا ، ولننشد النصر دائما بالحق والمنطق السليم .

ان الشتائم والأكاذيب والافتراءات أسلحة الضعفاء ولا يمكن أن تقوم لأصحاب هذه الأسلحة قائمة ، ولن يضير الحبث الا أهله ، أما كلمة الحق فتعلو وان كره الشاتمون الذين لا يقتنعون .

أخوانى . أعرض لمسألة أخرى على جانب عظيم من الأهمية ، وهذه المسألة تتصل بشئون دولية خارجية ولكن أهم مسألة نوليها عنايتنا فى الوقت الحاضر مسألة أثيرت فى اليومين الأخيرين على أثر استقالة المستر ايدن وزير خارجية بريطانيا السابق اذ أذاعت الأنباء الخارجية أن لحكومة ايطاليا اتجاها يراد به

تحقيق الاشتراك فى الدفاع عن قناة السويس بحجة أنها طريق مواصلاتهم ايطاليـــا .

هذه دعوى لا يزال الغموض يحيط بحقيقتها وتفاصيلها ، ولكن أنباءها كثرت واستفاضت ومن أجل هذا نرى أن من حقنـــا وواجبنا أن نعلن أنها دعوى لا يمكن أن تقبلها مصر بأية حال « هتاف وتصفيق » .

إن مصر لا تقبل هذه الدعوى من أية دولة . وقد نصت المعاهدة المصرية البريطانية على أن لمصر وحدها حق الدفاع عن قناة السويس وإذا كانت الظروف قد قضت بأن تكون مصر فى مستهل العهد الجديد محتاجة الى تعزيز قوة الدفاع وانها من أجل هذا تشرك مع الجيش المصرى جيش الدولة الحليفة فى الدفاع عن القناه الى أن تستكمل تنظيم الجيش وترقية وسائل الدفاع ومعداته فأن ذلك قد حددت له فكرة معينة ، وكل مايجب علينا ازاء هذه الحالة ألا نبطىء فى العمل حتى يصبح لمصر جيش قوى جدير بأن يدافع عن حدود البلاد ،

والواقع أن العمل فى السنتين الأخيرتين كان بطيئا وغير منظم ولم يستند الى برنامج مفهوم يكفل تعزيز التحصينات على الحدود والسواحـــل الطويلة وينهض بالروح المعنوى الى ما تناط به آمال الجميع وهذا البرنامج يجب أن يوضع كاملا واضحا حتى لاتكون المسألة مقصورة على الكلام الكثير والعمل القليل وهى مسألة صيانة حقوقنا وحرياتنا وعزتنا القومية (هتافات وتصفيق) ،

هذه كلمات رأيت من واجبى أن أقولها لمناسبة ما ظهر أخـــيرا فى افق السياسة الدولية خاصا بمسألة الدفاع عن قناة السويس وانى اقول بأعلى صوتى ان مصر لاتقبل دعوى اية دولة فيما يمس استقلالها . ولا تقبل ان تدعى اية دولة حق توليها الدفاع عن قناة السويس مهما تكن علاقة تلك الدولة .

اعود الى المسألة التى مهد لى شاعركم التحدث عنها وهى مسألة القمصان الزرق .

ولقد استنكرت واستنكر معى زملائى ما آلت اليه حالة فرق القمصان الزرق فى الشق الثانى من حكم النحاس باشا وذلك انها اتجهت اتجاها غير الذى

كان مألوفا عن حكمة تأليفها فى البداية ، كنا من أنصار تأليف فرق رياضة من الشباب المتعلم المثقف لتكون بداية صالحة للنهوض بالروح الرياضى والعسكرى فى العهد الجديد . ولكن رأينا تلك الفرق تتحول الى اخـــلاط من المتعطلين الذين يجردون للاعتداء على الحريات ولارتكاب أشنع الآثام فى سبيل حزبى ولتحقيق غاية من فرد أو أفراد .

استنكرنا تلك الحالة التى تتنافى مع قيام أية حكومة تستحق أن يطلق عليها هذا الاسم لأن أول واجبات الحكومة أن تصون الأمن والحريات ولا تسلط شراذم من الأشرار على الآمنين من أفراد الشعب يعتدون ويسلبون وهم فى حمى حفظة الأمن ومعسكراتهم فى أملاك الحكومة أو الأوقاف وميزانيتهم من مال الدولة .

وكان النحاس باشـــا يحرم ظهور فرق أخرى من القمصان الخضر واتهم هؤلاء بأنهم يعملون لحساب دولة أجنبية فطلب اليه أن يبين الحقيقة لأنه اذا صح أن هناك أشخاص تسخرهم دولة أجنبية فانهم تطبق عليهم مادة لم توضع فى قانون العقوبات عبثا وهى تقضى بالاعدام فكيف يترك المتهمون بالخيانة يروحون ويغدون ، وهم اذا كانوا خونة حقا وجبت محاكمتهم ، واذا كانوا ابرياء فان الاكتفاء بمراقبتهم دائما لا يتنافى مع أبسط المبادىء الدستورية . أعرض مسألتهم على البرلمان فى جلسته السرية أو قدمهم للمحاكمة فى جلسة سريه . كل هذا لم يستمع اليه النحاس باشا واكتفى بقوله أنها أسرار وأنه من أجل هذا يمنع ظهور هؤلاء الناس بقمصانهم فى الشوارع ولو صح أنهم ارتكبوا تلك الخيانة لكان من الخير أن يظهروا أمام الناس بقمصانهم ليكونوا معروفين وليتقى شرهم

ولولا أن أكبر خطأ ارتكبه النحاس باشـــا هو أن اعتقاده أنه خالد فى الحكم لما تصرف هذا التصرف لأنه اذا أبيح لرئيس حكومة فى أى وقت أن يدفع بهيئة معادية له بتهمة لايحقق فيها ، فإنه قد يجىء رئيس حكومة يوما

ويقول لنا أن الوفد يجب أن يحل لأن لدى معلومات سرية تؤكد اتصاله بدولة اجنبية واذا قلنا هذا اتهام يحتاج الى دليل وتحقيق ، يرد بأنها أسرار وانه يكفى اقتناعه واذا صحنا باسم الدستور تكون حجته انه اخذ عنا هذه القاعدة (هناف وتصفيق)

كذلك كان يعتدى على الدستور وعلى مبدأ من أهم مبادئه وهو مبدأ المساواة فكيف يطمع مصطفى النحاس باشا فى أن يرى المصريين فى تصرفاته الاخيرة ما كانوا يرونه عندما كان الوفد مترسما لخطوات الزعيم الخالد الذكر

انى اعجب لصحفهم التى تنشر مقالات للاستاذ العقاد كان قد كتبها منذ سنوات مؤيدا للوفد ، أعجب لما يرونه من نشر هذه المقالات التى تشرف صاحبها كما يشرفه الآن وقوفه فى وجه النحاس باشا وحملته على مايرتكب من أخطاء لأنه لا الاستاذ العقاد ولا أحد منا تحول عن المبدأ الذى اعتنقه ، ولكنهم هم الذين تحولوا فاصبح لزاما على كل ذى مبدأ سليم أن ينصرف عنهم وأن يناهض ماالتوى من خطتهم

اخوانى : اذا كان مكرم باشا قد أغضبه أن استشهد بأحاديث كانت تدور بينى وبينه فانى أرى اليوم أن استشهد بحديث له عن القمصان الزرق

وأرجو أن يكون مفهوما انى لا أريد أن أغضبه ولكنى أريد أن يعلم أن الاستشهاد بأحاديث تتناول شئونا عامة لا خاصة ومسائل لا سرية فيها على الاطلاق استشهاد لامندوحة عنه ولامعنى للمجاملة فيه

تحدثت يوما مع مكرم باشا عن مسألة القمصان الزرق مستكثرا التشبث بمن لاخير فى وجودهم فكان رده « قمصان زرق ايه والمسألة . . . كلها تهويش وليس منا من يعتقد فيها أى خير »

وكلمة — تهويش — هى التى سمعتها منه ، فعجبت كيف تتورط وزارة فى ازمة دستورية خطيرة لالسبب الا الرغبة فى التهويش

إذا كان هذا التهويش مبررا المتمسك ببقاء القمصان الزرق فما كان قولهم

انهم لا يحلون تلك الفرق لأن فى حلها انتصارا للمعارضة

والواقع انه لاضير على اية حكومة دستورية من ان تتخذ اجراء كائنا ما كان بعد ان ترفضه حملة المعارضة لأن المعارضة فى كل بلد دستورى هى التى ترشد ، وقد ذهب بعضهم الى القول بأنها هى التى تحكم

وقد آن لنا ان نعرف مايقتضيه احترام روح الدستور وليست المسألة مسألة الفاظ او شقشقة لسان .

اخيرا اكرر شكرى لكم واحيي شعوركم نحو مرشحكم وارجو ان تقول الامة كلمتها إما لنصرة الحق والعدل واما لاعادة الظلم والفوضى « هتافات »

خطاب سياسى

(أقامت لجنة الوفد بالدرب الأحمر فى ٢٢ فبراير سنة ١٩٣٨ حفلة تكريم للدكتور أحمد ماهر وننشر فيما يلى بعضا من الخطاب السياسى الذى ألقاه الفقيد فى دائرته الانتخابية عقب الخلاف نشب الذى فيما بينه وبين رفعة رئيس الوفد على الأسلوب الذى تحكم به البلاد . . .)

أشكر لجنة الوفد بالدرب الأحمر لاعداد هذه الحفلة وأشكركم أجمل الشكر على تفضلكم بالحضور الى هنا ففى حضوركم لهـــذا الجمع العظيم أكبر وأعظم تكذيب لما كتبوه ولما أشاعوه من أكاذيب فى جرائدهم وانى أقول لحضراتكم اننى قدمت بلاغا الى سعادة النـــائب العمومى للتحقيق فى كل هذه الأكاذيب ولكننى لم أبلغ سعادته لأنى لا أقبل النقد بل بالعكس أرحب به وبالشتم والسب أيضا مادامت أخلاقهم وأقلامهم تجيز لهم ذلك . أنا لا أخشى السب لأنى أحتقره واتركه تحت قدمى . وقد قلت لسعادته ان من كتابهم ومن صحفهم من طعن فى طعنا شخصيا يعاقب عليه قانون العقوبات ولكننى لا أشكوه . أما اذا كانت هذه الكتابات والأكاذيب تدعو الى الفتنة وتعرض البلاد لخطر الفوضى وتحمل التحريض الصريح على ارتكاب الجرائم ففى هذه الحالة لا أسكت ولا أرضى أن تستمر أكاذيبهم

لما أن يئس هؤلاء القوم من الوصول الى قلوبكم وتأييدكم وجدوا ألا وسيلة لهم إلا الخداع ومحاولة التغرير بالناس لعلهم يجدون فى الفتنة ما يعملون للوصول اليه .

كانوا يقولون ، أثناء حكمهم ليستعينوا بالانجليز وليعمل ممثلها فى مصر على الابقاء على وزارة النحاس باشـــا ، أننا لو تركنا الحكم لقامت فى البلاد ثورة

هوجاء ولعدنا الى سنى الثورة ولانقطعت سبل المواصلات وأريقت الدماء أنهارا . وقد صدق الانجليز هذه الأوهام لأن من مصلحتهم الظاهرة الحرص على الهدوء فى هذه الأوقات العصيبة معتقدين أن الامة ما زالت تؤيد النحاس باشا وحكومته ناسين ان الرأى العام فى مصر يقظ وان الامة المصرية تدرك بسهولة ما لا تدركه أمم أخرى . كفاها أن ترى حكم النحاس باشا حتى تحكم على فساده فتعدل عن هذا التأييد وتعلن سخطها عليه

الطلبة

ولقد كان الطلبة الابرار هم أول من تحرك نحو هذا الاتجاه وأول من ضحوا فى سبيل المصلحة العامة فهم فى طليعة الرأى العام وهم علامة تحوله وقد حاول النحاس باشا أن يكم أفواههم وأن يمنعهم من الظهور بالرجوع الى قانون استثنائى صدر فى عهد حكومات سابقة وحكم عليه البرلمان الوفدى انه قانون رجعى فأحياه النحاس باشا اداريا وعمل به دون أن يرجع فى ذلك الى رأى البرلمان والى رأى الامة وذلك خوفا من أن يفعل رأى الطلبة فى حكمه فعله فى أذهان الناس .

ولكن لما استمرت الحال على شدتها وزادت الأزمة وانتهى الأمر باقالة الوزارة كان النحاس باشا وأعوانه ينتظرون أن يروا الدماء تجرى فى الشوارع ولكنا لم نر شيئا بل رأينا هدوءا شاملا بل سرورا عم الناس أجمعين للخروج من هذه الحالة الشاذة التى ما ضحينا من أجلها هذه التضحيات العزيزة لنصل الى هذا الحكم الفاسد الموبوء بل للتخلص منه بكل وسيلة حتى نجحنا وسكنت الحالة فأسقط فى أيديهم وأصبحوا لا يعرفون كيف يقابلون من قالوا لهم ان الأمة ما زالت تتحالق بهم .

استنباط

قلت لحضراتكم فى الاجتماع السابق انى لم اكن وحدى فى اظهار الألم والشكوى من تصرفات الحكومة النحاسية بل شاركنا فيه كثير من زملائى

النواب أستغفر الله بل اكثر النواب الذين لا يزالون الى اليوم يحرقون البخور للزعامة المقدسة.

وكان كل الفرق بينى وبينهم انهم لا يكشفون عن آرائهم فى الصراحة التى يقتضيها الموقف .

اما انا فكنت اعتقد ان هذه الصراحة لازمة لاصلاح الحال ودفع اخطار السياسة التى كانوا يسيرون عليها . ولم يكن احتجاجى واعتراضى يتجاوز فى بادىء الأمر مصارحة النحاس باشا ومكرم باشا وأم المصريين بما أراه فى الحكم من عيوب وألفت نظرهم الى ضرورة اصلاحها دون أن يكون للتشهير أو التشنيع شأن فيما أعمل . وقد بلغ بى الحرص على هيبة الحكم أننى لم أكن أصارح أحدا فى الخارج حتى ولا النواب بتفاصيل آرائى فى المسائل حتى لا أخرج المسألة من طور النصيحة الى طور الفضيحة . وحتى لا يشعر القوم بأنى أحيطهم بجو يعكر عليهم سبيل العمل غير أن ذلك لم يمنع الكثير من حضرات النواب وقد أهمتهم أخطار الحالة من مكاشفتى بآلامهم وضجرهم من فساد الحكم فكانوا يطلبون تدخلى بل يحملوننى مسئولية استمرار تلك المخازى . فكنت اذا فاتحت أحدهم بذلك أشرح له موقفى والمساعى التى بذلتها وأبذلها لاصلاح الحال . وكنت أرد اليهم المسئولية لبقائهم ساكتين على تلك العيوب وتأييد أصحابها تأييدا أعمى . ولو أن واحدا منهم كاشف بحقيقة رأيه لوصلنا الى أحسن النتائج ولشعر القوم بأن السخط قد عم نفوس النواب .

يكفيهم لكى يستمروا فى سياستهم أن يعتقدوا أن جمهور النواب والشيوخ معهم وعلى تأييدهم ولا يهمهم بعد ذلك رضى أحمد ماهر أم غضب .

كنت أقول لهم أنتم تسيئون للنحاس باشا وحكومته بهذا السكوت ، وكان ينتهى الحديث فى الغالب بابداء استعدادهم لتأييدى اذا شرحت وجهة نظرى فى اجتماع الهيئة الوفدية ولكن هذا لم يحدث مع الأسف .

واستشهد بكثير من حضرات النواب وعدد أسماء الذين كانوا متبرمين من الحالة التى وصلت اليها البلاد فى عهدهم ولكن لم يستطيعوا أن يكشفوا للنحاس

رأيهم ومن الغريب ايضا أن النحاس باشـــا عند ما سمع بأسماء هؤلاء النواب المعترضين عدل عن ترشيح بعضهم فانظروا الى أى مكان ينحدر نواب النحاس باشا ، هؤلاء النواب الذين فصلت لكم أحوالهم يا حضرات الناخبين وغيرهم ممن سآتى على اخبارهم فى اجتماعاتنا المقبلة هم الذين يدعون اليوم بينكم للدفاع عن الدستور والحريات والأخلاق وهم الذين يلتفون حول الزعاعة المقدسة وهم الذين يرمون احمد ماهر وأصـــدقاء احمد ماهر بالخيانة والغدر . الا بارك الله للزعامة المقدسة فى نوابها وأنصارها وبارك لهم فيها .

على أن الأمر أخطر من هـذا فعلينا ونحن اليوم جميعا فى كفة الميزان أن نكشف للناخبين عن سيئات هؤلاء النواب ليحكموا عليهم حكمهم العادل . يجب أن يعرف الناخبون كيف أدى رجالهم الأمانة وكيف صانوا شرف النيابة وكيف أن رجالا بلغوا من الثقافة أعلاها ومن الوظائف أسماها وأرقاها أقعدهم الجبن والخور عن قول الحق فأضاعوا بذلك الحق وفرطوا تفريطا عرض مصالح البلاد للخطر .

أيها السادة . يكفينى هذا اليوم وسأكشف لكم فى اجتماعنا المقبل ان شاء الله عن أمور تتصل بمخازى القوم ومساوئهم فى مدة حكمهم وموعدنا فى القريب العاجل ان شاء الله .

سياسيات . .

(خطاب سياسى هام للشهيد العظيم ألقاه
فى حفل انتخابى أقيم لتأييد مرشح الهيئة
السعدية فى دائرة نقطة العزب بشبرا فى
١٤ مارس سنة ١٩٣٨)

إخوانى :

طال هذا الاجتماع وتعدد المتكلمون وسمعتم بياناتهم القيمة وانى لأشكرهم جزيل الشكر وأشكر لحضراتكم تفضلكم بالحضور لتسمعوا كلمتنا تأييدا لمرشح الهيئة السعدية فى هذه الدائرة .

أعجبت كثيرا بما قاله ممثل كلية الحقوق من أننا لا نطلب تأييدكم لأشخاصنا ولكن لتأييد سياستنا فان رأيتم أن سياستنا لا ترضيكم كان عليكم أن تطلبوا منا افساح الطريق لغيرنا وأن نترك الميدان لمن هو أجدر بأن يجول فيه وأن يعمل لمصلحة الوطن وهذا الشعب العزيز الذى ضحى بحياته وهنائه طوال هذه السنين ليصل الى ما يطلبه من حرية ويرجوه من استقلال .

وقد أشار حضرة الأستاذ وهيب بك دوس الى رأيي فى المعاهدة وهو انها تعتبر خطوة طيبة وبداية عظيمة وأساسا صالحا نبنى عليه ونكمل به استقلالنا معتمدين على أنفسنا وهذا القول قلته لاخوانى بقصر انطونيادس بعد أن وقعنا بالحروف الأولى من أسمائنا على المعاهدة . قلت ان ما كسبناه من هذه المعاهدة هو أن أمرنا أصبح بيدنا فى استطاعتنا أن نمضى به الى الغاية التى نريد .

حقيقة ان بالمعاهدة عيوبا ونقصا ولكن فى يدنا وفى عملنا وتصرفنا أن نتم هذا النقص .

والوصول الى ذلك ظاهر واضح ألا وهو الحكم العادل القائم على أسس

المساواة وعدم التفرقة بين الأشخاص وايثار الكفء الصالح للعمل . هذا هو الحكم وغايته وطريقته ، ولكن يجب أن يصحب ذلك اصلاح فى شتى نواحى الحياة . .

ولقد كان من الواجب علينا أن نعمل بجد فى سبيل الاصلاح وأن نبذل ما فى الوسع وما هو فوق الوسع ان استطعنا لذلك سبيلا .

كان ذلك حتما علينا حتى نشعر بتقدمنا من الغرض الأسمى يوما بعد يوم ، وحتى نطمئن الى أن كل ساعة تمضى انما تقربنا خطوة الى غايتنا العظمى .

مبادىء . .

وهذه المبادىء التى نادى بها سعد

هذه هى المبادىء الحقة والمعانى القويمة المستترة وراء الألفاظ التى ينادى بها كل يوم . استقلال ودستور وعدالة . وكلما اتجهنا نحو هذه المبادىء زاد تعلق أبناء البلاد بالاستقلال وكلما حققنا بذلك شيئا من المبادىء التى نادى بها سعد وعمل لها سعد طول حياته والتى نحن نطالب بالعمل لها وفاء لحق الوطن علينا وتمجيدا لذكرى زعيمنا الخالد وتحقيقا لما كان يرمى اليه هذا الشباب الطاهر الذى ضحى بحياته وهو ينادى لتحى مصر لتحى مصر .

فى المعاهدة عيوب ، وهذا قول حق ولكن علينا أن نذكر الى جانب ذلك أن فوز مصر بشىء من آمالها لم يكن مما يرضى الانجليز جميعا بل كان هناك من يبخل عليها بأى حق وكان هناك كذلك من يؤثر مودتها ويدعو الى كسب صداقتها . والواجب الوطنى يحتم علينا كى نظفر بما بقى لنا من حقوق . أن نعمل على تقوية الرأى الثانى وأن نثبت أنه كان على حق وانه فيما دعا اليه من الصداقة المصرية انما كان داعيا الى الحسنيين : مودة مصر وصالح الانجليز .

والسبيل الى ذلك انما هو الحكم الصالح والسياسة الرشيدة التى تنهض بسمعة مصر وتعزز استقلالها .

علينا أن نعمل على تحسين الادارة والزراعة وترقية التجارة وتقوية الجيش

وغير ذلك من المرافق العامة حتى يتسنى لهذا الفريق من الانجليز أن يقول : اننا أصبنا فى مصادقة المصريين والتفاهم معهم فقد برهنوا على انهم أمة حية فتية ناهضة وهى كتلة واحدة دائبة على الاصلاح ، فالاعتماد عليها ومصادقتها من خير الأمبراطورية البريطانية ،ولولم نصادقها لتعرضنا لخصومتها فى هذه الظروف السياسية العالمية وأصبحوا شوكة فى ظهورنا وكنا محتاجين لوجود قوى بريطانية بمصر .

أما الفريق الانجليزى الذى سلم وهو آسف وقبل وهو مضطر . الفريق الذى رأى الظروف تدعوه الى قبول هذا الاتفاق مؤقتا . يقول متى رأى جد المصريين ومبلغ كياستهم فى ادارة شئونهم . لقد كنت مخطئا .

هذا هو القول الحق فكلما عرفنا قيمة الاستقلال والحرية . ولا يمكن أن ندرك قيمتها الا اذا تمتعنا بمزاياهما من العدل والحرية . ازددنا أهمية وتقديرا فى نظر اصدقائنا .

اذا وصلنا الى هذه النقطة هناك يصبح الاستقلال ذا قيمة كبيرة فى نفوسنا فنرى أن ما تحملناه من عنت وقسوة وشدة كان رخيصا الى جانب النتيجة التى وصلنا اليها ولذلك وجب أن نستعد لآلام جديدة وتضحيات اخرى اذا ما اقتضتنا الظروف فى سبيل الاستقلال والدستور والحريات

كل هذا يتغير لو تغير عملنا وساء تصرفنا بأن جئنا للكفء فحرمناه من وظيفته او ملنا فى توزيع العدالة او انحرفنا عن الجادة فى الادارة .

ولو اننا فعلنا ذلك لضج الناس من الظلم ولقالوا ان حكم الانجليز كان خيرا من الاستقلال .

هذا الجو الذى يساعد على ترجيح عهد حكم الانجليز على الحكم المصرى وعلى الاستقلال والسيادة لأنه جو فاسد يعرض استقلال البلاد للضياع . ويقوى جانب الانجليز الذين يبخلون على مصر بحقها ويقولون هذا ما كنا نخشاه فان مصلحة الأمبراطورية فى خطر لأن هؤلاء الناس لا يمكنهم ان يحموا انفسهم وحرياتهم فكيف يصلحون للمحافظة على قناة السويس وهى الطريق

الأساسية فى المواصلات الأمبراطورية . . . يقول هذا غلاة المستعمرين حين نفشل فى استكمال أسباب سيادتنا واستقلالنا ويقولون أيضا انهم كانوا أبعد نظرا وأصح تقديرا للامور من أصحاب سياسة حسن التفاهم والعمل على التعاون مع المصريين والارتباط معهم بمعاهدة ومحالفة يصبح لهم بعدها مطلق التصرف فى شؤونهم .

وتكون النتيجة أنه فى حالة حدوث اشكال أو خلاف فى الرأى تعود الجنود التى تكون قد انتقلت الى منطقة قنال السويس الى القاهرة كرة أخرى .

ومسألة تحديد عشرين سنة للجلاء عن هذه المنطقة يدل على أنهم ينظرون الينا كيف نسير بأمورنا ، فاذا حسنت الأمور على أيدينا ظلوا فى أمكنتهم واذا ساءت كانوا قريبين منا .

تصوروا أن الجيش المصرى أصبح بعد خمس سنين أو عشر قادرا على حماية البلاد ضد أى عدوان ، وتصوروا أن حركة الاصلاح قد امتدت الى سائر فروع الحياة المصرية فازدهرت الزراعة وراجت التجارة وتقدمت الصناعة وأخذت مصر تحيا حياة الأمم المستقلة ذات القوة والمنعة أفلا يجد الانجليز حينذاك ان وجود جنودهم فى منطقة القناة — حتى ولو لم تمض العشرون السنة — لا داعى له وانه أولى بهم أن يتركوا العبء على عاتق أصحابه ويوفروا على أنفسهم المال وعلى جنودهم الجهد والتعب

انى لأعتقد أننا مستطيعون أن نصل معهم الى اتفاق بجلائهم قبل انقضاء المدة المحدودة ولكن على شريطة أن نصبح أقوياء نستطيع الدفاع عن استقلالنا ولو الى الوقت الذى يجيئنا المدد من الخارج .

أما اذا لم تصلح أحوال الدولة ولم يصبح جيشنا جديرا بالدفاع عنها فاننا نعطل الجلاء حتى الى السويس .

نصح . .

أيها السادة :

سمعت ان حكومة النحاس باشا قبل إقالتها قبلت أن تبنى ثكنات جديدة للانجليز باحدى المدينتين القاهرة أو الاسكندرية . لماذا ؟ لتنزل بها أورطة ميكانيكية انجليزية يقال انها تجىء لتعلم الجيش المصرى نظام القوات الميكانيكية والمعروف ان تعليم الجيش لايحتاج الى أورطة كاملة وانما هو يحتاج الى عدد من الضباط وضباط الصف . .

هذه سياسة لا تقصر أجل الاحتلال ولا أجل وجودهم فى منطقة القناة والآن وقد مضى على المعاهدة عهد طويل ولم تبن ثكنات فى منطقة القناة ، ولم يعرف متى تبنى . ولاماذا تكلف الدولة ، ثمانية ملايين . أكثر . لا أحد يعرف

لهذا قلت ان ما كسبناه من المعاهدة لا يتعدى فى الواقع أمرا واحدا . هو أن مصير البلاد أصبح فى أيدينا . أصبح حمله نحمله وحدنا . كنا من قبل اذا أخطأنا حملنا الانجليز تبعة هذه الأخطاء أما الآن فنحن المسئولون عن تقدم بلادنا وسداد خطاها نحو استكمال الاستقلال والسيادة .

قلت هذا من قبل . قلته فى قصر انطونيادس أيام المفاوضات لكثير من اخوانى وزملائى . قلت لهم ان التبعة المستقبلة ، والحدود التى يتطلبها العهد الجديد تجعلنا فى حاجة الى الاستعانة بجميع الكفاءات وجميع الرجال ذوى المواهب بغض النظر عن ألوانهم السياسية ومبادئهم الحزبية فلا فرق بين وفدى اذا كان صالحا لخدمة بلاده ولا تميز لأحد على أحد الا بمقدار صلاحيته للعمل على تدعيم العهد الجديد ، وهذا يدعونا الى تناسى الخصومات والاحن القديمة والخلافات التى لم يكن بد منها .

ذلك على حين وفقنا الله تعالى الى هذا الاتحاد والائتلاف الذى وصلنا بسببه الى هذه الخطوة الواسعة فى سبيل الغرض الأسمى الذى نسعى اليه وهو حرية بلادنا واستقلالها وسيادتها .

قلت لهم أكثر من هذا . وقلت لهم انظروا الى المانيا . وقد اتهمت بأنها هى التى أثارت الحرب العظمى وارتكبت فى أثنائها من الفظائع والوحشية ما بالغت الدول فى وصفه حتى أخرجت المانيا من دائرة الانسانية . وحكمت بطردها من

حظيرة الأمم وعدم الاشتراك معهـــا فى عمل أو موافقتها على أمر . ولـكن الظروف السياسية العالمية — أيها السادة — أجبرت الدول فيما بعد على التعاون مع المانيا ونسيان ما اتهمتها به .

وقد بلغنا كثيرا مما نشاء لبلادنا من الخير . وهو ماثل لنا فى هـذه الخطوة التى خطوناها بعقد المعاهدة . فأصبح ابرامها بالنسبة الينا بمثابة عيد تسر به قلوبنا وتنشرح لذكراه صدورنا . يجب علينا أن نتصافح فيه وننسى ما كان من بعضنـا ضد بعض فى الخلافات الأولى .

قلت هذا أيضا للاستاذ توفيق دياب فى فندق « دروشستر » بانجلترا وسألته أن يعمل به وينصح بأتباعه ، ولعل ذلك من « الوحى » الذى هبط عليه فيما بعد « ضحك وتصفيق » قلت له عليك أن تخدم بلادك على هذا الأساس ان كنت تريد خدمتها لوجه الله والوطن .

وأفضيت فيما بعد الى جريدة الأهرام بحديث رددت فيه هذه النغمة لأننى كنت أعتقد أن ترديد الصحف له أوقع فى النفوس وأجدر بأن يحله قلوبا واعية وآذاناً صاغية . ولعل فى ترديده ما يلفت أنظار المسئولين من سياسة البلد اليه

* * *

كان النحاس باشا يقول انه لا يستقيل ولا يقبل أن يقال ، فاما انه لا يستقيل فهذا مفهوم ، ولـكن كيف لا يقبل أن يقال ، والاقالة من حق مليك البلاد بحكم الدستور ؟ ! كانوا يقولون هـذا لاعتمادهم على تدخل الانجليز ، ودعواهم ان الانجليز يؤثرونهم . فى حين أن الانجليز لم يعدوهم بشىء تحرمه عليهم نصوص المعاهدة وما اتفقنا معهم عليه ! ويتنافى مع أبسط حقوق السيادة التى نطلبها للبلاد .

تغيروا أيها السادة ونسوا ماضيهم فتغيرنا لهم وتغيرتم معنا . فلا نحن نرضى ولا أنتم ترضون أن يبقى النحاس باشا أو سواه فى الحـكم بارادة الانجليز ، دون إرادتـكم ودون ارادة مليك البلاد .

حدث مع هـذا أيهـــا الأخوان أن أقيلت وزارتهم . فـــاذا يقولون

يقولون لأنصارهم ليبقوا الى جانبهم . يقولون أن مجلس النواب — على أى حال - باق وما دام مجلس النواب باقيا . والأكثرية معنا، فاننا سنجتمع وسنسقط الوزارة ونعود الى الحكم

الواقع — أيها الأخوان — ان كل هم النحاس باشا ، كان التمسك بأهداب الحكم ، والتشبث بكراسى الوزارة ، كان النحاس باشا يريد أن يكون وكرسى الوزارة قطعة واحدة لا يفترقان وكلا لا يتجزأ ، كان يفهم ألا تقوم فى البلاد الدستوريه النيابية حكومة الا اذا كان رئيسها النحاس باشا ومعه مكرم باشا ومن يرضان عنهم لأن الأمة هى النحاس باشا ، والنحاس باشا هو الأمة وهو المقدس وهو كل شىء .

(اجـــــــتماع ..)

اجتمعت الهيئة الوفدية بعد ذلك وتحدثت فى هذا الاجتماع زهاء ثلاث ساعات فعددت أخطاء الوزارة ، وأعلنت رأى فى طريقة حكمهم ولفت أنظارهم الى الواجب عليهم فى هذه الظروف . لبثت أتحدث طول هذه المدة والنواب والشيوخ مصغون منصتون . أتبين فى وجوههم مشاركتى الرأى وموافقتهم على ما أقول وعندما اطلب أخذ الرأى لم يتفق معى علانية الا ثلاثة . والحمد لله على أن وجد ثلاثة رجال فى مثل هذا المكان يجهرون بكلمة الحق بعد هذا أطلبوا أن يقسم رجال الهيئة يمينا فلم اعترض عليها ، لأننى أعلم أنها يمين باطلة دستوريا وعقليا فاذا كان لا يجوز للناخب أن يطلب الى النائب قبول توكيل خاص بأمر معين كأن يشترط عليه أن يعطيه صوته على أن يفعل أمرا بعينه فكيف يجوز لمن ليس ناخبا كالعهد حين ذاك بالنحاس باشا ومكرم باشا أن يقسم لهما النواب يمينا غير محددة بزمن ولا بعمل بذاته ولا شرط معروف

. . .

حرية النائب

لقد أراد الدستور للنائب أن يكون حراً فى تصرفاته والاتجاه الذى يرضاه له ضميره ويهديه اليه تفكيره لخدمة وطنه فكيف يسوغ للنحاس باشا أن يجبر النواب على يمين معناها أنهم لا يؤيدون وزارة الا التى يرأسها النحاس باشا؟ ولو فرضنا أنه مرض - لا سمح الله - لوعاقه عائق آخر عن تأليف الوزارة ماذا يكون موقف النواب الذين أقسموا .

وأدهى من ذلك أيها السادة أنه سبقت هذه اليمين أقسام أخرى فى ظروف ومناسبات لا داعى لذكرها . لم أعترض اذن على اليمين لأنى رأيتها مسألة سخيفة لا تستحق الاعتراض ، باطلة لا تستأهل الحديث بشأنها .. ولما رأوا المائتين والعشرين الذين كانوا مجتمعين قد انصرف أكثرهم ولم يبق الا نحو الثمانين ارتضوا أن يقسم النواب جماعة دون المناداة بالاسماء

مسألة أخرى - أيها السادة - هى أن واجبى حين كنت رئيسا لمجلس النواب . كان يقتضينى المحافظة على كرامة الهيئة التى شرفتنى برياستها وأن ترك لكل من أفرادها حرية الكلام فى المجلس ولما كانت اخر جلسة للمجلس وهى التى تلى فيها مرسوم التأجيل قالوا اننى منعت النحاس باشا عن الكلام واننى استعديت البوليس على النواب وأطفأت النور وهم قيام بالمجلس الى آخر مازعموه تجريحا لى . والحقيقة - أيها الاخوان - هى أن مرسوم التأجيل صدر فى اليوم الثانى من الشهر وكان موعد الاجتماع اليوم الثالث منه فقابلنى النحاس باشا قبل الجلسة وسألنى عما سأفعله فى الجلسة فحدثته بما أنوى وعرفته أنه لا مجال لشىء آخر غير تلاوة الرسائل فقال ولكننى أريد الكلام ، قلت هذا لا يمكن ، فقال ولماذا نجتمع اذن ان لم نتكلم ؟ قلت لأن السوابق الدستورية جرت بالاجماع وبألا يقال شىء غير تلاوة مرسوم التأجيل ، وذكرت حادث تحطيم السلاسل ، حين أمر المرحوم ويصا واصف بوليس المجلس بتحطيمها واجتمع المجلس

وطلب الصوفانى بك الكلام فمنعه المرحوم ويصا باك وتلى المرسوم فقط وكان الظرف يحتمل الكلام ولكنه أصر على احترام الدستور وحفظ كرامة المجلس لأن عمل المجلس فى غير وقت العمل عبث ، فاذا احتفظ النواب بالكلام الى أن يحين وقته كان ذلك ادعى الى حفظ كرامة النيابة وأمعن فى اظهار أثر عملها واحترامه .

قلت للنحاس باشا كل هذا ولكنه أصر على الكلام فسألته عما ينوى الحديث فيه فقال انى سأتحدث عن النقطة الدستورية فقلت له انه يستطيع أن يقدم استجوابا يدرج فى أعمال المجلس حين يجتمع وتكون الوزارة ممثلة لتجيب عن نفسها لأنه لا يصح سماع أحد الطرفين واغفال الآخر والحكومة غير ممثلة فى هذه الجلسة . فقال ولماذا لم تحضر الحكومة ؟ قلت لأن اليوم ليس يوم عمل بالمجلس ، مع هذا كله أصر على الكلام فأخبرته انى سأمنعه ان حاول الكلام وسألته أن يوفر على هذه المشقه وذكرت له انى ان كنت منعته فى جلسات سابقة فقد كان ذلك وهو رئيس للوزارة وعمل حينذاك يعتبر داخلا فى واجبات رئيس المجلس . أما الآن والظروف كما يعلم وهناك اختلاف فى الرأى بيننا فانى لا أحب أن يضطرنى الى منعه من الكلام وأن استعمل حقى فى منعه .

وفى الجلسة هم بالكلام فسألته أن يتريث حتى يقرأ الرسائل ورأى مكرم باشا أن بين الرسائل مرسوما بتأجيل الاجتماع . فظن انه يجوز للنحاس باشا الكلام قبل تلاوة المرسوم ولا يجوز له لا قبل تلاوة المرسوم ولا بعدها وعاد النحاس باشا بناء على اشارة مكرم باشا محاولا الكلام .

فلم أجد بدا من اخراج الزوار ليبقى ما يدور بيننا داخل جدران المجلس . ومضى النحاس باشا يتكلم فأمرت الكتبة أن يخرجوا فخرجوا . فأمر النحاس باشا بعض النواب ان يتولوا تدوين محضر الجلسة — ولم تكن هناك جلسة — والاستمرار فى هذا العمل مخالفة للدستور واعتراض على أمر ملكى كريم . فأمرت باطفاء النور ، ولكنهم استمروا على ضوء الثقاب وغيره . فاستدعيت بوليس البرلمان — وكنت تقدمت الى ضابطهم ألا يدخلوا القاعة ان دعوتهم

ـ وقصدت من ذلك افهام النواب عندما دعوت البوليس ولكنهم انصرفوا الى النادى السعدى ليتموا كتابة محضر الجلسة

وقد تفضل النحاس باشا على بأوصاف ونعوت فى ذلك الحين لا أذكرها . وحسبى أنه تمادى فى ذلك حتى وجه الى مقام سام ما لا يستحب أن يوجه اليه وكان من فضل هذا المقام السامى أن اعتبر ان هذه العبارات لم تصل الى سمعه لأنه وجد انها لا تستحق ان تكون محل تقدير أو محل نظر (هتاف بحياة جلالة الملك ،

هكذا كانت تصرفاته كلها . والآن هم يبحثون عن اثبات ولائهم واخلاصهم لجلالة الملك . وكانت فى أيديهم الفرصة لاثبات هذا الاخلاص فأضاعوها وحتى بعد اقالة وزارتهم لم يذهبوا ليسجلوا أسماءهم فى القصر على ما جرى به العرف .

استعداء

واليوم تجىء صحيفتهم التى تنطق بلسانهم ويشرفون عليها فيدعو كاتبها الانجليز الى التدخل فى شؤوننا الخاصه فلا ينكر عليه منكر منهم هذه الدعوة الجامحة ثم يعود اليوم فيقول انه يعجب من عدم تدخل الانجليز .

أيها السادة :

لقد أعجبنى من قول أحد خطبائكم انكم تؤيدوننا ما دمنا نعمل على نصرة الحق والحرية والمساواة واننا اذا انصرفنا عن هذه المبادىء انصرفتم عنا . فأنتم معنا ما دمنا نعمل بما نقول لكم الآن فان تحولنا فتحولوا عنا والسلام عليكم ورحمة الله .

الجهاد الوطنى ..

(من خطاب لحضرة صاحب المعالى الدكتور
أحمد ماهر رئيس الهيئة السعدية فى الاحتفال
بعيد الجهاد الوطنى فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩٣٨)

حضرات السادة :

باسم الهيئة السعدية أهنئكم وأهنىء الأمة جميعا بعيد الجهاد . وأسأل الله أن يعيده على البلاد وهى مصونة الحريات موفورة الخيرات ترفل فى أثواب المجد والعظمة والوفاء .

فى مثل هذا اليوم لعشرين عاما خلت وعلى أثر الحرب العظمى ظهرت فكرة الجهاد للحريه والاستقلال لتنال البلاد حقها فى حكم نفسها والتصرف فى مقاليدها وشئونها . وكانت باكورة هذا المسعى الجليل أن زار دار الحماية ثلاثة من أعلام الأمة هم الزعيم الخالد الذكر سعد زغلول باشا وصاحباه الكريمان عبد العزيز فهمى باشا والمرحوم على شعراوى باشا وطلبوا من العميد البريطانى باسم الأمة تحقيق أمانى البلاد وناقشوه فى حقها . وبلغوه ما صممت عليه للفوز باستقلالها .

والذين عاشوا فى تلك الأيام ورأوا ما كان لبريطانيا العظمى بعد الحرب من مكان وغلبة وسلطان وما اجتمع لها فى مصر من جيوش وعتاد وسمعوا بما دار بين هؤلاء السادة الكرام وبين العميد يدركون ما كانت تتطلبه تلك الزيارة من شجاعة وهمة ومضاء . وما كانت تجيش به صدورهم من حب لوطنهم واقتناع بحقيقة مطالبه . واستعداد للتضحية والبذل فى سبيلها .

فالى الزعيم الخالد رمز الجهاد ونبى الوطنية ورافع لوائها والى صاحبيه

الكريمين شكر الأمة وعرفانها . ولذكرهم وذكراهم فى نفوس أبنائها أسمى مقام وأبلغ احترام . رحم الله الراحلين وجزاهما على فضلهما أحسن الجزاء . وأسبغ الله على الثالث من نعمه ومتعه بالصحة والهناءة .

ولما أبى العميد وأبت حكومته أن تستمع الى نداء الزعماء . وتوعدهم بسوء المصير . غضبت الأمة غضبتها المشهورة . وتحول الجهاد من التضحية والمسالمة الى ثورة اقتضت الكثير من البذل والتضحية . فقتل من قتل . وسجن من سجن . وتواردت على البلاد صروف وأحداث بذلت فيها من الأرواح والأنفس والأموال خلال عشرين عاما ماخلد للامة ولأبنائها الذكر الجميل . حتى كتب الله لقضيتها الفوز والنجاح . فاعترف باستقلالها فى معاهدة التحالف التى عقدت فى ٢٦ أغسطس سنة ١٩٣٦ بينها وبين بريطانيا العظمى .

ونحن إذ نجنى اليوم ثمار ذلك الجهاد الطويل . الكبير الثمن . الكثير التكاليف . لا يمكن أن ننسى أبدا أولئك الأبطال العظام . الذين ماتوا من أجلنا . وضحوا فى سبيلنا . وأولئكم المجاهدين الكرام الذين عذبوا وبذلوا من أموالهم وأنفسهم حسبة لوجه الله والوطن . وقربانا على مذبح أمانينا المقدسة فاليهم جميعا خالد شكرنا وعرفاننا . ولذكراهم فى نفوسنا أقدس أثر وأعلى مكان . ولقد ضرب لنا هؤلاء الصديقون المثل كيف تكون الكرامة . وكيف تكون الحياة . وكيف تكون الرجولة وغضبتها اذا رامت حقا فحال حائل بينها وبينه ظلما واعتداء . فلننتفع بهذا الذكر الجميل والدرس الجليل . ونسأل الله أن يشمل هؤلاء الشهداء بسابغ رحمته ورضوانه .

أيها السادة :

تعودنا أن نقف فى ١٣ نوفمبر من كل عام فنلقى نظرة الى الوراء لنرى ماذا عملنا . ونظرة الى الأمام لنرى ماذا أعددنا . ولست أعرف عهدا أولى بهذا التدبير وذلك التدبر من عهدنا الذى نعيش فيه . ففى خلال عامنا المنصرم حصلت وكان طبيعيا أن تحصل شؤون غيرت من وجه الأمور فى البلاد . وعدلت من أوضاعها السياسية تعديلا اقتضته الظروف والملابسات .

وما من أحد أولى من الهيئة السعدية التى اضطلعت بأكبر مسئولية فى هذا التعديل ببيان مقتضيات الأحوال التى أحاطت بحوادث العام الماضى . وبأداء الحساب للامة عن عملها خلال السنة الأولى من رسالتها

نعم أيها السادة . هذه أول مرة تقف الهيئة السعدية فى ١٣ نوفمبر تنشر كتابها على الناس وهى أكثر ما تكون فخرا بماضيها القصير . وأملا فى أيامها المقبلة ، وستسمعون منى الآن لماذا تألفت هيئتنا . وكيف تألفت . وما الذى عملته فى سبيل البلاد . وما تنوى عمله . ولكم بعد ذلك أن تحكموا لنا أو علينا ونحن الى حكمكم وحكم الأمة مطمئنون.

الجبهة الوطنية وثمار الاتحاد

على أثر استقالة وزارة حضرة صاحب الدولة عبد الفتاح يحيى باشا اضطلع بأعباء الحكم المغفور له محمد توفيق نسيم باشا . ولم يمض وقت طويل حتى تحركت فى البلاد روح المطالبة بحقوقها المهضومة . وشملت تلك الحركة جميع طبقات الأمة بلا استثناء . وكان من أثرها أن تألفت الجبهة الوطنية . وتوحدت كلمة البلاد على المطالبة باعادة الدستور وتحقيق الاستقلال . ولم يكن ذلك الاتحاد وليد الافتعال الذى قد تحكم به الظروف السياسية فى بعض الأحيان . وانما كان أمنية جاشت بها صدور الناس جميعا . لطول ما قاسوا من آثار الفرقة والانقسام . وليقينهم بأن فى الاتحاد قوة . وانه مامن سبيل للوصول الى تحقيق الأمانى إلا باجتماع الكلمة وطرح النزاع والشقاق . وقد صحت نظرية الأمة . فلم يمض وقت طويل على تأليف الجبهة الوطنية . حتى بدأت البلاد تجنى ثمار ذلك الاتحاد . فأعيد العمل بالدستور المطلوب . وصدر بذلك المرسوم الملكى وتقبلت الحكومة البريطانية تقبلا حسنا الدعوة التى وجهت اليها بتحقيق آمال البلاد فى الاعتراف بالاستقلال . وفى عهد وزارة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا بدأت المفاوضات المصرية الانجليزية على يد الجبهة الوطنية . وتولت حكومة ذلك العهد معاونة الجبهة وتيسير السبيل لها . كما أجرت انتخابات حرة . لم يسع

حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحـــاس باشـــا إلا الثناء عـــلى اجراءاتها فى أول خطاب للعرش ألقاه بعد ذلك فى البرلمان . وفى أواخر عهد تلك الوزارة توفى المغفور له الملك فؤاد مبكيا عليـــه من الأمة العارفة بفضله الذاكرة لمآثره . وتولى الملك حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول الذى باشر سلطته الدستورية باسمه مجلس الوصاية الموقر . وقد تم اختيار حضرات أعضائه بالطرق الدستورية . وبناء على اتفاق سائر الأحزاب .

* * *

وعلى أثر ظهور نتيجة الانتخابات وفوز الوفد بالأغلبية فيها ، تولى حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا رئاسة الوزارة ، وافتتح البرلمان وعاد دولاب الحياة الدستورية فى البلاد الى حالته الطبيعية . هـــذا فى الوقت الذى كانت تسير فيه المفاوضات برئاسة مقامه الرفيع فى طريق ممهدة موفقة . حتى تكللت مساعى البلاد بالنجاح ، فتم التوقيع على معاهدة التحالف والصداقة بين مصر وبريطانيا العظمى فى لندن فى ٢٦ أغسطس سنة ١٩٣٦

وفى الحق لقد صادفت حكومة حضرة صاحب المقام الرفيع النحاس باشا فى صدر حكمها ظروفا وأتيحت لها فرص قلما تصادف حكومة من الحكومات أو تؤاتى عهدا من العهود ، فقد كللت مساعيها السياسية بالنجاح بعقد المعاهدة . وارتفعت بذلك يد الحكومة البريطانية عن التدخل فى شؤون البلاد . وتفاهمت سائر الأحزاب على تيسير الأمور على الحكومة لتقوم بأعباء الحكم من غير مشقة أو عناء ، وعاونها أصدقاؤها على الاضطلاع بالمسئوليـــة معاونة صادقة مستمرة ، وأخيرا أظلها مجلس الوصاية الموقر بعطفه السامى وتأييده الكريم ، فلم تكن ثمة صعوبة تواجه تلك الحكومة اذا صحت عزيمتها على القيام بأعباء الحكم على الصورة التى تتطلبها الظروف من الحكمة والسداد

* * *

أيها السادة :

استقبلت مصر على أثر توقيع المعاهدة بينهـــا وبين بريطانيا العظمى عهدا

جديدا ، وطوت صحيفة عهد قديم وكان على القائمين بالحكم أن يقدروا مايتطلبه العهد الجديد من تحول فى السياسة والآراء . فاذا كان الكفاح السياسى ضد الغاصبين يتطلب مزيد الحذر والاحتياط ، ويسمح لثورات النفوس أن تفعل فعلها فى علاقات الأحزاب والأشخاص ، فليس مما تسمح به الظروف الجديدة أن تستمر الشحناء ، بل ان من مقتضياتها أن تعبأ قوى الأمة جميعا من غير استثناء للتعاون على الاضطلاع بأعباء مسئوليات الحكم التى انفردنا بتحملها وحدنا ، وكانت الجبهة الوطنية تمهيدا حسنا لاتحاد متين مكين يؤتى ثماره فى ميادين الحكم والاصلاح والتقدم الذى تفتقر اليه البلاد .

وفى الحق انه على أثر توقيع المعاهدة قد ساورتنى مخاوف وشكوك . وخشيت أن يبهرنا الفوز الذى أحرزناه ، أو أن يحملنا الغرور به على ارتكاب أخطاء لا يكون من شأنها تعريض آثار الاستقلال للخطر فحسب ، بل قد تعصف بالاستقلال نفسه ، وتضيع علينا جهود السنين الطويلة التى قضيناها فى الكفاح ؛ وقد رأيت من المصلحة أن لا أكتم هذا الشعور فى نفسى ؛ فصرحت به لإخوانى محذرا من نتائج الخطأ فى مثل هذا العهد الجديد ، منبها الى ضرورة الأخذ بأسباب الحكمة والاحتياط والاعتصام بالاتحاد والتساند ، لتعهد المسئوليات الجسيمة الملقاة على عاتقنا فى صدر عهد الاستقلال .

ولما خشيت أن لا يكون لكلامى ما أرجو له من الأثر ، ولا حفلت تبرما به . رغبت فى أن أعلن رأيى على الملأ زيادة فى التنبيه اليه والتحذير من عواقب مخالفته .

وقد صرحت لجريدة الاهرام فى ١١ سبتمبر سنة ١٩٣٦ تصريحا قلت فيه:

« ان مصير بلادنا اليوم فى أيدينا ، وحقاً ان المسئولية الملقاة على عاتقنا لعظيمة جدا . وانى لأشعر بالقلق أمام العبء الثقيل الذى ينبغى لنا أن نقوم به ونكفى وثيق الأمل بأننا سنقوم بمهمتنا على أحسن وجه . يجب أن يفهم الجميع أنه لا يزال أمامنا شىء كثير يجب عمله وان الباقى هو الاهم . نعم ان ماقمنا به الى الآن كان أمراً صعباً ولكن الباقى هو الامر الجوهرى .

« فيجب أن نحمل الذين أمضينا معهم المعاهدة على الثقة بنا . كما أن ثقتى عظيمة وأملى كبير فى حكمه جميع أصدقائنا . فانهم سيقيمون الدليل على مقدرتنا لتحقيق هذه المهمة على الوجه الاكمل .

« لقد قام كل منا الى الآن بنصيبه من العمل للوصول الى عقد المعاهدة وليس من العدل أن نحمل على هذا أو ذاك من أعضاء الوفد الرسمى . فانهم جميعا قد عملوا على الحصول لوطنهم على أحسن الشروط الممكنة .

« اننا نكتب اليوم فصلا جديدا فى تاريخ بلادنا . ويجب أن تتضافر جميع قوى البلاد للاشتراك فيه . ففى ميدان العمل متسع للجميع . وبلادنا محتاجة الى جميع الجهود لان المهمة التى نقوم بها عظيمة جدا . فيجب على كل فرد أن يبذل مجهوده لخير الوطن .

« واذا كنا فى أثناء المفاوضات قد توصلنا لتذليل كل عقبة وازالة كل سوء تفاهم . فانى أرجو أن نحتفظ بهذا الاتحاد . فتبقى جبهتنا الوطنية سليمة للعمل معاً على اختصار المدة الطويلة التى حددتها المعاهدة . وأنا واثق من أن هذه الافكار تجول فى خاطر جميع الاحزاب الاخرى . فالجميع يريدون أن يعملوا معا

« لقد وقع بين المصريين اختلافات كثيرة . واختلافات كبيرة جداً ، ولكننا قد وصلنا الآن الى مرحلة يجب علينا فيها أن نعمل متضافرين لنحقق المستقبل الباهر لمصر الذى فتح الآن أمامها » .

ولم أكتف بالتصريح الذى نشرته على الصحف . بل اجتمعت بالنحاس باشا وبأصدقائى من أعضاء الوفد والوزارة وأفضيت لهم بما يجيش فى صدرى من المخاوف . وقلت لهم :

« اننا مقدمون على عهد مملوء بالتبعات والمسئوليات يجب أن تتعاون فيه كل القوى وأن يحمل كل فرد من أفراد الشعب نصيبه فيه من هذه التبعات . ورجوتهم أن ينسوا الماضى وأخطاءه وأن يصفح كل منا عن صاحبه . مهما كان قد أخطأ أو ارتكب . وأن ننظر جميعا الى مستقبل بلادنا العزيزة باسمين مؤملين خيرا . معتمدين على الوحدة التى يجب أن نعود اليها . والتضامن الذى

يجب أن يسترجعه

« قلت لهم . افرضوا أسوأ الفروض بالنسبة لمن كانوا مخالفينا فى الرأى . افرضوا أنهم كانوا يتعمدون الاساءة فى عملهم . وأنهم كانوا يدركون خطورة مايترتب على هذا العمل . وحتى لو فرضنا هذا لكان خليقا بنا ونحن فى هذا الظرف الجديد أن نغفر لهم . وأن نعتبره مناسبة سعيدة نفتح فيه صدورنا لأخواننا فى الوطن . وأن نتعاون معهم على صعاب الأيام المقبلة حتى تصل بلادنا إلى ذروة المجد التى نرجوه لها .

وكررت ذلك قائلا : اعتبروا هذه المناسبة عيدا يحمل فيه الصفح والغفران وتتصافى القلوب وتتآخى الجهود . ونحن أشد مانكون احتياجا الى اجتماع القوى واتحاد الصفوف .

قلت لأخوانى : « اننا لم نصل الى إصلاح شؤوننا والنهوض بمرافقنا إلى المستوى اللائق بنا وبكرامتنا وان لم نحشد لذلك جميع القوى لنفوز بأسعد النتائج فيها فاننا نعرض الاستقلال والدستور كليهما للخطر » .

قلت لهم : « اذا لم يشعر الناس فى ظلال الدستور بالحرية والعدالة والمساواة وان اختلفت آراؤهم ومشاربهم فعلام الجهاد فى سبيله . ولخير من رسمت أحكامه وتتابعت نصوصه . اذا لم يشعر الجميع بالمساواة التامة فى الحقوق فكيف نطالب الشعب بأن يهب للذود عن الدستور » .

قلت لأخوانى : « انى أخشى أن بقينا على التنابذ والتقاطع وحرمنا اخواننا من حقوقهم وضماناتهم أن تعصف الأيام بما بيننا »

ولم ينقطع تنبيهى وتحذيرى لهم طيلة أيام حكمهم . مع ما كانوا يشهدونه منى من صنوف التأييد والتشجيع والمعاونة

نواب حكومتهم ورأيهم فى فساد الحكم

ولم يكن رأى نواب الحكومة فى حكمها أسعد حالا من رأى الناس جميعا

فقد زارنى جمهورهم وأفضوا الى بجزعهم من سوء الحكم وفساد أساليبه . واستنهضنى بعضهم لاصلاح الحال ووعدونى بالعون والتأييد . فأفضيت اليهم برأيى كما أفضيت الى رئيس الحكومة وأعضائها به جليا صريحا . معددا أوجه الفساد التى وصلت اليها الأمور

وأؤكد لكم — ياحضرات السادة — أن جميع حضرات النواب ومن بينهم من هم أشد الناس صلة بالنحاس باشا كانوا متفقين معى فى النظر الى ماوصلت اليه الحالة من التصدع والانهيار . ورأينا معا أن النتيجة الاولى التى انتهت اليها الامور هى انهدام حقيقة الحياة الدستورية فى مصر وان كانت ظاهرها قائمة مشيدة . نعم انتهت الامور الى أن سائر الحريات عطلت ، فلاحرية للصحافة ولا حرية للاجتماع ، ولا حرية للانتقال ، ولا حرية الخطابة ، ولا حرية للكلام حتى أمن الناس وطمأنينتهم فى دورهم تعرضت للاخطار وأضحت الحياة النيابية ووظيفة النيابة مشوبة بنوع من التورط والمجاملة ان لم أقل من الارهاب والتهديد بما أفسد الواجب الاول على الحكم البرلمانى وهو الاشراف الفعلى على سيرة الحكومة فى الحكم ، ولم يتحرج رئيس الحكومة عن اظهار هذا المعنى وعن كشف البرلمان فى أحد أحاديثه ، وذلك أنه عندما راجعه بعض حضرات النواب فيما يجرى فى شؤون الدولة من أخطاء ومظالم لم يجد مقامه الرفيع رداً عليها إلا أن يقول : « كيف يجرؤ هؤلاء النواب على انتقادى وأنا الذى عملتهم نوابا ولولاى لما تربعوا على كرسى البرلمان ؟ » . هكذا كان الرد على من ظهرت شجاعتهم من حضرات النواب وهكذا كان النحاس باشا ينظر الى نواب الأمة . ولم يدر مقامه الرفيع أنه وان كان هو قد رشحهم للنيابة فقد سبق أن رشحوه هم لرياسة الوفد ورياسة الحكومة . لم يدر مقامه الرفيع أنه لولا هؤلاء النواب لما تيسر له أن يرفع صوته بانه صاحب الأغلبية وصاحب الحق فى الحكم والسلطان .

وقد تلفت الناس فى ذلك الوقت يمنة ويسرة فتولاهم الجزع اذ أنه قد فرضت عليهم تكاليف الدستور من غير أن ينعموا بخيراته . فبدأوا يتشككون فى

قضية الدستور بل وفى صدق الصيحة التى علت من الزعماء فى استنهاض العزائم للحصـــول عليه ثم الدفاع عنه . رأوا الحريات صرعى أمام عيونهم والحقوق لايكفلها الا الملق والزلفى . ولم يحسوا بنعم جديدة أغدقها عليهم العهـــد الدستورى ميزته على سائر العهود . بل على العكس رأوا ذلك العهد قد أفسد كل شىء وحارب كل كفاءة وعطل كل كرامة وراح يزهو فى حلة مهلهلة من الزهو الكاذب لم تلبث أن تكشف عن أتعس الآثار

لذلك وقبل أن أنتخب رئيسا لمجلس النواب فى المرة الأخيرة كاشـــفت رئيس الحكومة بآرائى فى الحكم التى ذكرتها لحضراتكم لكى يكونوا على علم به عند ترشيحى لرئاسة المجلس ولما عاقنى المرض عن نقل آرائى هذه الى حضرة صاحب المقام الرفيع النحاس باشا طلبت من سعادة مكرم عبيد باشا وطاهر اللوزى بك أن يبلغاه بها ففعلا وقد أشرت الى ذلك بعد انتخابى فى خطبتى فى المجلس فقلت :

« ولئن حق على أن أعدل بهذه الثقة الغالية شيئا فذلك أننى ألمح من وراء تفضل المجلس على بها منذ قيام الهيئة النيابية الحاضرة أنه على اختلاف ألوان الرأى فيه ، يقبلنى على علاتى ، وعلى الرغم مما يكون معروفا عن آرائى واتجاهاتى »

الازمة بين السراى والوزارة

تلك كانت الحال عندما وقعت الازمة بين السراى والوزارة ، تلك الازمة التى بقيت زهاء أسبوعين لايجدون لها حلا ولايعرفون منها مخرجا

وقد كان فى الامكان الوصول الى تفاهم معقول مقبول ، متفق مع الاوضاع الدستورية السليمة على سائر نقط الخلاف لو استعملت الحكمة فى معالجة الأحوال ، وكان يساعد على حلها أكثر لو صلحت أحوال الحكم واطمأنت البلاد الى الوسائل التى كانت تحكم بها ، ولم تكن البلاد فى مثل تلك الظروف

لتطمئن الى ايمان الحكومة واستمساكها باحكام الدستور وقد تلطخت يداها بدماء الحريات جميعا فكانت الوزارة ترسل الصيحة فى أثر الصيحة تناشد الناس الدفاع عن الدستور فى الوقت الذى كانت تدوس باقدامها أحكامه وتسخرها لمنافعها ومنافع ذويها .

ولما تحرجت الاحوال وانقطع الأمل فى إمكان إيجاد حل يوفق بين الآراء فى الأزمة الناشبة . اجتمعت الهيئة الوفدية فى النادى السعدى فى يوم ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٣٧ وحضرت الاجتماع الذى أرجح أنه كان للاحراج أكثر مما كان للتشاور والرأى وفيه سألنى بعض حضرات الاعضاء عن رأيى فيما لو عرضت على الوزارة بعد سقوط وزارة النحاس باشا فقلت لهم :

« ان هذا السؤال افتراضى محض وكنت أرى أنه من الخير أن لا نضيع وقتا فى الكلام عن النظريات وأن نحصر كل جهودنا فى حل الازمة القائمة والاجتهاد فى تقريب وجهات النظر وتضييق شقة الخلاف . ولكن مادمتم تلزمونى بالكلام فانى لا احجم عن ذلك

« انى أتصور موقف جلالة الملك حين تخلى الوزارة القائمة مكانها . ذلك أن جلالته انه ملك دستورى يحب للدستور بطبعه ، دعا على أثر تبوئه العرش رئيس الأكثرية البرلمانية لاستشيره فيمن يلى الحكم فلما عرف رغبته فى أن يقوم بذلك بنفسه عهد اليه بأليف الوزارة وأعانه على العمل

ولكن لم تمض أشهر قليلة حتى شعر رئيس الحكومة أنه غير مستطيع ذلك فلما لم يستقل بنفسه استعمل جلالته حقه الدستورى فى اقالته . ثم أراد استمرار تمكين الاكثرية من الحكم تحقيقا لروح الدستور

وقلت لهم : « هذا ما أتصور أن يكون عليه موقف الملك الدستورى . أما ماسيكون عليه موقف الاكثرية . فانها ان رفضت الحكم هيأت لجلالة الملك القول بأنها تسلك سبيلا غير دستورية . اذ أنها تنشىء حالة شاذة بعمل معارضة فى ولاية الحكم وتسوغ لجلالته الاتجاه الى الاقلية وما يترتب على ولايتها الحكم من حل البرلمان والحكم من غير دستور .

« ستقولون لا بأس وسنجاهد فى سبيل الدستور . ونلجأ الى الامة فى هذا الجهاد ولكنى أخشى ألا تصادف دعوة الجهاد فى هذا السبيل من النجاح ما كانت تصادفه فى الماضى » وذلك لأسباب بينتها لهم تتصل بمساوىء الحكم بما لايخرج عما ذكرته لحضراتكم الآن .

كما قلت لهم اننا اذا استحضرنا أمام أعيننا جميع هذه النتائج ورأينا أن جلالة الملك — حفظه الله — يوفر علينا التعب ويهيىء لنا سبيل العمل . فانا نكون مخاطرين اذا لم نقبل هذا العرض الكريم .

وقد أبنت لهم مايترتب على رفض الاكثرية تأليف الوزارة من المجازفة والتضحيات ورجة البلاد من غير مقتضى لذلك

إقالة الوزارة النحاسيه ونداؤنا الى الامه

اقيلت وزارة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا فى ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٣٧ ، وتألفت على الأثر وزارة صاحب المقام الرفيع محمد محمود باشا فأصدرت وزميلاى النقراشى باشا والدكتور حامد محمود نداء للأمة المصرية فى يوم ٤ يناير سنة ١٩٣٨ سردنا فيه تاريخا موجزاً لتطور الحال فى عهد الوزارة النحاسية ، وما انتهى اليه الأمر ومايجب أن يكون عليه بعد ذلك ، ختمناه بقولنا :

« أيها المصريون ، ان مصر تدعو أبناءها جميعا أن يتكاتفوا ويتضافروا لدفع هذا الشر عنها ، والسير بها الى العلا قدما . وها نحن نقبل على ندائها ونردد دعوتها ونمد أيدينا الى كل مواطن يشاطرنا الرأى وعهدنا مبادىء الوفد وسنتنا سيرة سعد خالية من البدع مبرأة عن الهوى والعاقبة التقوى

تأليف الهيئة السعدية

لقد قصدنا بندائنا هذا أيها السادة الى انقاذ السفينة من الغرق وتدارك البلاد من عواقب السياسة المدمرة التى سلخت حكومة مكرم باشا فى السير عليها سنة ونصفا . فتقاطر على الأثر أصدقاؤنا الينا بالعون والتأييد . ومدوا لنا أيديهم لنتكاتف جميعا على خدمة البلاد . فتألفت الهيئة السعدية .

برنامج الهيئة السعدية

أيها السادة :

ان برنامج الهيئة السعدية هو العمل على تحقيق أسباب الاتحاد والتعاون والتضامن بين سائر المصريين . وتعبئة قوى الشعب جميعا وتنظيمها للقيام بأعباء الاستقلال ومقتضيات النهضة الحديثة . والاستفادة بكفاءة الأكفاء أيا كانوا للاضطلاع بمسئوليات الحكم والتوجيه . وتغيير الأساليب السياسية التى اقتضتها الظروف الماضية والتى أصبحت لا تتفق مع العهد الجديد . والتبشير بسياسة قومية فتية حديثة أساسها المصلحة العامة . ترتقى الى أفق واسع عظيم من المعانى السامية وتستند الى الفضائل التى أعز الله بها الانسان من حب للوطن ورجولة واعتزاز بالنفس وشجاعة وتضحية . واعداد جيل حديث مسلح بالصحة والعلم والخلق القويم . قادر على شق طريق أمام البلاد للعظمة والرخاء . وتعهد مرافق البلاد من كافة نواحيها بنهضة منظمة تؤهلنا للسير فى قافلة الدول التى تخطو الى الأمام فى هذا الزمن بخطى واسعة موفقة . واحترام الدستور فى روحه ومبناه . وكفالة الحريات . وتحقيق العدل والانصاف للجميع . وتقريب أواصر المودة بين مصر وسائر الدول . وأحكام أسباب الصداقة والتحالف بيننا وبين حليفتنا العظيمة بريطانيا العظمى . لنخدم معا قضية المدنية والسلام . ولنضمن لبلادنا القوة والمنعة ولنحافظ على شرائط الاستقلال . وتدعيم مالية البلاد تدعيما تاما متوازنا . وانهاض اقتصادياتها وتيسير سبل الأرزاق للناس . وأخيرا الوقوف

فى وجه كل هيئة أو شخص يعترض سبيل تحقيق هذا البرنامج » .

نتيجة الانتخابات تؤيد السياسة القومية

ولقد أسفرت الانتخابات النيابية عن تأييد لهذه الخطة والأخذ بالسياسة القومية . واستنكارها للسياسة الحزبية . ففازت السياسة الأولى بأغلبية ساحقة وكتب لسياسة التحزب الفشل المبين : ولا يغرنكم ما أشاع القوم حول الانتخابات فانهم مهما قالوا عنها فليس بخاف على الناس انهم عجزوا عن الترشيح فى ٣٧ دائرة من دوائر القطر لم يجدوا رجلا من رجالهم يستطيع أن ينزل الى الانتخابات فيها وكانوا قبل ذلك يتزاحم عليهم المترشحون فى كل مكان : وليس بخاف ما ظهر من كذبهم من حبس التذاكر عن الناخبين : وقد ثبت بالاحصاء ان من ذهب منهم الى الانتخابات الأخيرة زادوا عددا عمن ذهب فى انتخابات سنة ١٩٣٦ : اذ أن النسبة فى هذه الانتخابات كانت ٦٠ ٪ بينما كانت فى تلك ٦٣ ٪ وليس بخاف أخيرا أنهم كانوا يتوسلون الى الناس لترشيح أنفسهم فى بعض الدوائر ويعرضون عليهم المال اللازم لذلك : ومنهم من رشح نفسه صوريا فى بعض الدوائر ليدرأ عنها العار والفضيحة : حتى أنهم فى بعض الأحيان لجأوا الى خصومهم السابقين يرشحونهم : وكان جماع ما يأملون أن يخرجوا على الناس بعدد من المرشحين يخفون به بوادر الفشل والهزيمة التى كانت لهم فى الانتظار

هذه حقائق لا يمكنهم أن يماروا فيها وهى تدل بأجلى بيان على ما وصلت اليه مكانة القوم لدى الأمة بعد الذى اقترفوه من الآثام مدة حكمهم كما تدل على أن الانتخابات مهما قيل عنها قد عبرت تعبيرا صادقا عن رأى البلاد

سياسة الهيئة السعدية

ولقد سلكت الهيئة السعدية بعد الانتخابات السبيل التى تساعد على تحقيق

برنامجها سواء فى ذلك عندما كانت فى المعارضة أو لما أشتركت فى الاضطلاع بأعباء الحكم ومن الطبيعى أنى لا أملك التحدث باسم الحكومة عما قامت وما تنوى أن تقوم به من الأعمال اذ أن الأمر من اختصاص حضرة صاحب المقام الرفيع رئيس الحكومة وقد سمعتم خطابه قبل أن أقف للكلام فيكم ولكنى أستطيع أن أقول لكم أن مرامى سياستنا تلاقت مع المرامى التى يعمل لها أصدقاؤنا فى الحكم الأحرار الدستوريون والمستقلون . تلاقت أغراضنا — ياحضرات السادة — جميعا لأنها تقوم على أساس المصلحة العامة والقومية والترفع عن مزالق الهوى والشهوات

بعض أعمال الحكومه الحاضرة

بسطت الحكومة — يا حضرات السادة — فى البلاد روحا قومية حققت لجميع السكان الحرية والعدالة والمساواة وترفقت بخصومها ترفقا يندر أن تسمح به أساليب السياسة والحكم فى أى بلد من البلاد وأباحت للناس من كل حزب حق الاجتماع والتجوال : ولم تنتهك الحكومة حرية صحيفة بالمصادرة بالرغم مما تكيله صحف المعارضة من التهم والأكاذيب . وما تنشره مما يتضمن الحض على الاخلال بالنظام والقاء الذعر والخوف ظلما فى قلوب الناس

ولم تنس الحكومة الاهتمام بالواجب الأكبر من اعداد وسائل الدفاع عن البلاد . ونهضت بالجيش نهضة تذكر للقائمين بها بالشكر والعرفان . وأضافت الى ذلك إعداد الشباب إعداداً عسكريا بإعادة الفرق التى ألغاها الحكم الغابر فى معاهد التعليم لتعد الشبان اعدادا جسمانيا وخلقيا لخدمة الوطن . واتخذت الحكومة أهبتها للطوارىء التى قد تفاجىء البلاد .

وعملت الحكومة على اعداد نظام الضرائب وعرضه على البرلمان ليتحمل كل فرد فى البلاد نصيبه من التكاليف العامة . ولتزداد مالية البلاد قوة على

قوتها . واستعدادا لملاقاة تكاليف عهد الاستقلال

وسارت الحكومة مع الدولة البريطانية الحليفة سيرة أساسها الاحترام المتبادل والتعاون الصادق . حتى أنه عندما حزبت الأمور واختبر اخلاص البلاد فى احترام تعهداتها . لم يسع الحليف إلا الاعتراف بفضلها وحسن قيامها على تعهداتها فى خطاب رسمى كلكم عرفتموه .

ولم يفت صاحب المقـــام الرفيع رئيس الحكومة أن يخاطب الحكومة الانجليزية فى تخفيض نصيب مصر فى تكاليف الثكنات فوجد من الدولة الحليفة من صدق الارادة وحسن الاستعداد ما مكنه من الوصول الى اتفاق رفع عن البلاد كثيرا من الأعباء.

هذا — ياحضرات السادة — هو بعض الأمثلة لما تسمح لى به صفتى فى التحدث عنه من شـــؤون الحكومة . وهو قليل من كثير لايتسع ولا محل لسرده فى هذا المقام .

ولما وضعت الحكومة الضرائب على الواردات من المنسوجات القطنية حماية للصناعة المصرية حمل القوم عليها حملة منكرة مدعين أنها ستجلب الخراب على البلاد بتجهمها لمستوردى القطن من التجار الانجليز . وأرسلوا رسولهم حمدى سيف النصر باشا الى لنكشير يذرف الدموع عند أقدام الانجليز على أيام حكومتهم التى لوعادت لحققت للنكشير من تجارة مصر لذيذ الاحلام ولما اتفقنا مع هؤلاء التجار الانجليز على مافيه مصلحة الطرفين ومصلحة تجارة القطن ، شنوا غارة أخرى لأننا أرضينا هؤلاء التجار الانجليز ولم نقف فى وجوههم متجهمين

ولما كانت الأزمة الدولية الاخيرة . وصفوا الحكومة بالخيانة لانها فرطت فى التسليح . ولم تعد العدة لأيام الازمات . ولما هدأت الازمة واستأنفت الحكومة استكمال أسباب الدفاع . حملوا حملة أخرى لانها توشك أن تخرب البلاد فى سبيل الانفاق على وسائل الدفاع . وهم يعلمون أن جلاء الانجليز رهين بقيام جيش مصرى عظيم قادر على الدفاع وحده عن سلامة البلاد .

ولعلكم — ياحضرات السادة — تعجبون معى أين وجد هؤلاء الناس ذلك الضمير الذى راضوه على احتمال كل تلك الافتراءات والاكاذيب والذى رضى أن يستنكر الامر ويستنكر نقيضه . فأصبحوا به كأنهم صرعى لايفقهون مايقولون . وفى الحق أن الحكم عندما ذهب منهم أذهب معه مداركهم . فلا يكادون يصبحون أو يمسون إلا وهم يحلمون بأنعم الحكم وأيامه الماضيات . ويتلهفون شوقا الى يوم تدنو فيه قطوفه وتدين لهم فيه الايام

هذه الامثلة التى ضربتها لكم — أيها السادة — تشعركم بمبلغ مافى قلوب القوم من وطنية . ومابلغ من جرأتهم على الحق والواقع . وانهم عندما أعوزتهم الحجة فى ظلال الحقائق راحوا يلتمسونها فى ثنايا الاكاذيب . ولكن من الذى خسر ؟ هم ياحضرات السادة . ولم يعد فى البلاد فرد واحد يمكنه أن يضع أقوالهم وأفعالهم الآن موضع الصدق والاحترام

ولم يكتفوا بهذا . بل تجرأوا على الوقائع أيضا فصاروا يختلقونها فى غير خجل أو استحياء . فيوما يدعون أن ناظر احدى المدارس مات وهو يكافح البوليس المهاجم لاجلائه عن مدرسته فيتضح أن هذا الناظر كان بالمستشفى الى أن مات قبل قيام الوزارة الحاضرة . ومرة يدعون أن وزير الصحة البندارى باشا رقى أخاه الى الدرجة الثالثة فيتضح أن الذى رقاه هو الاستاذ عبد الفتاح الطويل فى وزارة النحاس باشا . ومرة يدعون أن وزارة المعارف تزمع استئجار منزل فى الدرب الاحمر لحضرة النائب المحترم عبد الخالق مدكور باشا لعمله مدرسة مجاملة لسعادته فيتضح أنه لا يوجد بدائرة الدرب الأحمر منزل لسعادة عبد الخالق مدكور باشا على الاطلاق . ومرة أخرى يدعون أن أحد الوزراء الحاليين عين قريبا له من الدكاترة مدرسا بمدرسة الطب على سبيل الاستثناء فيتضح أن القريب المذكور دكتور فى الاقتصاد ولم ينقل الى كلية الطب . ومرة يدعون أن موظفا يدعى شرف الدين رقى لانه قريب أحمد بك شرف الدين وعبد العزيز باشا فهمى فيتضح أن شرف الدين بك لايعرف هذا الموظف ولا يمت اليه بصلة

وعندما أصيب النحاس باشا فى حوادث الشغب الأخيرة ادعوا أن أحد كبار الضباط أثيب على عمله فيها فاتضح ان اجراءات ترقيته تمت كلها قبل الحوادث بزمن طويل . وأخيرا يدعون أنى أتقاضى ستمائة جنيه مكافأة على اشرافى على أعمال التمثيل وبسبب هذا دافعت عن اعتماد التمثيل فى الميزانية فيتضح أنى لا أتقاضى عن عملى فى لجنة التمثيل شيئا على الاطلاق . وتبلغ بالنحاس باشا الجرأة على اتهام الحكومة بتحريض بعض رجال البوليس على الاعتداء عليه والشروع فى قتله فيتضح أن اصابته يرجح أن تكون من الطوب ويخرج قرار النائب العمومى مكذبا لكل ما ادعاه .

وبالجملة فقد رأيت جرائد النحاس باشا أو على الأصح جرائد مكرم باشا التى يحررها بنفسه على نشر الأكاذيب بسوء نية للتشهير برجال الحكم والحض على الاضطراب . حتى لقد اضطرت ادارة المطبوعات الى اصدار ٧٩ تكذيبا عن الأخبار غير الصحيحة التى تبلغ حد الخطورة فى الجرائد الوفدية فى خلال الشهور العشرة الماضية . مع تجاوزها عن الوقائع الكاذبة التى لا تبلغ تلك الدرجة من الأهمية .

استنجاد

حضرات السادة :

لقد حدثتكم عن بعض نواحى السياسة التى جرى عليها القوم بعد اجلائهم عن الحكم . وسأحدثكم الآن عن الأساس الذى تقوم عليه تلك السياسة ، وسترون منه أنه أساس رخيص . لا تسمح به كرامة رجال يدعون لأنفسهم نصيبا من الصدق والوطنية . ولولا ما هم عليه الآن من ضآلة الأثر وقلة الخطر لقلت أن سياستهم تقوم على أساس خيانة وطنية كبرى :

اعتمد رجال العهد الغابر ويعتمدون على استعداد الانجليز والاستنجاد بهم على وطنهم . وعلى خدام وطنهم . كلما انتابهم ضعف أوجد فى الأمور ما يهددهم بالضياع .

آمالهم

لما عقدت المعاهدة ظن القوم أن قد خلى بينهم وبين الحكم الى أبد الابدين وأنه يكفى نظرة واحدة من أصدقائهم الانجليز حتى يمتد لهم الحكم والسلطان مهما ساءت بهم الأحوال . ومن هذا كان استنجاد الزعيم المقدس بهم أيام حكمهم عندما شجرت الأزمة الوزارية كما أسلفت لحضراتكم .

وكانوا قبل اقالة الوزارة يحاولون أن يدخلوا فى روع الناس كما يدخلون فى روع الانجليز أن ستقوم الدنيا لنجدتهم اذا أقيلت . وأن ستجرى الدماء فى الشوارع كالأنهار . فلما أقيلت الوزارة واستتب الأمن ولم يحدث من كل ما أوهموا شىء . بل طربت الأمة لزوالهم . راحوا يتمسحون فى الانجليز . وقد أيقنوا أن لا نجاة لهم الا على أيديهم . وطفقت صحفهم تلتمس منهم الغوث والمعونة ، حتى لقد بلغ من احداها أن تنشر فى هذا المعنى ما يأتى بحرفه :

« أيها الانجليز

« أريد أن أختم هذا المقال بعبارات محدودة واضحة بعد أن شرحت فأقول ان أردتم أن تعرفوا شعور المصريين فى هذه الأيام واذا أردتم أن تفهموا بدء هذا الاحساس الجديد بعد ذلك القديم . .. أو اذا أردتم أن تتداركوه قبل أن ينمو ويشتد وتعود به الحوادث والأيام التاليات الى ما كان عليه من قديم ففى امكانكم بالاشارة أو بالنصيحة أو بالاستنكار . ولو على صفحات جرائدكم

وقف هذه الحال التى لا يليق حدوثها فى بلد تحالفونها وتعتمدون على صداقتها أو على تأييدها وتعضيدها يوم يظلم الجو وتحتاجون الى المعونة والتعضيد »

وغنى عن البيان ان هذه الخطة التى ارتضاها النحاس باشا لسياسته فى العودة الى الحكم فيها تضييع كامل لكل معنى من معانى الاستقلال واقحام النفوذ الأجنبى فى أخص شؤوننا الداخلية وبالتالى انعدام المظهر الأول من مظاهر سيادة الدولة فى تدبير شؤونها : ولعل فى هذا المعنى وحده ما يفسد على النحاس

باشا ما يدعيه من غيرة على الدستور والحريات . اذ كيف يتيسر لبلد باع نفسه على طريقة النحاس باشا وأسلم مقاليد السلطان الى غيره أن يطمع فى التمتع بالحريات التى رسمها الدستور ، وكيف يمكن أن يكون ثمة دستور اذا كان الاستقلال قد كتب له الضياع .

بقوا على هذه السياسة زمنا . فلما لم يفدهم هذا الهوان . وعرفوا أن لا أمل من هذا الطريق خصوصا بعد أن ابدت الدوائر البريطانية ارتياحها لأستتباب الأحوال صدرت الأوامر بأن لا بأس من تغيير الطريقة وانه وان كانت قد أخفقت سياسة التوسل والرجاء فلعل فى سياسة التهديد والوعيد بلغة المقاصد وتحقيق الأحلام . فخرجت جرائدهم فى غير داع ولا مقتض تحمل الحكومة البريطانية مسئولية سقوط وزارتهم واصطنعوا ما أسموه مؤامرة مدبرة واتفاقا سابقا ، وقرنوا هذا بالوعد والوعيد على صفحات جرائدهم ، وبالايهام بأن البلاد تشك فى صدق المحالفة ، وان فى هذا خطرا على بريطانيا لا فى مصر وحدها بل فى الشرق جميعه حيث سياستها الان فى كفة الميزان : ولم يفتهم أن يتصلوا بكل زعيم شرقى عرف بعدائه للانجليز ونشروا عن قرب عقد مؤتمر يجمع شتات المتألبين من مصريين وهنود وعرب وفلسطينيين يرأسه الزعيم الأمين ودعا الزعيم الأمة الوالهة فى حبه الى الاكتتاب لنجدة فلسطين بالمال واتخذوا من قضيتها العادلة مطية الى أغراضهم فكان جواب الأمة كما تعرفون لطمة تحدث بذكرها الركبان أسأل الله أن يقى النحاس باشا شر أمثالها كما اسأله ان يقيه شر الاستشارة السوء إذ أفلس الاكتتاب ولم يعد يسمع أحد عن مصيره شىء فانظروا كيف هدد مقامه الرفيع الامبراطورية وأعد العدة لامتشاق حسام يقطع به أوصالها ويذل رجالها : وسوف لا يغمده حتى تدين له حكومتها بالطاعة والخنوع . . . !

وقد كان من بين فصول هذه الرواية أن سافر مقامه الرفيع هذا العام . فتخير ايطاليا وألمانيا لسياحته الميمونة الروحات والغدوات . ولما عاد الى مصر بسلامة الله . بشرنا بسياسة جديدة . هى تحفة الزمان . وفكاهة العصر والاوان

فقد قال فى الاسكندرية ان المعاهدة لا يمكن أن تحترم الا اذا كان مقامه الرفيع فى الحكم . وأن لا سبيل الى تنفيذها أو قيامها الا على يديه الكريمتين . ويدى حكومته السعيدة الموفقة . وان حربا ما لا يمكن أن تصطلى مصر بنارها . ولا تكتوى بأوارها إلا إذا شمر مصطفى النحاس باشا رئيس الوزارة عن ساعده وساعد قمصانه الزرقاء . ومشوا فى طليعة جيش عرمرم . تقر به أعين البلاد وتعتز به جوانب الأوطان .

ولست أعرف كم سهد الانجليز خوفا على المعاهدة . وكم جزعت نفوسهم هلعا على المحالفة بعد هذا التهديد . ولكن الذى أعرفه . أن النحاس باشا ومكرم باشا أصيبا بعد ذلك فى حوادث الشغب فى القاهرة . وادعيا كذبا ان الحكومة أصل الحادث . ونفخا فى الصور . وأعلنا الحرب والجهاد . وجهزا العدة والعتاد . فما تحرك فى البلاد مرفق أو ارتفعت يد . لأن الناس خبروا أمرهم . وعرفوا مكرهم . ولم يعودوا بعد أكاذيبهم يصدقون لهم قولا وباءوا بغضب من الناس واستنكار مبين .

يلتمسون حليفا !!

ويظهر أن الذى أصابهم قد أذهب بما تبقى من رشدهم . فان شككتم فيما أقول فارجعوا الى جريدتهم التى تقول انه قد آن الأوان للبحث عن حليف جديد حيث فشلت المحالفة مع الانجليز . ووالله لقد غدا القوم يستحقون الاشفاق . فما أظن عاقلا تبلغ به الخيانة والجريمة حدا يحمله على مثل هذا القول . ولقد كنت ظننت فى أول الأمر ان حملتهم الظالمة على الانجليز انما هى غلطة طاف بهم طائفها فنادوا بها . غير انى عندما قرأت نبأ المحالفة الجديدة أسفت، أتدرون لماذا أسفت ؟ أسفت على ماض كريم لهؤلاء الناس أعرف أنهم خدموا فيه بلادهم أحسن الخدمات . وأنهم تعبوا وعنوا من أجله . أسفت أن

يلطخ ذلكم الماضى بهذا الحاضر وأن يخرج هؤلاء الناس من الدنيا وقد أفسدوا بأيديهم ماجاد عليهم به الزمان من نعمة الذكر الكريم

أيها السادة :

هذا وجيز من حاضر أعمال القوم وهو يدلكم الى حد كبير الى أى حد وصلوا من الزراية بأنفسهم وبالتالى الى انكار ماضيهم فى نظر الناس . أسأل الله أن يقى البلاد شر سياستهم وأن يلهمهم الرشد والسداد

خطة الهيئة السعدية

أيها السادة : ان الهيئة السعدية ستتابع تنفيذ خطتها التى أوضحتها لكم فى حزم وحكمة وأناة . وستبذل كل ما فى وسعها لاعلاء كلمة السياسة القومية التى تظل الجميع بعدلها وقسطاطها ؛ وستقاوم شهوات النفعيين وتجار السياسة ؛ وهى تعتمد بعد الله على تأييد الأمة وحسن ادراكها ؛ وتقدير العاملين للمصلحة العامة وهى مطمئنة أيضا الى التأييد الصادق والرعاية السامية التى تلقاها السياسة القومية من لدن حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم المفطور على البر برعيته والعمل على خيرها واسعادها

سلاحنا التضامن والاتحاد

أيها السادة :

ان بلادنا تطالب بالعمل بشجاعة وجد ومضاء فى طريق التقدم وبجانب الأمم التى تسير فى هذا الزمن بخطوات العالقة وعلى كل منا أن يدرك مسئوليته وما يقتضيه وطنه من تضحيات وأن يحاسب نفسه على مايقدم لهذا الوطن من خدمات نساهم فى اعلاء شأنه ورفعة قدره بين الممالك وأن المسئوليات التى

تتحملها البلاد فى هذه الأيام هى أقسى تجربة عرفتها مصر منذ أجيال . فاذا لم نعتد لها بأكمل عدة . ونعتصم بالحق القوى والرجولة والتضحية وانكار الذات . ونتسلح لها بالتضامن والاتحاد . فانى أخشى أن لا نستطيع أداء الواجب على الوجه المطلوب .

أيها السادة :

إن أملى فى المستقبل لعظيم . وان البلاد لمقبلة ان شاء الله على عهد زاهر : وخير وافر : بفضل حكمة مليكها : ووطنية أبنائها : وعدالة حكومتها : والسلام .

* * *

اننا وقفنا أنفسنا فى سبيل سعادة وحرية بلادنا . ولن يصرفنا عن الجهاد عائق ولا قوة مهما عظمت . . .

* * *

اذا عودنا الناس على قولة الحق استرحنا واستراح الناس

احمد ماهر

يوم الضحايا . .

(خطاب وطنى عظيم لحضرة صاحب المعالى الدكتور احمد ماهر باشا رئيس الهيئة السعدية — فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩٤٠ — مثل عليا للشباب الوطنى يضربها الرئيس . .)

حضرات السادة :

ها هو عيد الجهاد الوطنى أقبل ، يحدثنا عن ذكرياته ، وينشر علينا آياته ، ويرجع بنا الى تاريخ عزيز علينا ، وآثار كرام لدينا ، يذكرنا بالجهاد وكتابه ، وسعد وصحابه ، ويذكرنا بتضحيات مجيدة ، وصفحات خالدة ، وتاريخ حافل بأجزل المفاخر وأسعد الآثار .

ها هو يوم ١٣ نوفمبر أقبل ، يذكرنا بأنه قد مضى على جهادنا اثنان وعشرون عاما ، سلختها البلاد فى عراك طويل ، فى سبيل أسمى وأرفع ما عرف الانسان من معانى الحياة وانفقت فى خلالها كل عزيز لديها ، من نفس ومال وجهاد .

ها هو ١٣ نوفمبر أقبل ، يرنو ببصره الينا ، ليكشف الى أى مدى وصلنا وأى سبيل سلكنا ، ولأى غرض عملنا ، وفى اعتقادى أن هذا اليوم ، الذى أصبح قدساً من أقداس حياتنا السياسية ، لجدير بأن نطيل فيه التأمل فى حالنا ، والتقدير فى مآلنا ، وان نلتمس فيه العظات من ماضى جهادنا وحاضر عملنا . لأننا وان كنا قد وفقنا الى اجتياز مرحلة من مراحل آمالنا ، بعقد معاهدة التحالف والصداقة بيننا وبين حلفائنا ، فلا زلنا بحاجة الى طويل الدأب والعمل لاستكمال أسباب استقلالنا ، وتوطيد دعائم حرياتنا . وانا وان كنا قد اغتبطنا باجتياز أولى مراحل جهادنا ، فلن يصرفنا ذلك عن الاحتفال باستكمال مراحله الباقية ، والتوفر على العمل لتدعيم بنيان ما ظفرنا به وحصلنا عليه .

ولقد زاد فى مسئولياتنا ، أن أصبح أمرنا موكولا الينا ، فلم يعد لنا عذر فى التوانى والتواكل . ولم يعد بعد ثمة سبيل الى القاء التبعات على غيرنا . اذا تولانا الضعف أو انتابنا الانحراف . وكم كررت النصيحة فى هذا مرارا وتكرارا . لعل المسئولين ينتبهون الى جسامة مسئوليتنا . وخطورة المهام التى ألقتها الظروف علينا . لذلك عند ما تكونت الهيئة السعدية . رأت واجبا عليها أن تعمل على سياسة التبصر والتدبر فيما ألقت على عواتقنا الأيام من تبعات .

ولقد حرصت منذ قيامها ، على معاونة كل من يعمل على هذه السياسة . فاشتركنا فى الوزارة التى ألفها حضرة صاحب المقام الرفيع محمد محمود باشا ، وقضينا زمنا نعمل على أكمل ما يكون من التعاون والمودة ، وظفرت البلاد من هذا التعاون بخير النتائج والثمرات . وانى وقد تشرفت بالاشتراك فى تلك الوزارة لأحمل لحضرة صاحب المقام الرفيع رئيس وحضرات أعضائها ، أغلى وأسعد الذكريات ، واشهد انها كانت فترة كبيرة الأثر ، عظيمة النتائج فى حياة البلاد . ولولا أن المرض قد انتاب حضرة صاحب المقام الرفيع محمد محمود باشا — شفاه الله — لظفرت البلاد فى عهده ، بالمزيد من آثار جده واخلاصه .

كما اشتركت الهيئة السعدية فى وزارة حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا ، واحتملت نصيبها من تبعات تصريف الأمور ، فى ظروف دقيقة قاسية خلقها قيام الحرب الحالية ، وما كان لها فى مصر من آثار . ولقد أبلى حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا وزملاؤه فى تلك الظروف بلاء حسنا فى خدمة البلاد وكانوا مثال الحزم والعزم فى تصريف الشئون — سواء فى ذلك السياسية أو الاجتماعية — باخلاص وبهمة لا تعرف الكلل ولا تعرف العناء فظفرت البلاد فى هذا العهد بأنواع من الاصلاح لم تظفر بمثلها فى عهد غيره .

وكذلك اشتركت الهيئة السعدية فى وزارة حضرة صاحب الدولة حسن صبرى باشا ، واضطلعت بأعباء الحكم معه . وحفظت لذلك التعاون خير الذكريات . غير أن الهيئة قد رأت ورأى وزراؤها ، فى تطور ظروف الحرب واقترابها من بلادنا رأياً خالفهم فيه غالبية تلك الوزارة فاستقالوا .

ولقد كانت استقالة الوزراء السعديين ، على تلك الصورة الاجماعية ، مظهرا من أبدع مظاهر الاعتداد بالرأى والاخلاص فى سبيل تأييده . وهو بعد مثل عظيم الدلالة على مايجب أن يتصف به الرجال ، من الشجاعة والاعتداد بالرأى ؛ والصدق فى الدفاع عنه متى اقتنعوا بصحته وسلامته .

ويطيب لى أن أذكر قومى والشباب على وجه الخصوص ، بأن الحياة انما هى رأى وكرامة . فذخيرة المرء فيها هى أن يصح رأيه ، وتعز كرامته ، وان لا يسخرهما مطية لشهواته ومنافعه . فان فعل أصابه الهوان كما أصابه الحرمان . وما أرخص الدنيا اذا كان نصيب الانسان منها ، الهوان والحرمان . فاعملوا يا أبنائى كما يعمل الرجال ، واعتصموا بالشجاعة فى الرأى ، بل تفانوا فى سبيل الدفاع عنه اذا اقتضى الحال . وكم ضرب لنا التاريخ الأمثال فلم نظفر برجل دانت له الدنيا ، الا وكان فى جعبته طائفة عامرة من الشجاعة والاخلاص . وصدق الرأى وقوة العزيمة .

استقال الوزراء السعديون لخلاف فى الرأى بين حزبنا وبين الوزارة . إذ رأينا أن واجب البلاد يحتم عليها القيام بالدفاع عن نفسها ، بعد أن اعتدى المغيرون عليها وتوغلوا فى أراضيها ، ورأت أغلبية الوزراء ان الوقت لم يحن بعد ذلك . غير أن هذا الخلاف لم يمنعنا ولم يصرفنا عن واجب المعاونة والنصيحة للقائمين بالأمر ، ضنا بمصلحة البلاد أن تعصف بها آثار الخلاف .

حضرات السادة :

ان نظريتنا هى أن الخلاف فى الرأى فى مسألة من المسائل ، لا يقف حائلا دون التعاون والتعاضد ، فيما سواها من الشئون الأخرى كما اقتضت مصلحة البلاد ذلك وفى اعتقادى ان المسئولين ، اذا حرصوا على ذلك التفريق استقامت الأمور ، وضاقت مسافة الخلف ، وأمكن ان يلتقوا جميعا متفقين فى صعيد واحد على مصلحة البلاد . وبهذا تقف الخلافات عند حدودها لا تتعداها ، ولا تعتدى على ما سواها ، ولا يفسد الخلاف شأنا جليلا يمكن الاتفاق عليه والتعاون للوصول اليه .

واذا كانت هذه النظرية واجبة الاتباع فى الأوقات الصافية الهادئة ، فاخلق بها أن تكون دستور الأيام الصاخبة المتأججة . فلست أعرف فى تاريخنا عهدا حتمت ظروفه ومقتضياته التساند والتعاضد ، مثلما حتمت ظروف هذه الأيام . وواجب المسئولين ، أن يتخذوا من الشدائد المحيطة بالبلاد درسا نافعا ، يتعلمون منه ، كيف يمضون جميعا فى سبيل التعاون ، من خلال خلافاتهم فى الرأى والعقيدة تحقيقا لمصلحة الوطن العليا ، ولقد رأينا رأى العين ، ان كل بلد أصابته نوازل الخلافات ، عصفت به الاحداث ، ولم يقو على مقابلة الشـــدائد التى انتابته فى هذه الأيام .

كما رأينا رأى العين أن كل بلد ، اعتصم أبناؤه بحبل الاخلاص والتعاون ، صمد وعز النيل منه ومن أبنائه . فالى متى يبقى المسئولون متراخين متناكصين عن الأخذ بسنة — بل بفرض — التعاون الذى تحتمه هذه الأيام . والى متى تحيلهم الخلافات فى الرأى الى أعداء الداء ، لا يطمعون إلا فى النيـــل من خصومهم والحط من أقدارهم ، والعمـل على النكاية بهم ولو كان ذلك على حساب حقوق البـلاد . أقول الى متى ينسى المسئولون ، أن الوطن يحتم عليهم لمصلحة جيلهم ، ولمصلحة الأجيال القابلة ، الاخلاص والتعاون والتعاضد ، مهما اختلفت وجهات النظر فى بعض الأمور .

حضرات السادة :

ليس المقصود مما أسلفت أن يتنازل فريق عن رأيه ، أو يتنحى عن عقيدته ، فلست أرضى لقومى أن تكون عقائدهم وآراؤهم رداء يخلعونه ، كلما قامت بنفوسهم رغبة ، أو أملت عليهم مصلحة ، فذلك هو الضعف والهوان ، والتسلط والسلطان ولقد نصبنا أنفسنا حربا على المتحكمين المتسلطين على الآراء وفزنا أو كدنا نفوز بانقاذ حرية الرأى من سطوة الاحراج ، واطلاق العقائد مما كانت ترسف فيه من قيود واغلال . وانما قصدت بدعوتى أن نتفق مقصدا ، وأن نتعاون جهدا ، وان اختلفنا فى الرأى والعقيدة .

وحسب كل منا أن يعمل مخلصا لبلاده ، لا يحتسب فى صنيعه إلا وجه الله

ووجه الوطن ، قصدت أن يتذرع الناس بالشجاعة والصدق ، وأن لا يضن انسان على مخالفه فى الرأى ، بالاقرار له بالفضل ، كلما صادفه التوفيق والاحسان وبذلك تصفو النفوس من شوائب الاحن وظلمات البغضاء ، هذه هى السياسة التى أدعو اليها ، وأرجو أن يتحقق لبلادنا السير عليها ، فاذا قدر لنا النجاح فيها ، فلسوف نرى فى اختلاف الآراء ، عونا على حسن التبصر فى الأمور ، وسبيلا الى الأخذ بالأمثل فى كل ما يعرض لنا من الشئون .

ولقد جربت البلاد هذه السياسة ، كما جربت نقيضها . ففازت فى الأولى بثمرات التعاون والتآزر ، وظفرت بحسنات التساند والتناصر . وباءت فى الثانية بآثام التنابذ والتناحر . فلنكن متفقين أو مختلفين . أصدقاء متآزرين . وأبناء وطن متضامنين .

حضرات السادة :

لقد كانت آفة هذه الأمة على الدوام قوما عرفوا بسيماهم . لا هم لهم الا السعاية بين الصفوف وتمزيق أواصر التعاون . هؤلاء الناس كلفوا بأن يمكنوا لأنفسهم على حساب متاعب بلادهم وآلامها . فان كان ثمة جهد مبرور . وسعى مشكور . فانما يكون فى الضرب على أيدى أهل السعاية . وفى العمل على افساد ما يمكرون وما يدبرون . وأخلق بذوى الرأى الراجح فى هذه البلاد أن يتدبروا عاقبة طغيان هؤلاء القوم . وما ينجم عن اثمهم . فلا يمدون لهم فى طغيانهم ولا يمكنون لهم فى اثمهم .

حضرات السادة :

بعد البيان الذى أسلفت لحضراتكم لم يبق الا ان أوضح الخطة التى يجب أن تلتقى عندها الآراء جميعا . والتى تحتمها الظروف الحاضرة تحتيما أكيدا . يجب أن تتضافر الجهود للنهوض بمعنويات البلاد فى سائر مرافقها . لأن الحياة فى أوضاعها الجديدة لم تعد تحتمل التواكل والتوانى . الذى سمحت به سوابق الأيام . فعلينا أن نعد شبابنا اعدادا صحيحا . بحيث يمكن الاعتماد عليه عند ما يدعون لتحمل مسئوليات الحياة . يجب أن يعد الشباب اعدادا ثقافيا رفيعا ونافعا . كما يجب أن

تهيأ روحه لمقابلة الشدائد التى يمكن أن تفاجئنا بها الأيام .

يجب أن تلتقى الجهود عند النهوض بالفـــلاح من حيث تعليمه وصحته ، وتيسير وسائل الرزق له ، والعناية بشئونه عناية ضافية . يجب أن يعنى بالطبقات الفقيرة عناية خاصـة ، وأن تيسر لها أسباب الحياة والمعاش . يجب أن ننهض بالحياة الاقتصادية فى البلاد نهضة اجماعية ، تعود على أبنائها بالخير والرفاهيـة . وأخيرا يجب أن نثير فى قومنا روح العزة والكرامة والوطنية الصادقة ، المقرونة بالشجاعة والاخلاص والتضحية ، كل أولئك عماد الأمم فى رخائها وهنائها مهما كانت الظروف التى تختلف عليها .

ومن جهة أخرى يجب أن ينعقد الاجماع على حسن قيام مصر بتعهداتها ، ووفائها بالتزاماتها ، واشعار حلفائنا بأننا عنـد الكلمة التى أعطيناها فى المعـاهدة التى انعقدت بيننا ، وان شرف المصريين قمين أن يصون حقوقهم لدينـــا . كما يصون حقوقنا لديهم .

هذه المسائل انعقد الاجماع عليها ، فلامحيص من أن نتعهدها بالزيادة والإنماء كما يجب أن تلتقى جهودنا جميعا عند مصلحة الوطن الكبرى ، كلما قام مايعرضها للضرر أو المساس .

حضرات السادة :

ان الهيئـة السعدية وهى الحزب الفتى فى البلاد ، والذى أثبتت الأيام انهـا مضرب الأمثال فى الاتحاد والتضامن ، لتأخذ على نفسها عهدا أمام الأمة ، بأنها ماضية فى سبيل التعاون وشـد ازر العاملين المخلصين ، والتفانى فى خدمة البـلاد ومصالحها مهما كان هناك من خلاف فى الرأى بينهـا وبين غيرها من الطوائف والأحزاب ، وبهذا تتيسر الأمور كما أسلفت لحضراتكم ويخيم على البـلاد جو من الصفاء والوئام . ما أشد حاجتها اليه فى هذه الأيام .

حضرات السادة :

هـذا يوم الضحايا والتضحيات . وخليق بنا أن نذكر بالمجد والفخـار ونحن نتهيأ لخطواتنا التالية . تلك التضحيات التى سرنا فوق أجداثها فى خطواتنا الماضية

أسأل الله أن يرحم شهداءنا . وأن يجزل لهم الجزاء بما أسلفوا لوطنهم . كما أسأله أن يهيء لبلادنا المجد والهناء . فى ظل حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم . الساهر على خير رعيته ، واسعادها وتوفير أسباب الرغد والسؤدد والبناء لها .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

* * *

ان الجهر بالرأى فضيلة ، وأن قول الحق شجاعة . وأن شجاعة الرأى أن تقول ما تعتقده ، وأن تعمل وأنت فاهم .

* * *

ان الحكومة التى تسير فى حكمها على سياسة ارضاء الطبقات — حكومة تنقصها الشجاعة — وفضلا عن ذلك تخلق بين الناس التحاسد وتثير النفوس — واذا ما ثارت النفوس تفشى الاجرام — وكثرت الشرور — وفى منع هذا الشر لا يتسع وقت الحاكمين والمحكومين الا لاطفاء الفتن — فيجب أن يكون العدل والمساواة بين الناس أساس الحكم .

احمد ماهر

أعلى مراتب الجهاد

(من خطاب للشهيد الكريم فى حفلة تكريمه التى أقيمت له بسراى محمد راغب عطيه بك وكيل مجلس النواب فى ٢٩ مارس سنة ١٩٤٠)

* * *

الواقع لم أكن أنا وأولئك الصحاب الذين كانوا معنا يوم أن نهضت مصر نهضتها نجاهد ونسعى الى الحرية سواء بل هناك ضحايا وهناك جنود مجهولون استشهدوا فى سبيل الحرية ورجال ضحوا بأموالهم وأنفسهم للوصول الى الغاية القصوى والمطلب الأسمى « مطلب الاستقلال » هؤلاء وهؤلاء جميعا من مختلف طبقات الأمة كان لهم الفضل الأكبر فى تحقيق ما وصلت اليه الآن ، فقد تحمل الجميع من ألوان الجهاد وما تحملوا فى سبيل نصرة وطنهم حتى أذن الله بالنصر وقضى بفوز الحق .

وقد كان أيها الاخوان من الطبيعى أن تسير الأمور فى طريقها القويم وأن توزع العدالة بين أبناء الوطن جميعا بالقسطاس المستقيم حتى يشعر الجميع بالحرية التى جاهدوا من أجلها السنين الطوال . وأن نواصل الجهود ، متحدين متساندين لخير أبناء الوطن جميعا . لأنهم كما قلت قد اشتركوا فى التضحية والجهاد جميعا ، وقام كل فرد بواجبه بقدر طاقته .

كان هذا ما نأمله ويأمله الوطنيون الصادقون ، ولم نكن ننتظر وينتظرون أن يروا زعماءهم واخوانهم قد أخذتهم نشوة الانتصار حتى رأينا الأصدقاء حادوا عن الطريق التى رسمها لنا سعد ، فاعتدوا على الحريات وبطشوا بالكرامات ونسوا أن ما وصلوا اليه من مكانة فى أمتهم كان بفضل جهاد اخوانهم وجهاد أبناء وطنهم لا فرق بين صغير ولا كبير .

(١) فى حفلة تكريم ماهر باشا بسراى راغب عطيه بك بميدان سراى القبه سنة ١٩٣٩

(٢) فى حفلة استقبال الدكتور ماهر بسراى راغب عطيه بك بشبرا اليمن سنة ١٩٤٠

رأينا القافلة تنحرف عن الجادة فبادرنا بالنصح اليهم وقلنا ان الواجب قد تضاعف علينا بعد المعاهدة ، وان المسئولية الملقاة على عاتقنا صعبة ، وأن ماقام به أى واحد من جهد فى سبيل وطنه لا يذكر الى جانب الواجب الأسمى للوطن ثم ان أعلى مراتب الجهاد انما هو مجاهدة النفس ومغالبة النزعات الشخصية .

على اننا لسنا وحدنا الذين جاهدنا حتى ننعم بثمرة الجهاد وحدنا بل الأمة المصرية جميعا قد جاهدت وضحت بكل مرتخص وغال حتى نالت بغيتها فيجب أن يتساوى الجميع فى الحقوق فغضوا الطرف وانصرفوا عن النصح فكبر علينا مجاراتهم فى الطريق التى ساروا عليها والتى تذهب بجهاد الماضى سدى فلم نر بدا من أن ننادى فى اخواننا بمقاومة هذه السياسة وقلنا ان من لم يستطع أن يعمل لأمته ومصلحتها فليترك المجال لغيره والمسئولية عليه ، وان مصلحة الأمة فوق كل صداقة وكل أخوة ، فأجاب النداء أصدقاء وأبناء واخوان أوفياء ولم يتردد المجاهدون المخلصون فى الانضمام الى هيئتنا التى وجدت لتحقيق الوجهة التى يجب أن يتجه اليها أبناء الوطن جميعا وهى العمل لرفعة مصر ولخير مصر وإعلاء كلمتها

وإنا لنحمد الله على أن الأمور الآن تسير فى طريقها القويم وهو ما ندعو اليه دائما وليس منا من يعمل ظالما ، ويحيد عن طريق الحق والعدل والحرية فان حدنا عن الحق لا قدر الله والسعى لخير مصر فاقطعوا علاقتكم بنا وحاربونا لقد عاهدناكم على السعى لخير مصر وسعادتها فان خالفنا العهد فلكم أن تنبذونا لأنكم أنتم وحدكم الذين تقدرون عمل العاملين .

وقبل أن اختم كلمتى أتقدم لجميع أهل دائرة سنباط وحصتها بالشكر الجزيل على هذه الحفاوة الرائعة التى ما كنا ننتظرها فى هذا الصباح الباكر والتى أفصحت عن أن هذه الأمة الكريمة لاتزال تقدر للعاملين عملهم وللمخلصين اخلاصهم وللمسيئين اساءتهم . .

وانى إذ أشكركم على هذا الشعور وهذا التكريم لا أنسى أن أتقدم الى زميلى وصديقى سعادة محمد راغب عطيه بك بأسمى آيات الشكر والاجلال .

الرجولة والشجاعة

(نفثة من نفثات الفقيد الكريم وعظة من عظاته الغالية ودرة من دره السامية ألقاها فى ١٥ أغسطس سنة ١٩٤٠ فى إحدى حفلات التأبين) .

أبنائى الأعزاء

لولا المناسبة الأليمة التى اجتمعنا اليوم من أجلها لكان هذا الحفل أطيب الاحفال الى نفسى فلقد أتاح لى لقاء طائفة مثقفة من شباب البلاد والحديث اليهم والشباب كما تعلمون عدة الحاضر وذخيرة المستقبل

لقد اجتمعتم يا أبنائى اليوم لتذكروا صديقا ذوى عودة قبل الأوان . ولتذكروا فيه الصفات الطيبات والخلق الكريم . وقد كانت أبرز صفاته توثبه لخدمة بلاده ومبادئه والتفانى فى الدفاع عنها والصدق والوفاء لزعمائه وعقيدته . واذا كان المرء حديثا بعد كما يقولون فكم يطيب للأحياء أن يلتمسوا المثل من حياة الراحلين وأن يظفروا من عبرة الموت بذخيرة للحياة ولقد ركبت فى هذا التوارث والتلاحق حكم الزمان جميعا اذ ترتسم أمام ناظرى الانسان فى هذا النظام الأزلى صورة فلسفية للحياة لو تدبرها لهانت لديه أسباب الدنيا ولأيقن أن ثمة معانى هى أسمى كثيرا مما تزدحم به من زائل الكائنات . فاذا مات الانسان نشرت بين الناس صحائفه . فطوبى لمن اجتمع له فى دنياه من ذخائر الطيبات ما خلف وراءه جميل الذكر وعاطر الأثر

وما دام الانسان عابر سبيل فى هذه الدنيا فأخلق به أن تكون رسالته الأولى المساهمة فى بناء صرح الفضائل الالهية التى مد الله فيها لعباده الصالحين وجعلها سياجا يقى بنى الانسان شرور الشهوات ونوازع الشيطان .

ولست محدثكم يا أبنائى عن هذه الفضائل جميعا فحديثها طويل . وانما أحدثكم عن فضيلة واحدة كانت أبرز ما تحلى بها فقيدنا العزيز هى فى اعتبارى جماع الفضائل الانسانية الا وهى الرجولة والشجاعة . فقد يطول عمر المرء وان قصر وقد يقصر وان طال بمقدار ما اجتمع له فى حياته من الشجاعة والاقدام وحسبكم أن الدنيا على عنادها قد دانت وتدين على الدوام للرجل الشجاع وان الجبن والخور لم يحققا للمرء رجاء ولم يدفعا عنه بليه من بلايا الزمان .

أبنائى :

قد استحالت الدنيا بفعل المدنية الضاربة فى أنحائها وباختلاف الآراء والنظريات وتشعب وجوه النظر الى الأمور الى طوائف أو قولوا قبائل تجمعها الفكرة والعقيدة والاحساس واستحال الناس الى رسل يبشر كل بما يراه رأيا . ويعتقده عقيدة . وأضحى واجبا على الانسان أن لا يلتمس فى هذه الحياة مبدأ الا أن يعود على عقيدته وضميره بالرضا والارتياح . ولم يعد لرجل يتحلى بشرف الانسانية أن يدعى حتى الحياة ما لم تحتوه عقيدة تستحيل لديه ايمانا يبقى قبلة نظره وغذاء نفسه حتى يوارى التراب . لذلك كان على المرء أن يتذرع فى حياته بالشجاعة التى هى عماد الفضائل وسبيل الانسان الى اقتحام الصعاب فى سبيل رأيه وعقيدته

نعم قد تكلف الشجاعة المرء فى دنياه تضحيات وآلاما . ولكنها تتضاءل أمام ما تضفيه هذه الآلام عينها على النفس من شعور الرضا والارتياح بل لعل هذه الآلام هى مقاييس الرجولة والشجاعة لدى الانسان وعلى قدر استصغاره لها واستهانته بها يكون نصيبه من الفضائل وكرم الصفات .

خذوا يا أبنائى عنا نحن آباءكم الحكمة التى علمتها لنا الأيام . فقد عشنا أزمانا غير زمانكم وعركتنا الحوادث وعرفنا الناس وشهدنا منهم صنوفا وألوانا . خذوا عنا الحكمة لخيركم وخير بلادكم التى أراها فى حاجة الى المزيد من رجال يقدرون الرجولة فى أنفسهم ويعرفون أن للعقائد والنفس قداسة ترتفع بها عن ضعة الاتجار . فقد كانت آفة الآراء والعقائد على الدوام المنتفعين الذين يسخرون آراءهم وعقائدهم كلما دار الزمان مطية الى منافعهم وأغراضهم فاحذروا يا أبنائى

أن تقعوا فى خطيئة العبث بعقائدكم أو أن يغريكم بهذا لون من الاغراء فليس أقتل للانسان من أن يتزعزع إيمانه أو يصيبه الوهن فيما يراه من الآراء ويكفى أن يبيع الانسان ضميره مرة حتى يعيش حياته حائر الرأى سقيم الوجدان .

واذا كانت الشجاعة لازمة لكم فيما مضى فما ألزمها فيما هو آت . فأنتم مقبلون على عصر احتدم فيه نزاع بنى الانسان حول الصلاحية والبقاء . وستطالبكم الأيام المقبلة بالمزيد من الشجاعة والمضاء لمقابلة ما تخبئه الأقدار من صعاب لكم ولبلادكم فأعدوا للمستقبل بشجاعتكم ما استطعتم من عدة . والتمسوا من شرف نفوسكم ونقاء ضمائركم نورا يهديكم الى طريق فى حالك الظلام .

لقد كان فقيدنا العزيز شابا نافعا فى حياته . وكان أيضا نافعا فى مماته . فلقد أتاح لى — إذ أذكر فى هذا الحفل مناقبه وسجاياه — أن أحدثكم حديثا فيه عظة لكم . ورثاء له . وشفاء لنفسه فى سمائها . نفع الله اخوانه بمثله الصالح ورحمه رحمة واسعة .

انا بلد قوى لا نرضى مذلة الاستعباد ، ولا نقبل ان يقوم بواجب الدفاع عن بلادنا اى أجنبى

الواجب الوطنى

(أتاحت الظروف السياسية أن يزور الدكتور احمد ماهر باشا وصحبه مدينة الزقازيق فى ٢٦ ابريل سنة ١٩٤٠ وقد أقامت لهم الهيئة السعدية حفلة تكريم بمناسبة تشريفهم تلك المدينة . .

ونثبت هنا الكلمة الوطنية الرائعة التى ألقاها الرئيس الكريم فى هذا الحفل العظيم .)

اخوانى :

لا أقبل فى هذا الموقف أن أرجع للماضى ، لأن من يكتفى بالنظر اليه يضيع من وقته ووقت سامعيه ، فماضينا جميعا صفحة مكشوفة قرأها الشعب وعرف ما لنا فيها وما علينا . اننا نحن « زملائى وأنا » مستعدون لأن نناقش الماضى ونقدم عنه حسابا ، بيد أنى أنتهز هذه الفرصة السعيدة التى أتاحتها لنا هذه الحفلة المباركة لأتكلم عن الحاضر والمستقبل وما يجب أن نعمل فى حاضرنا لمصرنا العزيزة دون غيرها ولمستقبلها

أريد أن أتكلم عن الحالة السياسية العامة ، عن الحرب التى يكتوى العالم بنارها الآن والتى لا يأمن بلد مغبتها .

أريد أن أتبين فى وسط هذه العواصف التى تزعزع أركان العالم مركز مصر وما يجب أن يكون ، ولكن قبل أن أتوسع فى ذلك أقول أن مركزنا الطبيعى هو بجانب الديمقراطية ، بجانب حليفتنا ، يقضى علينا بذلك واجبنا نحو بلادنا وحبنا لخيرها ومصلحتها الحقيقية .

وأبادر فأجيب عن اعتراض قد يجول ببعض الخواطر فلعل قائلا أن يقول :

أنتم رجال الثورة المصرية الذين جاهدتم فى سبيل الاستقلال والذين ضحيتم ما ضحيتم ، والذين قاومتم الانجليز أشد مقاومة للخلاص بالاستقلال . أنتم يا هؤلاء يحلو لكم الآن أن تقفوا بجوار هؤلاء الانجليز حلفاء نصراء ! كيف يحلو لكم أنتم أن تنادوا أبناء بلادكم ليكونوا صفا واحدا وقوة واحدة فى صفوف الحليفة ؟

وأجيب على ذلك بما كنا نحن نقوله للانجليز . كنا نقول لهم أن من مصلحتكم أن تكون مصر القوية صديقة وحليفة ، فكانوا يقولون وكيف ننتظر هذا وأنتم تحاربوننا وتدعون أبناء وطنكم للتخلص منا ، قلنا لهم عند ذلك ما قاله المغفور له على باشا شعراوى للسير ونجت « أننا نريد أن نكون أصدقاء صداقة الحر للحر . لا عبودية المسود للسيد » .

قلنا لهم اننا ان صفينا ما بيننا من حساب واعترفتم بحقوقنا فى الحياة كنا نحن أول المنادين بضرورة العمل على استبقاء محبتكم وصداقتكم وكنا فى ذلك أوفياء لما يعقد بيننا من محالفة تقوم على الصداقة واحترام استقلالنا الذى هو حقنا الطبيعى .

فلماذا نعمل لهذا أيها الاخوان وكيف نجد مصلحة مصر فى هذه الصداقة ؟

لا يوجد فى العالم الآن دولة يمكنها أن تعيش فى عزلة عن العالم . وكل دولة تبحث عن الأصدقاء لتشتد بهم ولتتآزر بمعاونتهم فى سبيل تحقيق مبادئها السامية التى تعمل لها ، وهذه انجلترا نفسها عاشت زمنا طويلا فى عزلة عن سياسة أوروبا وكانت تفخر بذلك ، ولكن هل أمكنها أن تستمر فى هذه العزلة ، وتعيش بعيدا عن العالم ؟

لا : انها قد اضطرت تحت حكم الظروف والسرعة التى تشمل العالم ، فى المواصلات ، فى الانتقال ، فى المخابرات ، فى الحرب ، تحت حكم هذا ، اضطرت انجلترا أن تجانب هذه العزلة وتبحث عن الأصدقاء .

فما بالكم بمصر الصغيرة ، فى عدد سكانها ، القوية بايمانهم ؟ كيف يمكنها أن تعيش بغير أصدقاء فى هذا الزمن العصيب ؟ فاذا فرضنا أن ليس بيننا وبين أحد

صداقة . أو ليس من واجبنا أن نبحث عن صديق وحليف نعتمد عليه فى وقت الحاجة وقت الشدة .

ضرورة . .

واذا كانت هذه ضرورة صحيحة فأى دولة يمكن أن نعتمد عليها ، أليست هى الدولة التى تريد المحافظة على شريانها الحيوى ، على طريق امبراطوريتها وبكلمة أدق على قنال السويس .

أليست هذه المحافظة من الأغراض التى نطلبها نحن أيضا ونعمل لها ونفتديها بكل ما عندنا .

اذن فقد اشتركت هنا المصالح ، ووجدت الرابطة الطبيعية التى تدعو الى التآلف والتحالف فى سبيل غرض واحد يعمل له فريقان ، فلهذا كان من واجبنا أن نعمل لهذا التآلف ولهذا السبب قبلنا عقد المعاهدة مع حلفائنا الانجليز ومن وقت أن أمضينا المعاهدة وكان لى شرف توقيعها مع حضرات أعضاء الجبهة الوطنية قلت فى صراحة تعليقا على عملنا هذا أن فى المعاهدة نقصا كبيرا ولكن يجب أن نقبله للمصلحة وعلينا أن نعمل لاستكمال مافات من هذا النقص

قلت أن الأمر أصبح بيدنا ، فان أحسنا ادارة شئون بلادنا وقمنا بالاصلاحات اللازمة لزيادة مواردنا وتقوية جيشنا واستكمال معدات دفاعه نكون قد أزلنا كثيرا من العقبات التى تقف فى سبيل تقدمنا وبلوغنا مانرجو لخير وطننا المحبوب لا شك أن معظم هذه القيود يرجع الى عدم اطمئنان الانجليز فان أمنوا جانبنا واطمأنوا الى صداقتنا عملوا للمصلحة المشتركة التى أسلفت القول عنها

اذن فلو أمكننا أن نزيل المخاوف التى تساورهم أمكننا بالتبعية ازالة قيود المعاهدة لأننا نكون قد أزلنا أسباب هذه القيود ، وأوجدنا فى نفوس الانجليز الثقة ليعتمدوا على مصر الصديقة الأمينة على العهد .

ومتى أمكن هذا أيضا وأمكن الاطمئنان الى قدرة مصر على المحافظة على استقلالها حتى يصلها مدد الحليف كما تقضى المعاهدة متى أمكن هذا رأى

الانجليز من أنفسهم أن لا داعى لبقاء قوتهم - المنصوص عليها - فى الاسماعيلية لأن ذلك يكلفهم مالا لا يكون هناك محل لانفاقه .

سرور . .

اخوانى :

أصدقكم القول انى عندما أعلنت الحرب سررت لها من الناحية المصرية وان كنت قدرت كل التقدير مايصيب العالم من نارها وجزعت لهذا التقدير أما من ناحيتنا المصرية فقد قدرت انها فرصة لتقصير أمد المدة المنصوص عنها فى المعاهدة لأنها ستدعونا الى الاسراع فى العمل وتقوية جيشنا فى أقرب وقت والى أقصى حد .

وبعد مدة من الزمن اذا أثبتت مصر قدرتها عل الدفاع عن نفسها أمكن عند ذلك النظر فى أمر القوة الانجليزية فيها .

لذلك رحبت بهذه الظروف ، ولو أن فى هذا شيئا من حب الذات الوطنى ، لكننى اعتقدت ان فيه تقريبا للوقت وفيه حافزا لما يجب علينا جميعا أن نعمله لاستكمال استقلال بلادنا وعزتها ومجدها لتتبوأ مكانها وسط هذا العالم الذى يجب أن يكون لنا فيه مركز ممتاز بالنظر لمركزنا على خريطة العالم .

ان من واجبنا ، بل واجبنا الأول ، أن نتحمل كل التضحيات لذلك ، وها نحن نرى البلاد التى لا تستكمل دفاعها تضيع بين يوم وليلة بل وتكتسح فى ليلة ، واذا ما لاحظنا أن أهل هذه البلاد من أرقى الشعوب مدنية قدرنا مبلغ ما أصابهم فى عزتهم وكرامتهم بهذه المحنة وفهمنا ما تحملوه بسبب ضعفهم ونقص استعدادهم .

إذن يجب أن نبذل وأن نتحمل لكى نعيش سعداء فى عزة وكرامة كما نرجو ويرجو كل وطنى أمين

لهذا عجبت كثيرا لقوم قالوا لم نتحمل مصاريف هذا الدفاع ، لم لا تقوم انجلترا لتحمل جانبا من هذه المصاريف .

قول قد يرتضيه الضعيف الذى يريد أن يعيش عالة على غيره وتعيش أمته بلا كرامة . لأننا نرضى بأن نجمع أبناءنا ونحشدهم فى سبيل الدفاع ولا نرضى أن نصرف شيئا من المال ، كاننا بذلك نريد أن نقدم أبناءنا اجراء للدفاع يفقدون المثل الأعلى بالرغبة فى أن تعيش بلادهم حرة لنفسها وبنفسها

اذن يجب علينا أن نقبل التضحيات المالية التى تطلب منا عن رضى واطمئنان لأننا نقيم بذلك الدليل على أننا نستحق هذا الاستقلال الذى يجب أن نعمل له جميعا .

* * *

اننا مقبلون على صعاب فيجب أن نكون على استعداد لمقاومتها . وبذل كل نفيس للوصول الى حقنا فى الحياة — ألا هو الاستقلال التام والحرية الشاملة . . .

* * *

الأمة التى تريد الحياة ، لا ترفض الدفاع عن حدودها . والشعب الذى يستولى عليه الضعف لا يستحق أن يجارى الشعوب الراقية فى مضمار التقدم والرقى . . .

احمد ماهر

صداقة

من خطاب للشهيد العظيم فى المأدبة التى
أقامها لتكريم شيوخ ونواب الأسكندرية
والبحيرة فى ٥ أغسطس سنة ١٩٤٠

لقد اقترب، يوم ذكرى سعد وهى ذكرى عزيزة علينا، كريمة على البلاد، وقد صادف حلولها هذا العام بعض الاعتبارات التى ترتبت على الظروف الحاضرة من تقييد الاضاءة، غير أن مثل هذا الاعتبار لا يمنع الاحتفال بالذكرى ولو فى داخل الدور وفاء لزعيم البلاد. وانى لا أرى مطلقا تعارضا بين الاحتفال بهذه الذكرى والقيود المفروضة على الاضاءة.

* * *

ولا شك انكم جميعا تقدرون الظروف العالمية الحاضرة وموقف مصر ازاءها، ولا شك انكم جميعا تدركون أن مصلحة مصر العليا تقضى بأن يكون التفاهم سائدا بيننا جميعا والاتفاق رائدنا. اننا عندما نبحث عن مصلحة مصر وكرامتها ورجولتها ووطنيتها واقتصادها وماليتها نجد ذلك كله مكفولا بالاتفاق والتفاهم مع الحليفة.

* * *

ان مصلحتنا تامة فى جانب انجلترا ولا فائدة لنا مطلقا من انتصار الفريق الآخر. ومعنى انتصار هذا الفريق هو مزاحمتنا فى الأرزاق والمهن حتى الصغيرة منها.

ان مصلحتنا فى انتصار انجلترا ظاهرة واضحة وكل ما يطلبه الانجليز منا هو أن يشعروا بأنهم يعيشون معنا فى جو الصداقة والتفاهم لا جو العداء وعدم الثقة يريدون أن يروا من مصر الحليفة الأمينة خير ما يؤمله الصديق من صديقه

فى المعاهدة قيود ثقيـــلة فاذا كان النصر حليف الانجليز وكان شعورهم من ناحيتنا اننا وفيناهم حق الصديق فى ابان شدة كان هذا هو أكبر مساعد لنا على تخفيف هذه القيود .

* * *

وهناك مسألة من الأهمية بمكان وهى من المسائل الحيوية بالنسبة لهذه البلاد بصفة خاصة ألا وهى الحالة الاقتصادية فيها .

نحن فى حالة حرب محيطة بنا ومواصلاتنا مقطوعة فلا يمكن حل مشاكلنا الاقتصادية الا بالوسائل الودية التى تقوم على الصداقة والود الصحيح والتعاون الوثيق .

نحن فى حاجة الى المساعدة لمصلحة البلاد الاقتصادية وبالأخص فى مسألة القطن الذى هو أساس اقتصادنا القومى .

ان الفائدة الاقتصادية والسياسية والأخلاقية لن تتحقق الا اذا اعتمدنا على أنفسنا وعززنا روح الرجولة فى الشباب . أما أن يسود البلاد شعور بالضعف أو التخاذل فأمر لا يتفق وصالح الوطن واحترام شبابه

ان غاية ما يتمناه كل مصرى صميم أن يرى سياسة التوفيق بين حريات الناس ومصالحهم ، ومظاهر الرجولة والأحاء والصداقة هى السائدة .

* * *

وتحدث معاليه عن استعداد الخليفة لشراء القطن وأشار الى أن هذا الاستعداد دليل على حسن التفاهم بين الطرفين والرغبة فى التعاون . وهذه الدلالة الطيبة جديرة بأن تقابل منا بروح طيبة أيضا . أما عن ثمن الشراء فانى آمل — والرغبة فى مصلحة الطرفين هى رائد الجميع — أن يتم الاتفاق على الثمن المعقول الذى لا يضر أحد الطرفين

* * *

وختم معاليه كلمته ذاكرا أن مظاهر الروح النيابى فى مصر قد تجلت فى هذه الظروف العصيبة بقوتها وجلالها وان البرلمان قد قام بنصيبه الموفور فى خدمة

البلاد ، ثم توجه الى الله تعالى بالدعاء أن يحقق مصلحة الوطن بالخروج من هذه الأزمة السياسية والأقتصادية بسلام . والمهم هو أن نكون يدا واحدة ، فنحن جميعا أخوة فى سبيل مصلحة بلادنا ، وهذا هو ما يسعى اليه كل مصرى .

وأرجو أن تتحقق آمال البلاد ورفاهيتها فى ظل حضرة صاحب الجلالة الملك .

* * *

من حق جمهور الشعب ان يستنير وان يصرف مقدار الخطر الذى يحدق به وان يستعد لكل احتمال

* * *

لقد ناديت بوجوب الدفاع عن بلادنا وعن حريتنا لانها وعدة الرجال ولانه ليس من المقبول لدى ان يقف الشعب المصرى مكتوف اليدين ينظر الى الغير وهو يدفع عن وطنه غارات المعتدين دون ان يقوم بواجبه الأول فى الدفاع عن وطنه

احمد ماهر

سياسة التعاون

خطاب لفقيد البلاد فى حفلة التكريم التى أقامها فى ٧ أغسطس سنة ١٩٤٠ لنواب مصر العليا .

اخوانى المحترمين :

قصدت من اجتماعنا اليوم الى تبادل الرأى فى الحال السياسية الحاضرة ، وان دقة الموقف تقتضينا الاجتماع دائما وتبادل الآراء والأفكار .

لقد وصلنا بعد جهادنا الطويل فى سبيل حريتنا واستقلالنا الى الاتفاق على المعاهدة ، وهى وان كانت لم تحقق كل رغباتنا وآمالنا ، اذ أن فيها قيودا كثيرة ، فان مصدر هذه القيود فى الواقع راجع الى حذر الانجليز وتوسعهم فى الاحتياط لحماية مواصلاتهم الرئيسية .

لقد قلت لهم فى أثناء المحادثات ان هذه الشروط والقيود لاقيمة لها فى الواقع لأن مصلحة مصر متفقة مع مصلحتكم ، فانكم لا تقصدون من مصر الى نفع اقتصادى بل ان غرضكم الأكبر هو الطمأنينة على سلامة قناة السويس وهى الطريق الموصل الى الهند والمستعمرات البريطانية .

وهذا الغرض نفسه وهو تأمين القنال يعدفى طليعةالواجبات علينا. اذ كانت القناةمصرية تشق أرضا مصرية

كما قلت لهم لو لم يشترط فى المعاهدة أن تكون هناك محالفة بيننا وبينهم لسعت مصر اليها ، اذ ليست هناك دولة فى العالم تستطيع أن تعيش بمفردها ، خصوصا وأن مصر وهى لما تتح لها الظروف لاستكمال الدفاع عن نفسها يمكن أن تكون مطمعا لكثير من الدول المستعمرة لما فيها من خيرات وثروات زراعية وصناعية وطبيعية فضلا عن مركزها الجغرافى وقربها من أوروبا . فلا

بد لها اذن من أن تبحث عن أصدقاء وحلفاء ، فاذا ما استعرضت الدول القوية التى يسعى الانسان الى صداقتها لا تجد أقرب اليها من انجلترا . فهى فضلا عن قوتها لا مطمع لها — كما سبق لى القول — إلا الطمأنينة على قناة السويس

اننا نلاحظ ان الانجليز من أقل الجاليات الأجنبية عددا ، وقليلون منهم من يملكون بيوتا تجارية ، وأقل من ذلك كثيرا من يستوطنون البلاد ، خلاف غيرهم من الجاليات اذ نرى الايطاليين مثلا من أكبر الجاليات الأجنبية عددا وأكثرها مزاولة للمهن التجارية حتى الوضيعة منها . ثم انهم يجعلون من مصر موطنا دائما لهم ويزاحمون المصريين فى أرزاقهم وأقواتهم .

ولاشك ان السبب فى ذلك ظاهر وهو أن إيطاليا تضيق بسكانها وتدفعهم الى المهاجرة الى انحاء العالم سعيا وراء الرزق وعلى ما نعلمه من ضيق موارد الرزق فى ليبيا فانهم قد نزعوا الارزاق من الاهلين وارغموهم على ترك الاراضى الخصبة القليلة التى بايديهم والتوغل فى الصحراء حيث الموت جوعا والهلاك فاقة واحتياجا ، وقد حملت الحكومة الايطالية آلافا من العائلات الايطالية على المهاجرة الى ليبيا ، لاستثمار هذا الرزق الضئيل ، بعد ان نزعوه من أيدى اخواننا الطرابلسيين .

كذلك كان السعى وراء الرزق رائدهم فى غزو الحبشة وتشتيت اهليها فى الجبال الوعرة ونزع ما بأيديهم من املاك وأرزاق ، وذلك على قلة موارد الحبشة وضعف مصادر الارتزاق بها

فاذا كان هذا أمرهم فى مثل هذه البلاد الضئيلة الموارد ، فتصوروا كيف يكون الحال فى مصر ذات الموارد المستفيضة والثروات الكبرى والمركز القريب من بلادهم اذا كان لهم — لاسمح الله — شأن فيها

تتبينون من هذا ان مصلحتنا واضحة فى استدامة الصداقة والتعاون بيننا وبين الانجليز

لما تحرجت الاحوال العالمية سنة ١٩٣٨ وظهر شبح الحرب عملت وزارة حضرة صاحب المقام الرفيع محمد محمود باشا على تمكين الثقة بينها وبين انجلترا وقد نجحت فى ذلك نجاحا تاما ، ولم يكن مظهر هذا النجاح ماهنالك من

تعاون اكيد بين الحكومة وممثل الحليفة ، بل ان الشعب المصرى نفسه قد عرف واجبه ، وأدرك بثاقب بصيرته ماعليه من التبعات الكبرى نحو وطنه فشاعت الحماسة فى نفسه وكثرت مظاهر الوطنية الحقة وأخذ الشبان يتطوعون فرادى وجماعات للطيران ويقبلون فرحين على المدرسة الحربية وفروعها واستقبلت الجماهير القوات البريطانية فى مصر استقبال الحليف حليفه واشتدت واصر التعاون بين الجيشين المصرى والبريطانى وهكذا اقبلت البلاد كتلة واحدة على الواجب ولم يتخلف عنه احد من الناس

وأنه لمن الممكن بل من الواجب الحتم ان يستمر هذا الروح الطيب وان يجرى التعاون بين البلدين مجراه وأيسر الطريق الى ذلك هو ادراك الحقيقة الواقعة ، الا وهى ان مصلحة مصر نفسها بقطع النظر عن أن هناك معاهدة أم لا — تتمثل فى التعاون الحق مع انجلترا ، ولنا ان نذهب الى أبعد من ذلك فنقول انه لو لم يكن لانجلترا شأن فى مصر لكانت مصر أعظم ميدان تهاجم انجلترا فيه وذلك لموقعها من الامبرطورية البريطانية واحتوائها على أهم الطرق الرئيسية الموصله الى اجزائها الا وهو قنال السويس .

ولاشك اننا لم نكن لنستطيع الوقوف امام عدوان دولة كبرى ذات قوى ميكانيكية هائلة واستعداد حربى كبير فمن اجل هذا كنا فى حاجة الى مساعدة الانجليز والى الاخلاص فى التعاون معهم

لقد قيل ان لانجلترا مطالب من مصر ولكنى أميل الى اليقين بان مطالب انجلترا من مصر لم تكن فى وقت ماطمعا فى قوتها المادية بل فى قوتها الادبية ونفوذها المعنوى ، ولقد حدث فى بعض الاوقات ان ظن بعض الناس ان هناك مصالح متعارضة ولكن الواقع ان لاتعارض بين مصالح البلدين اذان مصلحتها تتحقق فى كسب القضية المشتركة التى تضلطلع انجلترا باعبائها .

وكان مما ساعد على وجود بعض الشبهات ان فرنسا قد انهارت انهيارا سريعا وان الدعاية الالمانية قد استغلت هذا الانهيار وكانت تأمل ان لايؤثر فى الامم الصغيرة فحسب بل فى انجلترا نفسها ثم كانت ان اعلنت الحكومة المصرية ان سياستها تتمثل فى تجنيبها مصر شرور الحرب فاجتمع من كل هذا مجال للتأول والتخريج

ولكنى لاأرى محلا لذلك واعتقد دائما ان المصلحة فى القضاء على الشبهات وانارة الموقف ومصارحة الرأى العام بالحقيقة والعمل دائما على ان يكون التعاون الصحيح هو الاساس فى العمل بيننا وبين الانجليز

ان مصير مصر مرتبط ارتباطا شديدا بنتيجة الحرب القائمة ومن اجل هذا حرصت على تبادل الرأى بينى وبين اخوانى من النواب والشيوخ المحترمين ولست القى بالا الى مازعمته إحدى الصحف الحزبية من انه ليس لى الحق وأنا رئيس النواب أن أدلى برأيى فى مسائل البلد الكبرى فان هذا القول لا محل له اذ أن لكل مصرى الحق فى ان يدعو ألى الصالح العام فى كل زمان ومكان

ولسنا اليوم امام مسألة تختلف فيها الاراء أو تتصاول فيها الاحزاب وأنا نحن امام قضية كبرى لا خلاف عليها ولا تباين للرأى فيها من أجل ذلك وجب علينا أن ننشط فى الدعوة لها ونعمل بكل قوانا على اشاعتها وتأييدها

كذلك يسقط ما قالته هذه الصحيفة من الزعم بخلط المادة بالسياسة اذ أن المصالح الاقتصادية ذات أثر كبير جدا فى الموقف الحاضر ولا يمكن اغفالها عند التعرض للسياسة فان الحرب ليست حرب، جيوش فحسب بل هى حرب معنويات واقتصاديات كذلك . وللدعاية حظ كبير فى ترجيح كفة المتحاربين وللاقتصاد تأثير كبير فى الجماهير ولما كانت مصر تستضيف عددا كبيرا من الأجانب وكان من الممكن أن يكون من بينهم من يقوم بالدعاية السيئة والعمل على اشاعة الضعف والتخاذل بين الجماهير وخلق عوامل التفرقة بيننا وبين حليفتنا فانه يجب علينا أن نضع كل ذلك نصب أعيننا عند الكلام على المسائل السياسية .

من أجل هذا حرصت وسأحرص دائما عند الكلام فى السياسة على تناول العوامل الاقتصادية وشرح صلات التعاون بين مصر وحليفتها فيها

وانى لعلى يقين اننا متى مضينا فى سياسة التعاون وعملنا على تنمية روح الصداقة والتفاهم بيننا وبين حليفتنا فاننا نصل من وراء ذلك الى ما يطمح اليه كل مصرى وما يرجوه كل محب لبلاده . وفقنا الله جميعا لما فيه الخير والسداد

(تصفيق حاد)

قضية الحرية

(فى ١٢ أغسطس سنة ١٩٤٠ أقام السيد عبد الهادى القصبى بك حفلة تكريم للرئيس ونواب الغربية والمنوفية فى عزبته بضواحى طنطا وقد ألقى الرئيس خطابا جليلا وهو الذى يطالعه القارىء)

أشكر صديقى النائب المحترم السيد عبد الهادى القصبى على تهيئته هذه الفرصة لاجتماع أعضاء البرلمان ، كما أشكر حضرات المدعوين على تلبيتهم الدعوة التى أتاحت لى فرصة مبادلتهم الرأى فى الموقف الحاضر وما يقتضيه من جمع الكلمة والاتحاد وتوجيه الجهود الى خدمة البلاد خدمة صادقة والعمل على تأييد قضية الديموقراطية والحرية ونصرة الحليفة فى كفاحها عن هذه القضية التى تعتبر فى الواقع قضية الشعوب الحرة جميعا

* * *

ان البلاد قد تكبدت ما تكبدته مرحلة ستين عاما حتى انتهت الى عقد المعاهدة بينها وبين بريطانيا ، تلك المعاهدة التى تعتبر خطوة موفقة فى سبيل تحقيق كامل أمانى البلاد .

وقد ارتاحت البلاد واطمأنت الى تلك النتيجة آملة أن توفق الى رفع مافيها من قيود إذا ما توثقت عرى المودة والتعاون بين الحليفتين على مر الأيام .

وقد كانت الحرب الحاضرة ، ولاتزال فرصة سانحة لابراز مايكنه المصريون من الرغبة الصادقة فى الوفاء بالعهد والمبادرة الى نصرة الدولة الحليفة بقدر ما تسع طاقتهم .

فعلينا اذن أن نبادر الى العمل على ما يقوى أواصر الصلة بيننا وبين حلفائنا وأن نكون فى هذا مقتنعين بأننا انما نعمل بوحى من مصلحة بلادنا التى دلت الحوادث على اتفاقها مع مصلحة حلفائها تماما .

ولعلكم فى غنى عن أن أوضح ما تتعرض له البلاد من المخاطر فيما لو قدر للبلاد الدكتاتورية أن تنتصر فى هذه الحرب ، فلن تقنع هذه البلاد بالاعتداء على حرياتنا السياسية وكياننا الاجتماعى ، بل سوف يتعدى اعتداؤها الى أرزاق الناس وأعمالهم ووسائل عيشهم .

وقد جربنا ، فوجدنا ان الانجليز كانوا يقنعون بمحاولة السيطرة السياسية دون أن يشاركونا أرزاقنا ، أو يسلبون أموالنا ، أما البلاد الأخرى فقد عملت جالياتها على التغلغل فى حياتنا ومشاركتنا فى وسائل العيش .

ولا شك أن تجربة تلك الأيام لتدل دلالة قاطعة على مايخبئه القدر لبلادنا فيما لو انتصرت البلاد الدكتاتورية ،

ولست أريد أن أنوه بما دلت عليه صفقة القطن الأخيرة من الروح الطيبة التى استجاب لها حلفاؤنا الى مطلبنا ، فقد أدركوا أن من مصلحتنا ، كما أنه من مصلحتهم أن يبادروا الى دفع كارثة بوار القطن ، وأن يأخذوا على عواتقهم شراءه جملة واحدة ، الأمر الذى يجب أن تنظر فيه البلاد بعين الشكر والتقدير .

لقد تبادر خطأ الى بعض الاذهان ان ثمة تعارض بين بعض المصالح المصرية والمصالح البريطانية ، وأؤكد لكم ان ليس ثمة تعارض على الاطلاق ، وان كل ما يبدو فى ظاهره كذلك يمكن أن يذلل بالحكمة والمودة وروح الثقة التامة بين الحليفتين وان يحل التعاون فى كل ما يعرض من هذه الشئون محل المناقشة .

ان البلاد تمر الآن فى دور دقيق من أدوار تاريخها وهى فى حاجة الى توجيه جهودها وعواطفها توجيها حكيما حازما متفقا مع مصلحتها ومع ماتقتضيه حدود المعاهدة من تأييد الحليف ومساعدته بقدر الطاقة ليتحقق له الانتصار

وانى واثق انه بهذه الروح يمكن ان تكسب مصر فى حاضرها ، وان تكسب فى مستقبلها ، وان تحقق ماتصبو الى تحقيقه من الآمال .

الدكتاتورية عدو للحريات

(خطاب سياسى ألقاه الفقيد فى نادى محمد على فى ١٣ أغسطس سنة ١٩٤٠ فى حفلة التكريم التى أقامها الأستاذ ممدوح رياض بك للرئيس ولشيوخ ونواب القاهرة والجيزة وبنى سويف والفيوم) .

حضرات السادة :

يسرنى أن أجتمع اليوم بحضراتكم لأتابع المشاورة والمحادثة التى بدأتها مع بعض اخوانى للاتفاق على ما يجب علينا أن نعمله بالنسبة للظروف المحيطة بالبلاد

ويسرنى أن يجتمع معنا اليوم بعض حضرات أئمة الرأى الذين يضطلعون فى هذه الظروف بواجب ارشاد الرأى العام وتنوير الأذهان.

عندما قامت أزمة سنة ١٩٣٨ المعروفة بأزمة ميونخ فكر المصريون حكومة وشعبا فيما يجب أن يكون عليه حال مصر اذا ما نشبت الحرب ولقد قامت حكومة ذلك العهد وعلى رأسها حضرة صاحب المقام الرفيع محمد محمود باشا شفاه الله ، بواجبها واتخذت التدابير التى قدرت ضرورتها وكانت على اتفاق تام فى جميع خطواتها مع الحليفة البريطانية .

انتهت تلك الأزمة بسلام الى أن كانت أزمة سنة ١٩٣٩ التى انتهت باعلان الحرب . ولقد اختلفت الآراء على أثر ذلك فيما ينبغى أن تكون عليه خطة مصر . هل تعلن الحرب على ألمانيا أو تبقى على الحياد ، ولكن نظرا لانقطاع الاتصال المباشر بين مصر وألمانيا وصعوبة التقائهما فى ميدان واحد وضآلة العلاقات بين البلدين ، وجد أنه من الأصوب ألا تزج البلاد نفسها فى حرب لا نفع ولا ضرر عليها منها ولم يكن بيننا كبير خلاف على هذا الرأى ، وان كان رأى الذين

طلبوا اعلان الحرب ان المقصود انما هو مظاهر التأييد الأدبى الذى لا شك فى حسن أثره فى البلاد الشرقية عموما والاسلامية على الخصوص .

غير أن الحال لم تستمر على ذلك طويلا ، فقد دخلت ايطاليا الحرب ، وانهارت المقاومة الفرنسية وانفردت انجلترا بتحمل أعباء الحرب جميعا ، ولقد كان لهذه الأحداث وما اقترنت به من التفوق العسكرى الألمانى فى ذلك الوقت من الأثر ما أحدث شيئا من الذعر فى أنحاء العالم وتشكك الكثيرون فى نتائج الحرب وبدأ الناس يطلقون لخيالهم العنان ، وظهرت فى انحاء مختلفة من العالم رغبة ظاهرة فى تجنب ويلات الحرب واقتحام اوارها .

لكن الامر بالنسبة لمصر كان ذا أثر مباشر متصل بمصيرها وكيانها ، إذ انتقلت الحرب الى حدودها وبدأت هجمات ايطاليا تهددها من نواح مختلفة

بحثت حكومة ذلك العهد الامر وقلبته على وجوهه المختلفة وانتهت الى رأى أقرها عليه البرلمان كما اقرتها البلاد عليه ، واشترطت لاشتراك مصر فى الحرب شرائط معينة محددة صرح بها حضرة صاحب المقام الرفيع على باشا ماهر فى بيان اذاعه فى انحاء البلاد

ولقد ذهب الناس فى تفسير ذلك القرار مذاهب شتى ، ومنهم من حمله على محمل الرغبة فى تجنب الاشتراك فى الحرب مهما بلغ الامر ؟ واحدث اختلاف الاراء هذا والذهاب فى تفسير الموقف مذاهب شتى تبلبلا ، بل تناكصا خشيب ان يكون له اثر فى معنويات البلاد فى الظروف الحاضرة كما خشيت ان ينزع الثقة التى يجب ان تسود علاقات الحليفتين وان ترتسم فى الاذهان خطأ ، فكرة تعارض مصالحهما

لذلك رغبت ان اجتمع بحضرات أولى الرأى وشيوخ الامة ونوابها لنتبادل المشورة فى دفع هذا الخطر عن عقيدة البلاد واكرر القول انه كيفما تقلبنا الامر على وجوهه فلن نجد الا مصالح متفقة بين الحليفتين بحيث لا يقوم تعارض أو تنافر بين ما تتجه اليه مصالح انجلترا وما تتجه اليه مصلحة مصر

وجملة الامر انه اذا لم تنتصر انجلترا فى هذه الحرب — وهذا ما أستبعده —

فيصيب مصر من وراء ذلك ضرر كبير ، بل قد يتجاوز مايصيب مصر من ذلك يصيب انجلترا نفسها . فالبلاد الدكتاتورية ترنو ببصرها إلى مصر وتتوق الى اليوم الذى تظفر فيه بها لتبتلع خيراتها ونعمها وتفتك بأهلها وتحيلهم عبيدا أذلاء . وإذا أردتم مثلا على ما يمكن ان يكون عليه حال البلاد لو انهزمت انجلترا - لاقدر الله - فانظروا الى ماحدث فى طرابلس والحبشة فقد استحلت ايطاليا اموال الناس واقصتهم عن املاكهم واحتكرت مرافق البلاد وخيراتها المعدنية والطبيعة واجلت أهلها محل الخدم والعبيد نكلت بكل من حدثته نفسه ان يرفع عقيرته بالشكوى من هذه الحال ، وانظروا الى ماحل بألبانيا — وقد كانت حليفة لايطاليا — فلم يعصمها ذلك التحالف من الاعتداء الجائر الذى لايقوم على سبب او أساس فاذا كان الحال كذلك بالنسبة لتلك البلاد على جدبها وضالة مواردها . فكيف يكون الحال اذا ظفرت الدول الدكتاتورية بمصر المشهورة بوفرة خيراتها واعتدال هوائها وتوسط مركزها بين الاقطار ؟ أظنكم توافقونى على ان المصير اذا حل بنا ذلك سيكون مصيراً مظلما نسأل الله ان يتمينا شره .

من هذا يتبين ان لنا مصلحة كبرى فى ان تنصر انجلترا ، وانى اقول ذلك بوحى من مصلحة مصرية خاصة بصرف النظر عما هنالك من النظريات الكثيرة التى تحكم كلها بعدالة القضية التى تدافع انجلترا عنها

فاذا كان الامر كذلك ، يجب على أهل الفكر ان يتعاونوا ويتكاتفوا على اعداد الرأى وتوجيهه لكى تتمكن البلاد من القيام بدورها الذى يحتمه عليها واجب المصلحة ، فضلا عن واجب الشرف والوفاء ، يجب ان تسود البلاد روح حقيقة وطيدة من المحبة والصداقة والمعاونة للحليفة . لكى تشعر من جانبها شعورا صادقا بان وراء صفوف جيشها امة صديقة يمكن الاعتماد عليها فى المعاونة بقدر ماتؤهلها له طاقتها

وانى اصرح لحضراتكم بان واجب البلاد اذا ماتهددكيانها بالخطر ان تنفر الى الدفاع عن نفسها بكل مانملك من قوة وانه من الواجب ان يكون ذلك

معروفا مقرراً متفقا عليه بين الجميع ، ويسرنى ان أكاشف حضراتكم بانني لمست فى الاجتماعات التى حضرتها فى الاسكندرية وطنطا وفى غيرها روحا طيبة تبشر بأحسن الامال ، فقد كان من تحدثت اليهم متوثبين للقيام بواجبهم اذا ماتعرضت سلامة بلادهم للخطر

يجب ان تسود هذه الروح الامة جميعا وان تتذرع بالشجاعة وتعد عدتها لمقابلة كل من تحدثه نفسه بالعدوان عليها بما يجب على كل شعب حر أبى ان يقوم به مهما تعرض للاخطار ، اما القول بغير هذا فهو جبن وتناكص سوف لايعودان على البلاد الا بالضرر والانحلال

ان حلفاءنا لايطلبون منا اكثر مما فى طاقتنا ولايكلفوننا الا مانستطيع القيام به ، وكل مايرجونه منا هوان نقيم على الوفاء والصداقة لهم وان نشترك بقلوبنا فى تأييدهم وان نشعرهم باننا اصدقاء أوفياء ولكن يجب ان يكون مفهوما الى جانب ذلك انه اذا تعرضت بلادنا للخطر نهضنا للدفاع عنها بكل مانملك من نفس ونفيس

حضرات السادة

انى موقن من انتصار قضية الديمقراطية ، وانه كلما طال الزمن وامتد مكنت انجلترا لنفسها من الاهبة والاستعداد فالزمن فى جانبها ولها من مواردها التى لاتنضب وثرائها الوافر وسيادة اسطولها على البحار مايمكنها ان شاء الله من ان تدفع عن العالم شر كارثة تهدد حريات الافراد وحقوقهم وكيان الامم والجماعات

وعلينا الان دع الوقت يمر دون ان نمكن لانفسنا من الاستعداد والاهبة وان نعد العدة لدفع غائلة المعتدين اذا ما تعرضت سلامتنا لخطر ما.

لاشك اننا جميعا نود ان نتفادى اهوال الحرب ونتمنى ألا تزج بنا الايام فيها زجا ولكننا كرجال احرار لايمكن ان نسلم رقابنا وان نشهد مصرع بلادنا دون ان ننفر الى الدفاع عنها والذود عن استقلالها وكيانها والا كنا غير اهل لهذا الاستقلال

كرامتنا الوطنيـــة

(كلمة وطنية عالية ودرس حكيم فى الوطنية الصادقة للشهيد الكريم فى ١٩ سبتمبر سنة ١٩٤٠ بسراى الشناوى بك بالمنصورة)

« خير لكل وطنى محب لبلاده أن يموت شريفا رافعا رأسه الى السماء ، من أن يعيش ذليلا راكعا أمام الأعداء »

أحمد ماهر

إخوانى حضرات السادة :

أبدأ كلمتى بشكر حضرة زكى بك الشناوى على هذه الفرصة الثمينة التى هيأها لأجتمع بحضراتكم ولأتحدث فى الشؤون الحاضرة وقد كنت اعتدت فى مثل هذه الاجتماعات أن أناقش الآراء المختلفة قبل الوصول الى ما يجب على مصر والمصريين . ولكن الحوادث تقدمت وسارت بخطى سريعة فأصبح من الواجب أن نقلل من الكلام وأن نكثر من العمل الصالح لبلادنا .

كنا نبحث فيما يجب على مصر أن تعمله وفيما اذا كان من الواجب علينا أن نعمل على وقاية البلاد غوائل الحرب وشدائدها بأى ثمن ، أو أن نعد العدة لمقاومة كل اعتداء من أى ناحية كانت .

ان عدو مصر والمصريين انما هو من يحاول الاعتداء على أراضيها . يحاول الاعتداء على ابنائها ، على كرامتها ، على كيانها ووجودها . كنا نبحث فى هذا ، ولكن العدو قطع علينا ميدان القول وهجم على البلاد وأغار عليها وأصبحت الشروط كلها متوافرة . أغار على البلاد وتوغل فى أراضيها معتديا على أبنائها . محاولا أن يتسلط علينا ، وأن يقضى على وجودنا واستقلالنا ، فأرى واجبا على كل فرد فى

هذه الحالة ان يعمل بل أقول أن ينفر — كما قال دولة صدقى باشا — للدفاع عن بلاده ، بغض النظر عما تملكه من قوة . ومن أسلحة . ومن ذخائر .

ليس المجال مجال البحث ، فيما اذا كان من المستطاع أن نقوم بواجب الدفاع عن البلاد أو اذا كان فى متناول أيدينا العدة الكافية فان من حسن حظنا ان الله قيض لنا حليفة قوية ، لها من حسن الاستعداد ومن أسطول قوى ومن طائرات وطيارين كانوا محل اعجاب العالم كله فى اقدامهم وشجاعتهم وقوة مراسهم حتى وفقوا للقضاء على محاولات خصومهم وفى بلادنا أمكنهم أن يقفوا سدا حائلا دون غارات العدو علينا ودون اعتداءاته المتكررة . ويجب أن لا يفت فى عضدنا أن العدو قد توغل فى حدود بلادنا نحو مائة كيلومتر حتى وصل الى سيدى برانى وذلك لأن هذه المواقع ليست حربية ، وانما تركت لاعتبارات عسكرية واستراتيجية حتى يصعب عليه حمايتها و يستحيل عليه أن يمون نفسه من ماء ووقود لتسيير مركباته الحربية التى يريد أن يغير بها علينا ، هذا هو الواقع لأن الخط المعد للدفاع لم يصل العدو اليه بعد ولن يصل اليه ان شاء الله.

ورب قائل يقول . ولم نجازف بأنفسنا وهذه حليفتنا تقوم بواجب الدفاع عنا ، ويمكننا أن نعفى أنفسنا من عبء ذلك ، وأن نبقى فى دورنا قانعين بالنظر والمشاهدة . ولكن هل يليق هذا بأمة كريمة لها ماضيها المجيد ، هل يليق أن نبقى متفرجين على مآل البت فى مصيرنا والحكم على وجودنا

هل يقبل مصرى مهما كانت قوته أن يبقى متفرجا على هذا النضال الذى تؤدى نتيجته فى النهاية الى البت فى مصير البلاد ومآلها

انى أربأ بكل مصرى أن يكون هذا شأنه . وانى أعتقد أن مصر ستقوم رجلا واحد للدفاع عن كيانها واستقلالها ولصد العدو عن حدودها ولاثبات وجودها . أمة حية مستقلة ذات سيادة ومهما يكن استعدادنا ضعيفا فيجب علينا أن نبذل من ضعفنا قوة ، وان نتكاتف مع حليفتنا . وأن نعمل ما نستطيع فى سبيل صيانة بلادنا . وان الحليفة القوية التى فى استطاعتها أن تساعدنا بالسلاح

والعتاد . لن تترددفى ذلك اذا ماوجدت منا اقبالاورغبة صادقة فى الدفاع عن بلادنا

من منا أيها الاخوان يرضى لكرامته ووطنيته أن يقف مع أحد أبناء هذه الأمة الحليفة ويواجهه فينظر اليه كأنه ينظر الى المدافع عنه . من منا يرضى أن يضع نفسه هذا الوضع الذليل. من منا يرضى لأمته أن تحميها أمة أخرى حماية كاملة شاملة دون أن تشترك بلاده صاحبة الشأن الأول فى ذلك .

اخوانى : جاهدنا طويلا فى أثناء المفاوضات لنقرر هـذا الحق — حق الدفاع عن بلادنا بأنفسنا — وكان هـذا الأمر محلا لبحث كبير ، وهو أن حق الدفاع واجب على مصر ، على أن تجد المعونة عند حليفتها مكملة لدفاعنا عن بلادنا

يقول بعض ضعاف النفوس علام نتحرك ولأى سبب نهتم . ما دام لنا حليفة ستتولى عنا هذا . فأكدوا أننا لوقبلنا هذا الوضع سندفع ثمنه غاليا . لأننا نكون قبلنا حماية فعلية . وما الذى يمكن أن نقوله لحلفائنا اذا انتهت الحرب. أنقول لهم أتركونا ندبر شئوننا . أليس من المعقول أن يقولوا لنا . لن تستطيعوا أن تقوموا بواجب الدفاع عن بلادكم وقد أثبتت التجارب ذلك . فكيف نتركم لتتعرضوا لهجوم آخر . اننا باقون لمصلحتكم والمحافظة عليكم . ألا ترون بعد هذا أننا ندفن مستقبلنا بأيدينا .

انه لايجدر بمصرى تجرى فى عروقه دماء الفراعنة والعرب الأمجاد أن يقبل هذا الوضع المزرى. وأرجو أن نعمل حتى نمكن أبناءنا أن يتحدثوا عنا وهم رافعو الرأس فيذكروا لآبائهم بالعزة والفخر انهم أدوا واجبهم نحو ماضيهم ومستقبلهم وعملوا كل مافى استطاعتهم فان هزموا فانهم رجال وان انتصروا فقد ساعدهم الله على تحقيق استقلالهم ودرء الخطر عن بلادهم .

هذا ماأرجو أن يفكر فيه كل واحد منا وأن يتدبر الأمر فيه وأن يحسب حسابه . وأختم كلمتى بأن أذكر لكم ما حدث لى الليلة البارحة حينما كنت عائدا بالطائرة من الاسكندرية الى القاهرة وقد طلب الى قائد الطائرة أن أكتب له كلمة تذكارية فكتبت العبارة الآتية :

« خير لكل وطنى محب لبلاده أن يموت شريفا رافعا رأسه الى السماء من أن يعيش ذليلا راكعا أمام الأعداء »

نداء الوطن

(الخطاب الوطنى التاريخى لمعالى الدكتور
احمد ماهر باشا فى ٧ اكتوبر سنة ١٩٤٠)

أحييكم أحسن تحية وأهنئكم بشهر الصوم المبارك ، أسأل الله أن يعيده على البلاد بالخير والبركات وان ينفعنا بموعظته .

أما بعد فالشباب هو عدة الأمم عندما تشتد بها الخطوب وتحيط بها الشدائد وهو دائما ، السباق الى النجدة والتضحية . الضارب أحسن الأمثال فى كل عمل جليل كريم لخدمة الوطن .

لذلك يلذ لى كثيرا أن أتحدث اليكم معشر الشباب فى الموقف الخطير المحيط ببلادنا وأن أشرح لكم سياستنا والأسباب التى حركتنا وأن أوضح لكم الأغراض التى نرمى اليها ولن يفوتنى أن أرد فى سياق حديثى لكم على ما حاول البعض أن يشوه به حركتنا أو يضعف من قوتها . اسمحوا لى أن أرجع قليلا الى الماضى لنتذكر ولنتعظ فقد تقدمت البلاد وتقدم بنوها فيما مضى بتضحيات جسام ومجهودات عظام فى سبيل حرياتها واستقلالها . ومن العار أن ندنس أرض هذا الوطن التى تخضبت بدماء الشهداء اذا لم نقم بنصيبنا فى الدفاع عنه ودفع غوائل العدوان عن حرماته .

(تصفيق حاد)

بدأنا الحركة الوطنية الأخيرة على أثر انتهاء الحرب الكبرى وقد كانت انجلترا فى نشوة الظفر فلم نعبأ بقوتها وأمكن بقوتنا المعنوية التى كانت تدفعنا الى الجهاد أن نقاوم ونناضل ونتغلب فى النهاية وقد كنا نقدم التضحيات الخالصة لوجه الله والوطن فأمكننا بذلك التغلب على الصعوبات حتى وصلنا الى حل وان لم يحقق كامل ما كنا نرجوه فقد اعتبرناه أساساً صالحاً يمكننا من بناء استقلالنا

واستعادة حريتنا وانى وقد كنت أحد المفاوضين لم أقبل المعاهدة إلا على هذا الوضع وقلت ذلك فى مجلس النواب عند ما عرضت البحث والمناقشة . قلت أن بها عيوبا وشرائط وضعت كلها ضد مصر ، ولكننا لمصلحة مصر قبلناها على أمل أن نواصل العمل حتى نتمم مايمكن أن يكون فيها من نقص ونرفع مايمكن أن يكون فيها من قيود .

قلت فى ذلك الوقت ان علينا واجبين : الواجب الأول أن نقيم فى بلادنا أسس الاصلاح والتقدم وأن ننشر العدل والمساواة وان ينال كل حقه وتظلل العدالة سائر المصريين ، فيصيب منها كل مصرى نصيبا بحيث يشعر المصريون ان الاستقلال قد حقق لهم الخير والمصلحة وليعلم الجاهل قبل المتعلم أنها وفرت له سبيل الحياة الكريمة الحرة وان ثمن التضحيات التى بذلتها الأمة وفيت لها خيرات تفيض على الجميع

والواجب الثانى هو أن نزيل المخاوف التى ساورت حلفاءنا التى حملتهم على اشتراط بعض الشروط والقيود التى فى المعـــاهدة فاذا زالت تلك المخاوف . وتوطدت الثقة بين الحليفتين أمكن أن ترتفع تلك القيود وان تحل الثقة محل الاحتياط والتحرز .

وفى الحق انى كنت أرجو أن لا تشتمل المعاهدة المحالفة . كنت أرجو أن تكون المحالفة اجراء مستقلا عليـــه مصلحة الحليفتين . وليست كثمن ندفعه لاستقلالنا ، كنت أرجو أن تحمل الحليفتين الحاجة على عقد هذه المحالفة بدافع من مصلحتهما المشتركة وحاجة كل منهما الى الاستعانة بحليفته لصيانة مصالحه المختلفة . وعندئذ كانت تبدو الامور أوضح مما هى الآن . فبدلا من أن يشعر بعض المصريين بأن شرائط المحالفة انما هى تكاليف نؤديهـــا كارهين ، كانوا يشعرون بأن الحاجة والمصلحة هى التى تحملنا على الوفاء بتلك العهود . كنا نوفر على أنفسنا الخلط الذى وقع فيه البعض بين شرائط المعاهدة وحسن القيام على تنفيذها وبين واجب المصريين فى الدفاع عن بلادهم .

لقد ذهب البعض فى تصوير الموقف الحاضر بأنه ما دمنا موقنين بشرائط

المعاهدة قائمين على معاونة الحليفة فى حدود شروطها فلا يجب أن نطالب فى الوقت الحاضر بأكثر من ذلك بحال من الاحوال والحقيقة أن نظريتنا فى الدفاع عن بلادنا واستنهاض الهمم لذلك واستنفار المصريين لسرعة الاضطلاع بهذا العبء انما تقوم على أساس من رعاية المصلحة المصرية الخالصة ودفع الغوائل عن بلادنا . فاذا كنا حريصين على الدوام على تجنيب بلادنا ويلات الحرب فنحن أشد حرصا على أن لا يتقنن هذا الشعور حائلا دون قيامنا بواجبنا فى الدفاع عن بلادنا اذا تعرض كيانها للخطر .

فسواء كانت نصوص المعاهدة قائمة أو لم تكن قائمة فنحن أصحاب الواجب الاول فى الدفاع عن مصر اذا اعتدى عليها معتد . أما القول بغير ذلك فهو قلب للاوضاع لا يرضاه عقلنا ولا يرضاه شرفنا ومن المخجل يا أبنائى ان نشهد فى بلادنا صفوفا من الناس من مختلف الاجناس تهرع الى حدودنا لتدفع غوائل العدوان عنا ولا يكون نصيبنا فى ذلك الا نصيب المتفرجين . هذا مخجل حقا إذ الواجب أن نكون من أول المدافعين عن بلادنا وليأت بعد ذلك من يريد لمساعدتنا . .

ان واجب الدفاع من أقدس الواجبات ومما لا يصح أن يختلف فيه اثنان فاذا رأيتم قوما من المصريين يعتور رأيهم فى هذا الصدد شذوذ أو انحراف فاقطعوا انه حب السلامة الذى دفعهم الى ذلك وان صراعا عنيفا بين عواطفهم التى تملى عليهم واجب الدفاع عن بلادهم وبين شجاعتهم التى تخونهم وتبعدهم عن هذا الواجب .

ويطيب لى أن أرجع قليلا الى الماضى لأدلكم على رأى بعض الزملاء فيما نحن بصدده بالأمس ورأيهم اليوم . فقد تحدث معالى محمد حسين هيكل باشا الى جريدة المصور فى العدد ٨٠٢ الصادر فى ٢٣ فبراير سنة ١٩٤٠ ولم تكن ايطاليا قد دخلت الحرب بعد .

قال معاليه :

« ومامن ريب فى أن مستقبل مصر اذا ما امتدت الحرب الى الشرق متوقف

سياسيا واقتصاديا وحربيا على موقف ايطاليا أولا وأخيرا ولكن مهما يكن هذا الموقف ، فان واجبا علينا نحن المصريين أن نحسب حساب المستقبل كيفما كان فنستعد لجميع الطوارىء حتى اذا ما غامرت روسيا أو ألمانيا أو غيرهما بالاعتداء على احدى البلاد الشرقية كان اشتراكنا الفعلى فى الدفاع عنه ولو خارج حدودنا واجبا يحتمه حرصنا على سلامة بلادنا من ناحية وعلى انتصار الحلفاء من ناحية أخرى ، لأن كسب الحرب فى نظرنا غاية جوهرية كما هو فى نظر الحلفاء على السواء » .

ترون حضراتكم من هذا أن معالى هيكل باشا لم يكن يكتفى باشتراك مصر فى الحرب داخل حدودها اذا هوجمت هى ، بل ذهب معاليه بعيدا فأوجب اشتراكها ضد الروسيا أو ألمانيا فيما لو هوجمت بلاد أخرى كتركيا أو العراق وهذا كما ترون سخاء مابعده سخاء ، ونجدة مابعدها نجدة ، غير أن الامر لم يطل حتى دخلت ايطاليا الحرب وحشدت جيوشها على حدودنا وأعدت المعدات والدبابات ثم توغلت فى بلادنا ، فعاد المصور الى معالى هيكل باشا يتحدث اليه فى ٢٧ سبتمبر (عدد ٨٣٣) فكان رأى معاليه متمثلا فى قوله :

« رأيى ورأى الاحرار الدستوريين هو رأى الوزارة ورأى الوزارة هو ما أذاعه دولة رئيسها حسن صبرى باشا من ان الحالة الحربية الحاضرة لاتدعو الى اعلان الحرب وانه يجب التأنى والتريث ما دام الطليان لم يهاجموا خطوطنا الدفاعية ولم يتوغلوا فى الاراضى المصرية ولم يعتدوا على أهداف مصر العسكرية

أنظروا معى يا اخوانى كيف تبدل رأى معالى هيكل باشا من النجدة والنفرة الى التريث والتدبر والتمهل وبعد أن كان يلتهب حماسة للدفاع لاعن مصر وحدها بل عن الشرق برمته راح يلتمس المعاذير للتريث والتأنى بل والنكول عن واجب الدفاع عن مصر نفسها .

هذا هو رأى هيكل باشا . . . الاخير .

ومن المفيد أن أضيف اليه رأى حضرة الاستاذ فكرى أباظة فقد نشر فى ١٤ يونيو سنة ١٩٤٠ فى مجلة المصور تحت عنوان « الامتحان الرهيب » مقالا

يلتهب حماسة جمع فيه كل مايتصوره الانسان من معانى الشجاعة والفروسية والنجدة والفداء حتى ليخيل للقارىء انه يقرأ لجندى امتشق الحسام وغادر قومه الى ميدان القتال

ارجعوا يا أبنائى الى هذا المقام تشهدوا العجب ان الاستاذ فكرى اباظه جمع خلاصة بلاغته وماوهبه الله من منطق وفصاحه فى استنهاض بنى قومه للحرب والنزال حتى لقد قال : الويل كل الويل للامة التى تخرج من هذه المعمعة الدموية مطبوعة بطابع التخلف او موصومة بوصمة الجبن والعار اومدموغة بدمغة الفرار من الميدان ، ولم تخلف فى بيوتها ضحايا ولم تقدم لحريتها وبقائها القرابين كالاهرام

ومن ظريف ماأورده حضرة الكاتب فى مقاله ان زينها بصورة للبطلين محمد على الكبير وابراهيم باشا العظيم تذكرة للمصريين فى هذه الظروف

هذا هو مقال الاستاذ فكرى اباظه فى ١٤ يونيو

لم يكتف الاستاذ بمقاله هذا بل أضاف اليه مقالا ثانيا فى ٢ اغسطس سنة ١٩٤٠ فى صورة خطاب منه الى السنيور موسوليني ينصحه بالعدول عن غزو مصر « وإلا خلق ضدها فى بلادنا عداوة مسلحة ستقابلهم عند اول قدم تطأ حدود البلاد » وقد عقب الاستاذ فكرى على رأيه هذا بقوله : « هذه هى الخطة المصرية والسياسة المصرية وهذه هى خطة وسياسة الرأى العام بسطتها للسنيور موسوليني بوضوح وصراحة »

غير ان الاستاذ فكرى اباظه لم يطل به العهد حتى نكص على عقبه وراح يحمل علينا حملات شديدة لاننا ننادى اليوم بما كان ينادى به هو بالامس بفرق واحد اننا لم نتغير وهو الذى تغير بل لسنا نعرف لانفسنا ذنبا لدى الاستاذ فكرى اباظه الا اننا صدقناه عندما دعا للكفاح والجهاد ونسجنا على منواله ورحنا ندعو الناس الى ما كان يدعو اليه

ويسرنى ان اضيف الى ماتقدم مقالا لرجل له مكانته وقدره ولم يعرف عنه ميل حزبى ما وليس قريبا لاحمد ماهر وانما هو شقيق الاستاذ فكرى اباظه ، واعنى به فؤاد اباظه باشا اذ نشر سعادته فى عدد المصور الاخير تحت عنوان

« امبراطورية مصرية لامبراطورية ايطالية» مقالا اوضح فيه نيات ايطاليا والسنيور موسوليني فقال : «لم يعد سرا ان السنيور موسوليني يمني نفسه بانشاء امبرطورية ايطاليه فى افريقيا تشمل طرابلس ومصر والسودان والاريتريا والحبشة والصومال واوغندة » الى آخر ماقال سعادته بما يقطع بنية الغدر التى يكنها الايطاليون لمصر

من هذا تدركون مبلغ مايساورنى ويساوركم من الالم والاسف حين تشهد طائفة من المصريين تبشر بالتردد عن تلبية نداء الوطن اذا احاط به الشر وتنكر له المغيرون ، ولكنى اكرر انه حب السلامة هو الذى عدل من آراء الزملاء ، وحملهم مؤنة الاجتهاد والتخريج والاستنتاج فى امر لايحتمل شيئا من ذلك على الاطلاق

على انى اسائل المترددين اذا كان من رأيهم ان نشهد الصراع الدائر فى بلادنا كالمتفرجين وان لا نحرك ساكنا فى شأن يتعلق به مصيرنا وكيان بلادنا ففيم كان الجيش ؟ وفيم كان التسليح . وفيم كانت الحركة الواسعة النطاق التى بدأناها منذ سنين لنعد لانفسنا جيشا يدفع عن بلادنا خطر العدوان . وفيم كان الجيش المرابط والجيش غير المرابط . ولعل امعن مافى الموقف من شذوذ ان يكون الرجل الذى اختير قائدا للجيش المرابط هو اول الداعين الى الامتناع عن الدفاع وعدم التعرض للجيوش المغيرة وهو سعادة عبد الرحمن بك عزام الذى يعتبر اكثر الناس معرفة بالايطاليين وآثام الايطاليين الرجل الذى اضاف الشهيد عمر المختار فى داره وجهزه ورحله الى طرابلس للجهاد هذا الرجل هو الذى يدعو اليوم لان نمسك عن الدفاع بل لقد ذهب سعادته الى حد القول بان نرحل الى اسيوط ونترك الايطاليين اذا دخلوا دفعا لمظالمهم واستبقاء على ارواح الناس وسلامتهم . أليس عجيبا ان يكون هذا رأى سعادة عبد الرحمن عزام بك على حين ان من واجبه الاول ان يكون اول الملبين للدفاع والجهاد ! ألستم تعجبون معى لسعادته وهو يعمل ليل نهار فى تهيئة الفرق وتعليمها وتجهيزها وفى قرارة نفسه ان يرحل الى اسيوط اذا لاح فى الافق طيف المغيرين . نعم هذا عجيب

واعجب منه الاسباب التى يبديها سعادته لهذا الرحيل

ابنائى :

ان عبد الرحمن عزام بك صديق ولكنى لااعرف، فى المصلحة العامة غير ربى ووطنى

يقول بعض المترددين كيف نشترك فى الدفاع ولم يكمل استعدادانا بعد ولن يغير حظنا ان نشترك اولا نشترك فى الدفاع ، وردى على هؤلاء ان الامم الحية لاتفكر فى النتائج عندما تنفر للدفاع عن نفسها اذا تعرض كيانها للخطر ولقد جاهدنا وفزنا بان اعتبرنا انفسنا اصحاب الواجب الاول فى الدفاع عن بلادنا وكنا نعلم تماما مبلغ طاقتنا فى هذا الصدد واننا بجانب دول اكثر عددا واوفر اعدادا ، وانه قد ياتى يوم نقف منها موقف النضال فلم يمنعنا هذا من ان نتمسك بحقنا ، على ان الامر ايسر من ذلك بكثير ، فقد كملت المحالفات فى العصر الحاضر ما يمكن ان يكون فى الدول من ضعف أو نقص ، ولاتكاد توجد دولة الان تعتمد على مواردها وحدها للدفاع عن نفسها وانما تبادر بهذا العمل مستعينة بحلفائها الذين اعدتهم للشدائد والاحداث ونحن مؤيدون فى دفاعنا عن بلادنا بحلفاء، كبيرة مواردهم عظيمة عددهم وقواتهم لهم من المنعة والثراء مايضمن الوصول الى النصر ان شاء الله

ولقد اصبح من المسلم به ان نصيب الدول من الحياة او الموت انما يقدر بمقدار نصيبها من الدفاع عن انفسها والتضحية فى سبيل هذا الدفاع ولديكم المثل قائما فى دول البلطيق فقد رضيت بعضها الاستسلام فضاعت وطويت صحيفتها وزالت من الوجود وهى استونيا ولتوانيا . اما فنلندا التى دافعت عن نفسها برغم ضعفها وقوة خصمها وضحت فى سبيل هذا الدفاع باغلى التضحيات فقد بقيت بل لقد احتلت بين الدول مكانا ساميا كريما يذكر اسمها كلما ذكر شرف الفداء

ومن بين الاعتراضات التى سمعتها ماورد على لسان رئيس الحزب الوطنى معالى حافظ رمضان باشا فلمعاليه رأى غريب إذ يقول ان اشتراكنا فى الدفاع عن مصر يرتب لايطاليا على مصر فيما لو انتصرت حق الفتح بينما يسقط هذا الحق

اذا دخلت بلادنا ونحن مستسلمون .

وبودى ان اذكر معالى حافظ رمضان باشا بان العكس هو الصحيح تماما فحق الفتح لايسقطه استسلام البلاد وانما هو على العكس يزيده قوة ويشعر المغيرين برضاء اصحاب البلد وترحيبهم بهم على حين اذا قاومتهم البلاد فانما تستطيع ان تقول ان ذلك الفتح كان رغم ارادتها وكان قائما على القوة القاهرة التى لم يمكن دفعها . فالعبرة فى الفتح انما هى بنية المغيرين ولا يبدل من نتائجه ذلك الاستسلام الذى يقول به معالى حافظ رمضان باشا رئيس الحزب الوطنى .

وهناك رأى آخر لسعادة عبد الرحمن الرافعى بك سكرتير الحزب الوطنى يرمى به الى انه لاشأن لنا فى نزاع واقع بين انجلترا وايطاليا فى ارضنا

وانى اذكر عزته بان هذا الصراع قد يكون من نتائجه ان يودى بكياننا جملة . افلا يحق لنا والحال كما ذكرت ان نعنى بشأن هذا خطره وهذه اهميته ؟

الا يعتقد سعادة عبد الرحمن بك الرافعى ان ايطاليا اذا مكن لها فى مصر سوف لاتغادر صغيرة ولا كبيرة من مرافق البلاد ومنافعها الا احاطت بها ، ومن اعجب ماسمعت قول البعض انه مادام الانكليز قد ابدوا رأيهم بعدم اشتراكنا فى الدفاع فما هو محل اضطلاعنا بنصيب فيه ؛

نعم اقول هذا رأى عجيب لان اصحابه يؤسسونه على نظرية ماابعدها عن المنطق الصحيح وماابعدها عن الكرامة الوطنية اذ معناه ان واجبنا فى الدفاع عن بلادنا قائم على اجازة الانكليز بذلك . مع اننا اصحاب الواجب الاول فى هذا الشأن سواء كان الانكليز راغبين فى اشتراكنا فى الدفاع او راغبين عنه فالتقدير على الدوام لنا والبلاد بلادنا .

وبودى ان اعلن بهذه المناسبة انه غير صحيح ماذيع من ان الانجليز قرروا عدم اشتراكنا فى الحرب والواقع الذى سمعته من صاحب الدولة رئيس الحكومة هو ان الانجليز تركوا لمصر تقدير الموقف واتخاذ ماتراه فى شأن الحرب .

على انه لو فرض وان كان للانجليز مثل هذا الرأى فعليهم ان يسجلوا هذا كتابة فان لم يفعلوا فلنسجل نحن عليهم هذا كتابة حتى اذا وضعت الحرب

أوزارها لم يؤخذ على مصر أنها قصرت فى القيام بواجب الدفاع .

أبنائى :

ان النكوص عن واجب الدفاع اعتمادا على مثل هذه الاذاعات له نتائجه الخطيرة أقلها الرضاء بالحماية وقتل كل روح معنوى فى البلاد .

ان الموقف الذى تدعو اليه الهيئة السعدية اليوم هو سلاح له حدان فهو يفيدنا فى الدفاع عن بلادنا الآن ضد الطليان وقد يفيدنا فى الدفاع عنها ضد كل اعتداء فى المستقبل .

ان موقفنا لاتمليه علينا رغبة الانجليز ولا تمنعنا عن القيام به ارادتهم وانما هوواجبنا يمليه علينا شعورنا وايماننا بأننا ملزمون بالدفاع عن بلادنا عن أبنائنا عن نسائنا عن الأجيال المقبلة . هذا هو الحافز لنا على موقفنا هذا فلا يجوز أن يدخل فى اعتبارنا أن هذا يرضى الانجليز أولا يرضيهم

أبنائى . . .

هذا هو موقف الهيئة السعدية أوضحته لكم كما أوضحه الوزراء السعديون لزملائهم فى مجلس الوزراء ، فلما لم توافقهم أغلبية المجلس عليه تركوا مناصبهم وهو موقف مشرف نبيل ليس له مثيل فى تاريخ مصر الحديثة ، وأنى أعتقد أنى أعبر عن رأيكم ورأى كل ذى كرامة فى هـذا البلد ، اذ أقدم لوزراء الهيئة السعدية واجب الشكر والثناء على موقفهم الذى ضربوا به المثل الأعلى فى التمسك بالرأى والدفاع عن العقيدة .

أبنائى . . .

هذه خطتنا بسطناها لكم فان قدر لنا أن ننال النصر ان شاء الله نلناه أبطالا وان كتبت علينا الهزيمة لا قدر الله واجهناها رجالا .

والسلام عليكم ورحمة الله

موقف مصر

(شرعة فى الأحاديث السياسية يستنها الفقيد فى أخذ الأمور بالحجة الواضحة والبرهان الظاهر وبيان كريم ألقاه فقيد البلاد فى جموع الشباب بنادى سعد زغلول فى ١٩ أكتوبر سنة ١٩٤٠)

أبنائى الأعزاء :

تكلمت من أيام قليلة فى مثل هذا الاجتماع عن الموقف الحاضر وعن رأى الهيئة السعدية ومايجب أن يكون عليه الموقف ازاء الخطر الذى يهدد كيان البلاد وقد أردت أن يكون كلامى مشتملا للرد على ماوجه الى رأينا من اعتراضات وقد تناول اشارة الى أقوال بعض حضرات السادة والكتاب ممن تصدوا للاعتراض على موقفنا وأود أن أنوه بأنى لم أقصد بحال تجريحا لأشخاصهم أو طعنا فى وطنيتهم وتشكيكا فى حبهم لبلادهم وانما قصدت أن أشير الى خطأ موقفهم وأردت التدليل على ذلك بما كان لهم فى هذا الموضوع سابقا من آراء تتفق وما ندعو اليه الآن بحيث لا يمكن التوفيق بين رأيهم بالأمس ورأيهم اليوم .

وأود أن أؤكد لحضراتهم احترامى لهم وحرصى على مودتهم وتقديرى لوطنيتهم وأخيرا مخالفتى لآرائهم واعتبارها ضارة ضررا بليغا بمصلحة البلاد .

لقد قرأت الردود التى رأى حضراتهم أن يعقبوا بها على خطابى وأؤكد لكم أنى تلوتها مرارا فلم أجد فى معظمها ما يمكن أن يعتبر ردا مفيدا على ماقلته بل لقد وجدت فى بعضها مايعتبر ردا على ما جاء فى البعض الآخر .

خذوا مثلا أحد هذه الردود فقد عنى صاحبه بأن يجد مخلصا من حالة التعارض الصريح بين موقفه فى فبراير سنة ١٩٤٠ حين كان ينادى بالاشتراك

الفعلى فى الحرب اذا هاجمت روسيا وألمانيا البلاد الشرقية ولو كان ذلك الاشتراك خارج حدود بلادنا وبين موقفه اليوم وهو يدعو الى التريث والاناة. وقد أطبق المغيرون على بلادنا .

أقول أنه حاول التوفيق بين هذين الرأيين فلم يستطع .

ومن طريف ما جرى به القلم قوله اننا فى حل من عدم الاشتراك فى الحرب ما دامت روسيا وألمانيا لم تعتديا على البلاد الشرقية

فكأنه لا يزال عند رأيه من ضرورة قيامنا بالاشتراك فى الحرب خارج حدودنا لو هوجمت تركيا أو العراق الآن ويرى التريث والاناة والانتظار اذ تقتحم بلادنا اقتحاما ويتوغل المغيرون فى أراضيها مائة كيلو أو أكثر .وليسمح لى بأن هذا منطق لا تصل اليه أفهامنا ولو أوردنا فى تأييده ألف بيت من الشعر .

أما التريث والانتظار وعدم الخفة فى اتخاذ الموقف الذى يجب أن نتخذه فانى أعتقد أن الانتظار قد طال أكثر من الواجب لأن الأصل فى الأمم الحية التى تريد أن تحافظ على كيانها واستقلالها أن تستعد للمفاجئات بما تملك من وسيلة لدرء أخطارها قبل أن تقع فعلا وكل بلد يطلب الاستقلال ويعمل للمحافظة عليه يجب أن يستعد للدفاع عن هذا الاستقلال وان يحتمل فى سبيل ذلك كل تضحية مهما علت وأن ينظم دفاعه ويرتبه فى الوقت الذى يمكنه من تنفيذ ما يرسم من خطط لهذا الدفاع اذا ما حل الخطر ودقت ساعة التضحية .

هذا هو ما كنت أنادى به حتى تظهر البلاد تصميمها القاطع على الدفاع عن الوطن المقدس وان تعلن ذلك للاعداء وللاصدقاء على السواء حتى تظهر للعدو أننا بلد قوى لا نرتضى مذلة الاستعباد وحتى يمكن لنا أن ننظم دفاعنا بالاشتراك مع الأصدقاء وفى ذلك الخير كل الخير لمصلحة البلاد ، يسألنى حضرته اذ يتهمنا بالنسرع وعدم التريث أين كنت قبل هذا ؟ كنت يا سيدى أتريث قليلا ولكنى لم أكن أتريث ساكتا أو نائما أو مستضعفا بل كنت أحاول اقناع أولى الامر وذوى الشأن بالرأى الذى أدعو اليوم اليه

ولقد تساءل لم لم أقم بدعوتى هذه علنا واعتصمت بالصمت وبقيت مقيما

عليه حتى هبت أعاصير السياسة فى شهر يونيو الماضى فذهبت بوزارة وجاءت بأخرى ، ولعل حضرته من أوائل الذين يعلمون أنى لم أدخر وسعا فى محاولة اقناع الوزارة الماضية فى الأخذ برأيى كما يعلم أنى سجلت مخالفتى لرأيها علنا فى احدى جلسات البرلمان كما يعلم أيضا أنى كنت من القائلين باستقالة الوزارة الماضية ومن بين المقترحين اسناد الرئاسة التالية لدولة حسن صبرى باشا .

لذلك لا أعتقد أنه وفق كثيرا عند ما أراد أن يربط حملتى ودعوتى بقيام وزارة وذهاب أخرى . خصوصا وأن الوزارة الأخيرة كان حزبنا شريكا فى أعمالها . وانا خرجت بدعوى من الصمت أو على الأصح من التحفظ الى الاعلان لأن الأمور قد تغير وجهها وانه ان كان من المحتمل أن أحبس رأيى عن الجماهير والخطر بعيد عن حدود بلادنا فلا سبيل الى مثل هذا التحفظ عندما يطبق المغيرون على ناصية البلاد ويهددون كيانها بأشد الخطر ، هنا رأيت واجبا على أن لا أقصر دعوتى على الخاصة من ذوى الرأى والمسئولين وقد يئست من أقناعهم بل رأيت أن أنشرها بين الكافة لكى أبرىء ذمتى وذمة حزبى من مسئوليات الموقف الذى يهدد بأشد الأخطار وللوصول الى اقناع الأمة بسلامة رأينا وضرورة الأخذ به .

بدأت بأن عرضت فكرتى على أصحاب الرأى وناقشتهم فيها كثيرا وطويلا وقد اعترف بذلك بعض أصدقائى حيث قال أنه يئس من اقناعى بالعدول عن فكرتى منذ دخل الوزارة فى سنة ١٩٣٩ ، ولقد كان البحث قاصرا على اجتماعات خاصة مع المسئولين على أصل الى اقناعهم بما يجب أن يعمل وكانت الظروف مواتية للانتظار ، لأن الخطر كان بعيدا الى حد يسمح بالتريث والأناة ، وقد ناقشت كثيرين فيما يجب أن نتخذه من عدة وكيف أنه يحسن أن نحكم على الحوادث المقبلة المرتقبة بما دلت عليه الحوادث التى كنا نمر بها .

بقى الحال كذلك الى أن أعلنت ايطاليا الحرب وقد دخلتها لتظفر بنصيبها من الغنائم والأسلاب وعندئذ لم يبق للتحفظ محل فخرجت الى الأمة أدعوها الى العمل الايجابى وأحذرها عاقبة التخلف عن واجب الدفاع عن البلاد .

يأخذون على أنى أناقش الموضوع على ملأ من الجماهير ، فهل يريدون أن أطوى رأيى وأن أقيم على الصمت فى شأن هذا خطره وتلك أهميته اذا كانت قد أعيتنى الحيل فى اقناع ذوى الرأى المسئولين وهل من العدل أن أحرم ويحرم حزبى من تسجيل رأيه علنا والدعوة اليه والأمر متعلق بمصائر البلاد ، أن الأمر لا يكفى فيه تسجيل الرأى والاستقالة من أجله بل يجب أن ندعو الى رأينا وان نقنع الناس به بكافة الوسائل قياما بما يفرضه الواجب الوطنى علينا وقد آمنا بأن مصلحة بلادنا انما تحقق باتباع رأينا والأخذ به .

لقد حاولت أن أصل الى الاقناع بالبحث الضيق الهادى مع أولى الشأن فلم أوفق فماذا كنت أستطيع أن أفعله ؟ لقد أردت وأرادت الهيئة السعدية أن يعرض الأمر على البرلمان فلم توافق غالبية مجلس الوزراء على ذلك فاستقال الوزراء السعديون واجتمع مجلس ادارة الحزب ، وأقر المطالبة بعقد البرلمان حتى نتمكن من أن نشرح لوكلاء الأمة رأينا ونسمع رأيهم فيما يجب أن يعمل ومع أن دعوة المجلس للانعقاد هى حق لرئيسه ولأعضائه فانى رغبت مجاملة ألا يتم هذا الأمر الا بالتفاهم مع دولة رئيس الوزارة فتحدثت الى دولته بذلك ووصلنى اليوم خطاب منه بأن مجلس الوزراء يرى عدم عقد المجلس قبل موعده المقرر — ٥ نوفمبر — وقد أشار دولته الى أسباب بنى عليها هذا الرأى منها أن المدة الباقية على موعد اجتماعه قصيرة .

ها هو ذا الموقف . فماذا يعنوننا . اذا طلبنا عقد البرلمان قالوا ليس هذا وقته فاذا اتجهنا الى الأمة قالوا ليس هذا الكلام مما يطرح على المجامع العامة .

اذن ما الذى كان يجب علينا أن نفعله هل نقف مكتوفى الأيدى ساكنين لمجرد أننا أبدينا رأينا وأرضينا ضمائرنا .

لا يا أبنائى أن الساعة خطيرة الى حد يجعل من الواجب أن نبذل المستطاع كى تقوم البلاد بواجبها للدفاع عن كيانها وحماية استقلالها .

أما قول بعض من رد على بأنه يرى انى نسبت اليه رأيا نقل الى مشوها مبتورا فانه لم يلبث أن أعاد رأيه صحيحا كاملا فاذا هو بذاته ما نسبته اليه أنا لم

(١) شقيقان يتحادثان

(٢) الشهيد فى زيارته للأستاذ الأكبر المغفور له الشيخ المراغى

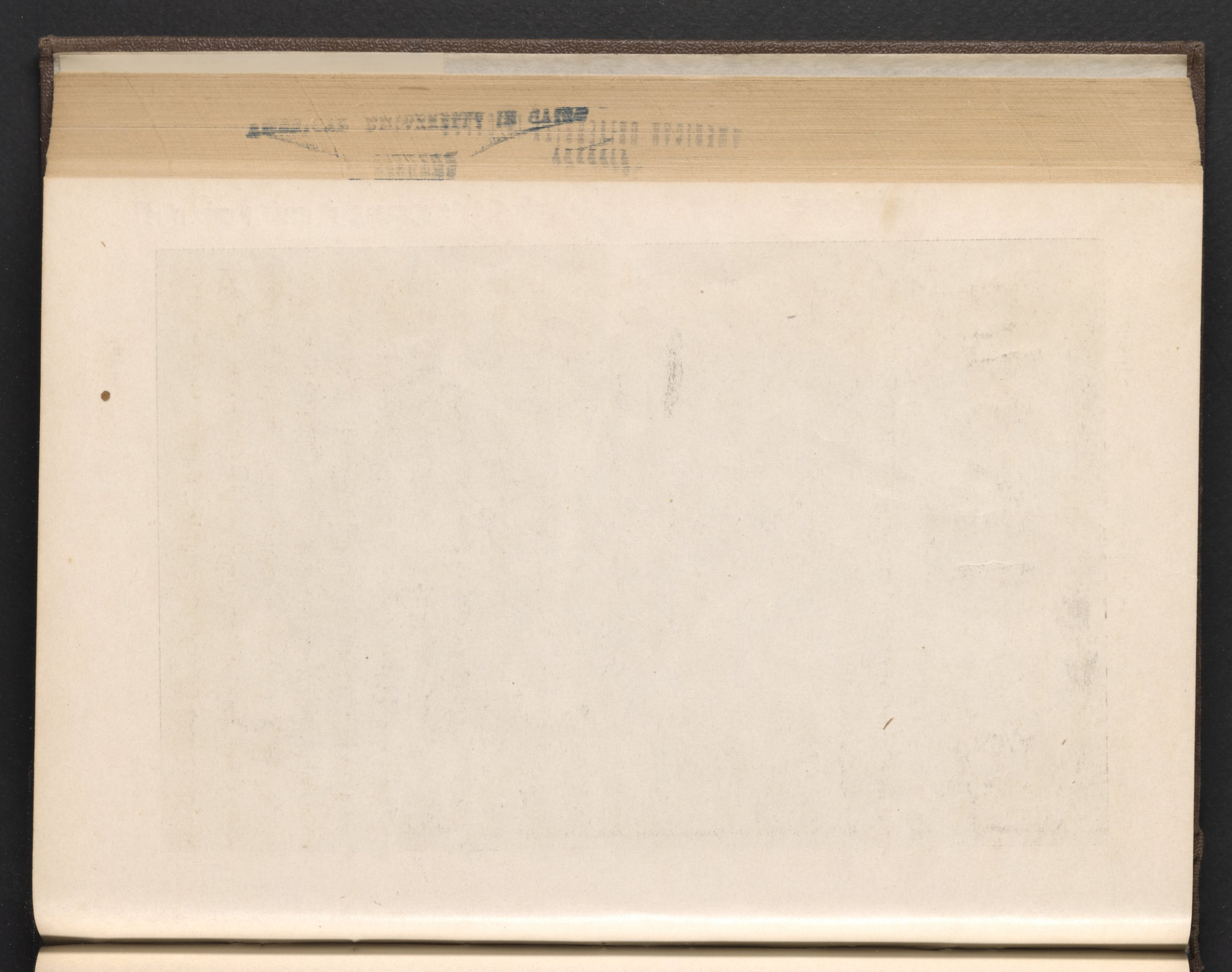

اقل اكثر مما سجله فى رده من ان اشتراك مصر فى الحرب وقد وعد السنيور موسوليني بعدم المساس بها يرتب لايطاليا حق الفتح وان بقاء مصر على حالها يجنبها هذا الخطر وذكرنا بانه اذا جرت المقادير بانتصار ايطاليا امكننا ان نستفيد من وعودها وان نتخذ منها حجة ندفع بها عن بلدنا غائلة العدوان

وكأنى به قد نسى قضية الوعود والمواثيق وماجلبت على البلاد طيلة ستين عاما ولا يلدغ مؤمن من جحر مرتين . ومن الغريب ان نسمع منه وهو الرجل الذى مارس السياسة زمنا طويلا مايشعرنا باطمئنانه الى الوعود والمواثيق حتى من السنيور موسوليني فى زمن لم يرع فيه عهد ولم يحفظ فيه ميثاق

الا يعلم حضرته ان مصر بموقعها ورخائها كانت على الدوام موضع انظار الايطاليين وانهم يتوقون الى اليوم الذى يربطون فيه بين اجزاء امبراطوريتهم فى ليبيا والحبشة وان يستعيدوا مايحلمون به من مجد غابر وعز قديم ؟ !

يقول حضرته اننا اذا اشتركنا فى الحرب اضر هذا بمركز حليفتنا بان يعرض مواصلاتها داخل بلادنا لاخطار جسام .

وانى اكرر ماسبق ان قلته من ان مواصلاتنا عرضة على الدوام لتلك الاخطار مهما كان موقفنا اذا تمكنت ايطاليا من التغلب على وسائل الدفاع التى تحمى تلك المواصلات .

اما آخر المعترضين على فلعلى غير مستطيع ان ارد عليه ردا طويلا بعد ان رضى لمثل هذا الشأن الخطر ان يخالطه الهزل . ويظهر ان حضرته وقد ادرك مافى موقفه من تناقض مؤلم رأى ان يستتر وراء ذلك الاسلوب الساخر حتى لايحمل نفسه عبء الدفاع عن ذلك الموقف العجيب

فهل حقيقة اننا قلنا اننا ندفع بجنودنا الى « بقبق » وغير « بقبق » وهل حقيقة ان الخلاف بيننا وبينهم ان شجاعتنا صحراوية وشجاعته حضرية ، وهل حقيقة اننا تعرضنا الى شؤون العسكريين ؟

لا ياسادتى لم يحصل شىء من ذلك اصلا وانما قلنا لحضرته قولا لم يرد عليه . وهو انه فى فبراير ومارس سنة ١٩٤٠ خرج على الناس بمقالين حماسيين

يدعو فيها للجهاد والفداء ويهدد الطاليان بالويل والثبور عند اول قدم لهم تطأ الحدود ، ثم هو فى سبتمبر سنة ١٩٤٠ يحمل على الذين دعوا دعوته وايدوا فكرته .

وقد حسب البعض انه احرجنى عندما طلب الى ان أقارن بين رأيى ورأى شقيقى رفعة على ماهر باشا ولكنى لن احرج بهذه المطالبة فانى كما قلت بالامس اقول اليوم وسأقول دائما انى لاأعرف فى مصلحة البلاد الا ربى ووطنى

أبنائى : ان الساعة عصيبة والمسؤلية جسيمة ولو تدبر كل مصرى فيما يحمل على اكتافه من أثقال هذه الساعة لما تردد لحظة فى الأخذ بما يحفظ على الوطن حرماته ومايصون استقلاله ومايدفع عنه غائلة عدوان تكشفت للناس آثامة وتبينت لهم آثاره ، فعلى الذين يدعون الناس الى التردد وينشرون بينهم روح الوجل والاستكانة أن يحملوا هذا الوزر أمام الله والوطن والتاريخ .

الازهر وشجرة الحرية

(فى ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٤٠ أم دار نادى سعد زغلول فريق كبير من أعضاء اتحاد الجامعة الأزهرية وطلبتها فارتجل فيهم الفقيد الكريم هذا الخطاب الجليل).

أبنائى طلبة الأزهر :

ان سرورى باجتماعى بكم اليوم لا حد له لأنى كما قال أحد الذين تكلموا آمثل الأزهريين فى مجلس النواب وأنا أفخر دائما بأنى نائب الأزهر فاذا وجدت تأييدا من الأزهريين كان ذلك أكبر مكافأة لعملى وعمل اخوانى.

انى أعد الازهريين أحق الناس بالحكم على وعلى عمل اخوانى، هم انتخبونى فلهم الحق فى أن يعرفوا موقفى ولقد عرفتم موقفى من الحرب وعرفتم ما قيل عن الهيئة السعدية فى ذلك، وضرب لنا خطباؤكم الامثال على صحة هذا المعنى فبين لنا أحدهم ما كان من موقف مصر فى حرب الفرنسيس وفاته أن يذكر مثلا أقرب لنا وأكثر اتصالا بالأزهر والازهريين.

عرفنا كيف ابتدأت الحركة الوطنية وكيف أن الازهر كان الحصن الامين لهذه الحركة، لقد كان من المتعذر علينا بسبب الاحكام العرفية التى أعلنها الانجليز فى ذلك العصر أن نجتمع فكنا نذهب الى الازهر فنجد المأوى ونجد القدرة على أن نقوى أنفسنا وأن نقوى الروح المعنوية فينا وفى غيرنا من المجاهدين الوطنيين.

كان للأزهر هذا الفضل العظيم واذكر أيضا فضلا لا يقل عظمة عن ذلك بل قد يفضله فلقد كان أبناؤه وهم عزل من السلاح ولم يكن بيد أحدهم ولا عصاة يجابهون القوات الانجليزية المدججة بالسلاح ويصمدون لها بل

كانوا فى بعض الاحايين يستولون على المدافع منهم .

وكانت لهم أيضا فى هذه الايام ضحايا كبيرة ولقد كانت هذه الضحايا التى ذهبت الى رحمة ربها وهى الغرس الذى نمت عليه شجرة الحرية ، والذى أمكن للبلاد بتعهده أن تنال كثيرا : فللدهر الفضل الكبير فيما نلنا وعليه واجب نحو نفسه أن يجاهد فى سبيل اتمام ما نلنا ، فالعمل الفاضل يوجب على فاعله أن يتبعه بأفضل منه حتى يتم .

ان الانسان ليطمع فى الفاضل فاذا عمل عملا تترتب عليه مصلحة للوطن فالواجب عليه أن يتم ما بدا ، فالحركة الوطنية كما قلت مدينة للازهر بالشىء الكثير فهو الذى جاهد فى سبيل الغرض الذى تقصده الامة ألا وهو حرية البلاد وهو الذى وصلت الامة بجهوده إلى هذا الغرض النبيل .

فلا عجب بعد ذلك اذا اتى الازهر لتأييد من يدعو الى الدفاع عن البلاد وعدم الاستسلام ولتأييد من يريد أن تعلم الامة ان الاستسلام عار وذل ما بعدهما من عار

وآخر مثل قرأته اليوم عن معاملة الايطاليين لمن يدخلون بلادهم رواية رواها احد الاسرى اللوبيين وقد سئل كيف اشتركت فى هذه الحرب قال : انى رجل كثير الاولاد فعند ماطلبت الى التجنيد دخلت الى الضابط الايطالى وقلت له

إنى رجل لى ستة من الأولاد ويجب على أن أعولهم فقال له الضابط : احضرهم لى فما كان من الضابط إلا أن أخرج مسدسه وقضى عليهم جميعا وقال له ها أنت الآن قد أصبحت ولا مسئولية فاندمج فى الجيش . وهناك أمثلة كثيرة لا داعى لذكرها ما دمنا جميعا مجتمعين على رأى واحد ألا وهو وجوب الدفاع عن أرض الوطن .

هذا ما رأته البعثة السعدية ، وهذا ما رآه اخوان لى كانوا فى الوزارة ضحوا بمناصبهم فى سبيل هذه الفكرة السامية النبيلة ، وهذا موقف كريم بداوه فى تاريخ الحياة السياسية المصرية ولم يسبقوا اليه . حقيقة حصل أن استقال

شريف باشا من رئاسة مجلس الوزراء بمفرده بسبب مسألة السودان .

ولكن وزراء الهيئة السعديه كانوا أربعه ولم يكن معهم رئيس فلا شك انهم وضعوا بهذه التضحية أساسا من الاخلاق الوطنية السامية ، ومبدأ من المبادىء الوطنية النبيلة .

لا أريد أن أعود الى ذكر الأسباب التى دعتنا الى الأخذ بهذه الفكرة لأنكم جميعا متفقون معنا عليها فلا محل للتكرار .

كما أن الحوادث أثبتت بجلاء — لا كما يقول البعض صحة موقف الهيئة السعدية لأن موقفها صحيح وواجب على كل حال بصرف النظر عما تأتى به التطورات — ولكنها أثبتت بوضوح الفوائد التى كان يمكن للامة أن تجنيها من العمل بهذا الرأى .

ولم تجعل الهيئة السعدية من هذا الانتصار ، واثبات الحوادث لصحة رأيها فرصة ومحلا لزهو أو فخر أو تبكيت لمن خالفوها فى الرأى : لأنها تعمل للوطن فقط ، ولأنها تريد أن تضم الصفوف ازاء الأخطار التى تتعرض لها البلاد فى هذه الظروف الدولية الخطيرة ، فلا شك أن مقابلة هذه الحوادث الخطيرة والبلاد متحدة قوية تسهل الأمور وتنيل البلاد ما تريد .

بل أريد أن أقول أن هذه الظروف وهذا الانتصار قد أتاح للهيئة السعدية ظرفا ثمينا لتبين للبلاد رأيها فى وضوح وجلاء

وترجو الهيئة السعدية من وراء ضم الصفوف والدعوة الى الاتحاد أن تحقق من وراء ذلك ما ترجوه للبلاد من استكمال استقلالها والتمتع بحرياتها .

وقبل أن أنتهى من كلمتى أرى واجبا على أن أشكر حضرات الأساتذة الذين وجهوا الى والى الهيئة السعدية كلمات طيبة وعبارات تنم عن تقديرهم لموقفنا ، وأشكركم ثانية لتفكيركم فى ضرورة الاجتماع والتعاون معنا فى تأييد الفكرة التى رأينا أنها فكرة سامية .

ويجب أن تنجح هذه الفكرة ، وأن نتحمل فى سبيلها كل تضحية وكل مشقة يتطلبها الوطن ، وأن نثبت أمام الصعوبات التى يجتازها العالم والتى نرجو أن تخرج مصر منها بسلام فى ظل صاحب الجلالة الملك فاروق الأول حفظه الله .

الاعتماد على الله

(من خطاب للدكتور ماهر باشا يتحدث فيه عن موقف مصر ، ويتكلم عن ماضيه وحاضره مع الانجليز فى نادى الهيئة السعدية بالاسكندرية وذلك فى ١٦ أغسطس سنة ١٩٤٠) .

الواقع انى لم آت الى هنا لاخطبكم خطبة محضرة من قبل ، واذا قصدت من هذا الاجتماع الشائق الى أن نتحدث عن الشؤون الحاضرة حديثا مشتركا بيننا جميعا

وأبدأ بشكر خطيبيكم على ما اختصانى من ثقة وأفاضا على من ثناء وانى مسرور جدا من قول أحدهما : انكم معى ما دمت على الحق .

والحق اننا فى وقت عصيب كما عبر خطيبكم عن ذلك تعبيرا حسنا ومما لاشك فيه انه صادق حين قال ان الاسكندرية معرضة للخطر أكثر من غيرها من مدن الدولة واذا كان رجالها باقون فيها على الرغم من ذلك فان هذا يزيدها شرفا

وقد سبق ان ابدى حضرة صاحب العزة سيدبك مرسى رئيس الهيئة ورئيسنا جميعا (تصفيق) هذا الرأى وتكلمت فيه مع ولاة الامور وسيظهر ان شاء الله من اثر عنايتهم بحماية المدينة مايسركم جميعا ، اما المصالح فلا سبيل الى نقلها من الاسكندرية فيما أظن ولكن الموضوع مع ذلك صالح للبحث وسيعمل فيه كل ماهو ممكن ، وليس افضل من الاعتماد على الله فى مثل ظروفنا الحاضرة . وقد لفتت الاسكندرية الانظار بما اظهرته من الشجاعة واملنا ان لاتزيد فيها الحالة عما بلاه اهلها من هذه الغارات التى رأيتموها . أما الاقتراب منها بجيوش معادية فهذا مالا اصدقه لعظم الدفاع عن الدولة ووجود الرجحان فى جانب بريطانيا بعد

ان ظهر تفوقها فى مهارة الطيارين وفى المواد التى تصنع منها الطائرات البريطانية.

اما الشعب الايطالى فانه قد يكون ممتازا فى الفنون الجميلة ولكنه ليس على ميزة ملحوظة فى الفنون الحربية والعبرة فى هذه الفنون بجرأة القلب والشجاعة الشخصية وقد رأيناهم يستفيدون بالسرعة فى الطرادات فى الهرب لا فى الحرب فالخطر على مصر محدود ذلك ان الزمن ضد دولتى المحور اللتين بلغنا اقصى قوتيهما فى بداية الحرب خلافا لانجلترا التى بدأت الحرب غير مستعدة ثم اخذت تستغل مواردها الاقتصادية الهائلة وموارها من الرجال وسيادتها فى البحار فى العمل لكسب النصر والزمن حليفها

وقد كان رأيى دائما ان الهجوم على انجلترا لا ينجح ابدا مادامت سيادة البحار باقية لها ، اما الطائرات فلا يمكن ان تنقل اليها جيشا يعتد به وهانحن نرى كفة انجلترا راجعة فى الحرب الجوية ذاتها

والواقع ان التاريخ يعيد نفسه فقد انتصر نابليون على اوربا كلها قديما كما انتصرت المانيا اليوم ثم عجز عن قهر انجلترا لتفوقها فى البحر واخيرا هزمته فى ووترلو كما تعلمون وهذا ماتدل الشواهد على انه يصيب المانيا

على ان الذى يهمنا نحن المصريين من الموضوع بغض النظر عن كل اعتبار آخر من اعتبارات العدالة والحق والديمقراطية هو موقفنا نحن فى هذه الظروف العصيبة

قال خطيبكم ان احمد ماهر كانت رقبته فى حبل المشنقة وقد تتساءلون اذا كان ماهر قد بلغ من خصومة الانجليز هذا الحد فكيف يدافع الآن عن مصلحة الانجليز

الواقع ياحضرات الاخوان ان الخصومة التى كانت بيننا وبين الانجليز انتهت بعقد المعاهدة وحقا أن فى المعاهدة قيودا يجب رفعها ولكن هذه هى نتيجة عدم اطمئنان الانجليز الينا وقت المعاهدة

وتصوروا ان الانجليز قالوا لنا فى سنة ١٩٣٦ انهم سيجلون عن بلادنا فهل كنا نقبل ذلك ؟ انى شخصيا ما كنت اقبل ذلك بل اقول لهم ان سياستكم العقيمة

فى الماضى قضت بعدم تسليح بلادنا فيجب ان تبقوا حتى نتمم تقوية جيشنا ولوكنا نحن المصريين الذين طلبنا هذا لكان شعورنا بالحرية ادعى لارتياحنا فاما والانجليزهم الذين طلبوا البقاء حتى يتم استعدادنا فقد اختلف الوضع

وتتضمن المعاهدة شرط المحالفة ويظهر أن هذا الشرط من جانب الانجليز لم يستمل لهم الشعور العام فى مصر ومع ذلك فهو فى مصلحتها ولو لم تكن انجلترا حليفتنا لاضطررنا ، ونحن ضعاف ان نختار لنا حليفا، ولو خيرنا لما وجدنا خيرا من انجلترا فان مطامعها سياسية لا مطامع ارزاق وأعظم مايهم انجلترا هو المحافظة على قناة السويس وهذا يوافق مصلحتنا . اما المانيا مثلا فتبحث عن المستعمرات لان بلادها تضيق باهلها وايطاليا شأنها شأن المانيا وقد حظرت امريكا هجرة الايطاليين اليها لما قاسته من منافسة الايطاليين وهاهم فى ليبيا قد عاملوا أهلها المعاملة التى تعرفونها ولم ينس احد ، القاءهم الزعيم عمر المختار وغيره من الطائرة وقد تجاوز الخامسة والسبعين من عمره. واستغلال موارد الحبشة بمقتضى نفقة كبيرة لاقبل لايطاليا بها. وهم يسخرون اهلها الان كالسخرة المصرية القديمة بل هاهم الآن بلا احتلال ولا استعمار يزاحموننا فى كل باب من ابواب ارتزاقنا . ولو دخلت ايطاليا مصر لاستولت على ارضها وخيراتها ونقلت اليها ابناءها فحالة ايطاليا ظاهرة ، واغراضها هى اللقمة تأخذها من ايدينا

والخلاصة أنه لو لم يكن فى المعاهدة غير المحالفة لسعينا نحن الى محالفة انجلترا لندفع عن نفسنا هذه الشرور

وقد تبين لى بالبحث ان تمسك الانجليز بما فى المعاهدة من القيود يرجع الى عدم اطمئنانهم الينا وانهم فى الوقت الذى يثقون فيه باخلاصنا يسبقوننا الى رفع تلك القيود ويعملون على تقويتنا حتى تكون محالفتنا ذات قيمة حقيقية فازالة عيوب المعاهدة تتوقف على ثقة الانجليز بنا واعتقادى ان الحرب القائمة لان ستساعد على اظهار هذه الحقائق للجانبين . فوجود الايطاليين بجوارنا

قد نبهنا الى حاجتنا للتعاون مع الانجليز كما نبه الانجليز الى حاجتهم لامة وفية امينة وراء ظهر جيوشهم .

وهذا كما ترون هو سر تحول احمد ماهر من مخاصمة الانجليز الى الدعوة الى مصادقتهم صداقة الحر للحر كما قال المرحوم شعراوى باشا للسير ونجت حين ذهب مع الزعيم الخالد سعد زغلول بكرة الهدنة للمطالبة بحق مصر

والوقت فى الحقيقة ليس وقت خلافات سياسية ولكنه وقت توحيد للاتجاه العام وتسديد الخطوات كلها لمصلحة مصر وهذه المصلحة هى حتى من اخص وجوهها — أى ناحية حب الذات — لافى انتصار الانجليز . اما انتصار الايطاليين فكارثة على البلد وقد ينتهى احمد ماهر فى مثل هذه الحالة الى مثل نهاية عمر المختار ولكن الموت راحة على كل حال والعذاب لمن بقى عذاب الذل والاستعباد والم الرق والاستعمار لاقدر الله .

* * *

الحرب تضحية وشر وبلاء ولكنها تضحية فى سبيل الشرف ، وشر يدفع به شرور وتصان به العزة القومية والكرامة الانسانية والمصلحة العامة ؟

احمد ماهر

الماضى القريب ....

فى ٢٢ اغسطس سنة ١٩٤٠ القى الفقيد العزيز هذا الخطاب بفندق الكونتنتال بين صفوة من قادة الرأى وساسة البلاد

حضرات السادة

لقد اطلعتم حضراتكم جميعا على ماسبق ان أفضيت به فى مثل هذه الاجتماعات وعرفتم الآراء التى أراها فى الموقف الحاضر . وفيما يجب ان نقوم به من عمل لخدمة بلادنا

ولقد لخص حضرة صاحب الدولة اسماعيل صدقى باشا فى سؤاله البرلمانى تلك الآراء — فأحسن التلخيص — فى امرين . ولكن دولته نسى امرا ثالثا لايقل شأنا عما ذهب اليه

لخص دولة صدقى باشا آرائى فى الحالة الحاضرة فى :

اولا — العمل على توثيق العلاقات بيننا وبين حليفتنا واستزادة من عوامل الثقة والتفاهم بيننا وقال دولته ان الجميع متفقون على هذا الرأى

ثانيا — اننى ادعو بلادى الى الاستعداد للقيام بواجب الدفاع عن كيانها اذا تعرضت سلامتها للخطر

وقد رأى دولته ان هذا الامر قد يكون محل خلاف بين المصريين . وسأل الحكومة اذا كان موقفى هذا يدل على تغيير طرأ على موقفها أو انه قد طرأ مايدعو الى هذا التغيير ..؟

لخص دولة صدقى باشا موقفى فى هذين الامرين ونسى دولته أمرا ثالثا أدعو اليه بل ألح فى الدعوة وأعتبره الاساس الاول لكل عمل صادق أو جهد مشكور

يبذل فى صالح البلاد . الا وهو توحيد الجهود والعمل على رفع المستوى الادبى والمعنوى للامة حتى تتمكن من مقابلة الظروف الحاضرة والاخطار الشديدة المحيطة بها بالشجاعة القوية والاقدام الصادق

يجب أن نعمل جميعاً على مقابلة الشدائد المحيطة بنا بقلوب الرجال وعقول الرجال وعزيمة الرجال (تصفيق حاد)

ولعل دولة صدقى باشا يوافقنى على ان هذا الغرض هو أهم الاغراض التى يجب التضافر على العمل فى سبيل تحقيقها وانه من الواجب ان نمحو مايمكن ان يكون قد علق ببعض النفوس من التخاذل والاستضعاف والخوف حتى تقف الامة صفا واحدا لمقابلة الاخطار التى تهددنا بجنان ثابت وايمان صادق متين

بعد ذلك أعود الى النقطة التى رأى دولة صدقى باشا انها موضع خلاف والتى ذهب دولته الى ان رأيى فيها يختلف مع الرأى الذى رسمته الحكومة لسياستها فى الموقف الحاضر وأقرها عليه مجلس النواب . فأقول ان ليس هناك خلاف بين ماذهبت اليه فى دعوتى وبين سياسة الحكومة إذ أنها حددت موقف مصر من الاشتراك فى الحرب

كما حددت الاحوال التى تشترك مصر فى الحرب فيها وقيدتها بأحوال معينة تتخلص كلها فى حالة الاعتداء على سلامة البلاد . هذه هى سياسة الحكومة سواء فى عهد وزارة حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا أو الوزارة الحاضرة

وهذه هى السياسة التى أدعو اليها تماما فانى ألح وادعو ابناء وطنى الى ان ينفروا للدفاع عن بلادهم اذا تعرضت سلامتها للخطر ولعل دولة صدقى باشا فهم كما فهم بعض الناس خطأ ان الحكومة قد رسمت سياسة تقضى باجتناب دخول الحرب مهما كانت الاحوال ، الامر الذى لايمكن ان يقره عليه مصرى كائنا من كان فضلا عن حضرات الشيوخ والنواب

أيتصور دولة صدقى باشا اننا نشهد مصرع بلادنا ونقف جامدين أو نتردى فى عقر دورنا ونترك المعتدين يتصرفون فى رقابنا وأموالنا وأعراضنا دون ان

ننفر الى الدفاع عن أنفسنا ودفع العدوان عن بلادنا وكياننا ؟
أيتصور دولة صدقى باشا ان تفتح البلاد أبوابها للمعتدين وأن تذل اعناقها لهم وان تكتب على نفسها صك العبودية دون ان تنهض للدفاع عن كيانها ودرء الاخطار عنها ؟

كلا لا يوجد مصرى واحد يرضى عن هذا الوضع مطلقا حتى ولو كان دولة صدقى باشا « تصفيق حاد »

قد يكون حب السلامة هو الذى خلق فكرة التخاذل والتناكص لدى بعض الناس وقد يكون لمظاهر الاحوال المحيطة بالموقف الحربى فى العالم مايحمل البعض على تصور ان النصر سيكون فى جانب الاعداء

وأنى مع يقينى الثابت فى ان النصر سيكون باذن الله فى جانب حلفائنا الذين يدافعون عن الحق والحرية

افرض جدلا ان سيخونهم الحظ . فهل يليق بوطنيتنا ورجولتنا وشجاعتنا أن نقابل حتى هذا الاحتمال بالتسليم والاستسلام ؟ أو ان الواجب هو ان نستعد لهذه الحالة بحيث نضاعف وسائل الدفاع عن انفسنا وندعم أسباب وقايتنا من العدوان حتى اذا ماتعرضت سلامتنا للخطر بادرنا الى الدفاع ورد العدوان الذى يراد ان يلحق البلاد ؟

يجب أن يدرك المعتدى اننا قد يفرض علينا الضيم ولكننا لانقبله بحال من الاحوال ولانرضى التسليم به

ولعل ماضينا القريب هو الذى يملى علينا هذه السياسة فقد مضى الشعب زمنا طويلا يكافح الانجليز — على سطوتهم وقوتهم — ويبذل فى سبيل آماله التضحيات الجسام ولم يكن له فى كفاحه هذا عدة سوى العزيمة الماضية والاخلاص الصحيح . هذا الماضى القريب الذى يفرض علينا — فى غير تردد ولامبالاة — ان ننفر للدفاع عن بلادنا اذا ماتعرضت سلامتها للخطر

أنا لاأدعو الى الحرب ولاأرجو ان لايلحق أذى ببلادنا وأتمنى ان نوفق الى تجنب مخاطرها ولكن لايحملنى هذا على النكوص عن الدفاع عنها ودفع غائلة

العدوان اذا تعرضت سلامتها للخطر . هذا ما أريد أن يكون واضحا ومعروفا لدى الجميع .

كنت فى الاسكندرية فى الأسبوعين الماضيين واتصلت بحضرات نوابها كما اتصلت بحضرات رؤساء وأعضاء اللجان الفرعية بها . وقد سرنى أن أستشف فيهم — بعد أن تكلمنا فى الموضوع — روحا وثابة الى الدفاع عن الوطن مستعدة للتضحية فى هذه السبيل بل لقد بادرنى هؤلاء الكرام — وهم كما تعلمون من صميم الشعب — بسؤال عما أعددنا لدفع الخطر عن بلادنا .

وانى أصدقكم أنى حرت جوابا أمام وطنيتهم وشجاعتهم ولم أجد سوى جواب واحد وهو أنه يجب أن نعد أنفسنا بالاتحاد والتضافر وعندئذ تتحقق لدينا وسائل العمل جميعا وقلت لهم ان فى توجهنا وجهة واحدة فى خدمة بلادنا أكبر دعامة للوصول الى غرضنا وتهيئة السبل للدفاع عنها دفاعا صادقا مجيدا .

وبودى أن أختم حديثى الى حضراتكم بفكاهة طريفة وذلك انه وصلنى خطاب باللغة الفرنسية يسألنى صاحبه — ولعله ايطالى — عن سر تحولى من حرب الانجليز الى الدفاع عن قضيتهم وتأييدها .

وأنا أجيبه كما طلب منى بأننى حقيقة حاربت الانجليز دفاعا عن استقلال بلادى وأنا أحارب اليوم معهم دفاعا عن استقلالها أيضا . فقد انتهينا واياهم الى معاهدة هى حلف بيننا وعهد قطعناه على أنفسنا أن نتعاون ونتساند ونتعامل معاملة الحر للحر .

وقد اعتبرنا هذه المعاهدة خطوة موفقة فى سبيل تحقيق آمالنا كاملة . فالسبب الذى حاربنا الانجليز بالأمس من أجله هو الذى يدعونا اليوم لأن نحارب معهم والذى يدعونا أن نعد العدة للدفاع عن بلادنا ضد كل عدوان .

وقد ذكر لى كاتب الخطاب بمصائر دلاديه وينو وبنيش وغيرهم من الساسة الذين قضت ظروف الحرب، عليهم بمغادرة بلادهم والرحيل عنها مكرهين الى بلاد أخرى . وحذرنى من أن يكون مصيرى كمصير هؤلاء .

وانى أعلن أنى لن أغادر بلادى وسأقيم فيها للدفاع والذود عن حياضها مهما

كلفنى هذا الأمر من تضحيات ولو مت فى هذا السبيل إذ لا قيمة لحياة الانسان مالم تعزز بالكرامة والايمان والواجب .

كذلك ذكرنى كاتب الخطاب، بأنى تلميذ سعد العامل على مبادئه . ويشرفنى ويشرف هذه المبادىء نفسها أن يكون سبيلها الاخلاص فى الدفاع عن الوطن ورد عادية المعتدين عليه .

الى هنا انتهت كلمتى وكنت أود أن يكون دولة صدقى باشا بيننا فى هذا الاجتماع لنتداول فى الأمر ونتناقش فيـــه ولكننى علمت مع الأسف أنه متوعك وانه اضطر الى الاعتكاف اليوم فأسفت لأننا حرمنا من هـذه الفرصـة التى نتبادل الرأى فيها إذ الغرض الذى نسعى اليـه هو أن تتوحد آراؤنا فى الاتجاه الصحيح الذى نخدم به بلادنا .

حضرات السادة :

أســـأل الله أن يوفقنا الى خير طريق للدفاع عن بلادنا وأن يهيىء لشعبنا التوفيق والفلاح وأن يرفع عن كاهل الانسانية شرور الحرب وأن يعيد السلام الى جميع الأرجاء .

* * *

أعمال خالدة ...

(خطاب لمعالى الدكتور ماهر باشا رئيس النواب فى فض الدورة البرلمانية وفيه يشيد بالتعاون بين البرلمان والحكومة وفضل الحياة النيابية على البلاد فى ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٤٠) .

حضرات النواب المحترمين :

كان فى نيتى أن اتبع اليوم ما جرت به عادتى من عدم القاء كلمة أختتم بها الدورة البرلمانية . وذلك جريا على سنة الاقتصاد فى القول والاعتداد بالعمل الصالح وما له من آثار . غير أنه غلبتنى فى هذه المرة عوامل الرغبة فى التعبير عن شعورى وشعوركم بالنسبة لبعض المظاهر التى تجلت فى أعمالنا خلال هذه الدورة. ولقد كان للتكوين الذى قام عليه مجلسنا الموقر الحالى بعض الأثر فى خروجى عن الصمت الى الكلام .

فمجلسنا هو أول مجلس - عرفته البلاد منذ قامت الحياة النيابية - حافظ على موازنة حقيقية بين الآراء والمذاهب السياسية المختلفة ومما ساعد على ذلك وجود عدد كبير من الأعضاء المستقلين عرفوا برجاحة الرأى والماضى المجيد فى خدمة البلاد

ولقد كانت هذه الموازنة فى حياتنا النيابية عونا كبيرا على التماس أصلح الاراء واتباع أسلم الخطط فى كل ما عرض على حضراتكم من مختلف الشؤون بل لقد أدى ذلك وساعدت الروح الطيبة التى سادت الهيئات الحزبية فى هذا المجلس على التماس المصلحة الحقيقية المنزهة عن الأغراض عند النظر فى شؤون البلاد .

فاذا تجاوزنا النظر فى نطاق الأعمال داخل هذا المجلس الموقر الى آثار هذه الحالة بالنسبة للحياة النيابية الدستورية فى البلاد فلست أعدو الحقيقة اذا قلت أن مجلسنا الموقر وقد تحققت فى ظلاله لنواب الأمة الحرية التامة والصراحة فى ابداء الآراء وعدم التقيد تقيدا ضيقا بالاعتبارات الحزبية ، أقول لست أعدو الحقيقة اذا ذكرت أن مجلسكم قد خدم الحرية فى البلاد وخدم الحياة النيابية خدمة حقيقية بعيدة المدى وقضى بذلك على آثار حالة من التورط الحزبى كانت على الدوام مطمنا من المطاعن القاسية التى توجه للحياة النيابية

حضرات النواب المحترمين :

ان الصراع الناشب الآن فى أنحاء العالم يمكن أن يتخلص بالنسبة لما نحن بصدده فى صورة عراك بين الديموقراطية والدكتاتورية . وكل نظام من النظامين المتعاركين يلتمس — ان حقا وان باطلا — وسائل تجريح النظام الآخر وتعييبه والعمل على الانتقاص من قدره وابراز مزايا نفسه وترغيب الأقوام فيه وفى اعتبارى أنه بالنسبة لهـــذه الحالة على الخصوص أصبح واجب المسئولين عن سلامة النظام النيابى وتدعيم أسبابه مضاعفا وغدا فرضا عليهم العمل على أن ينزهوه قدر استطاعتهم من شوائب الانحراف وأن يقوموا من مآخذه ويدعموا من أسبابه بالتوفر على حسن القيام عليه والاضطلاع بأعبائه .

وليس ثمة دعامة يمكن أن تدعم بها الحياة النيابية ولا سند يمكن أن تقوم به الحياة الدستورية أقوى من أشاعة الحرية الصحيحة بين القائمين عليه والمتمتعين به والمستظلين بظله . كما يجب أن يقترن العمل فى ظل الدستور بروح التضحية وانكار الذات وتحرى المصلحة العامة وتنكب ما يمكن أن يشتم منه رائحة التميز او الانتفاع .

ويطيب لى يا حضرات الزملاء أن أقرر فى هذا المقام أنكم خطوتم فى هذه السبل الموفقة خطوات واسعة مباركة . يتقاسم الفضل فيها سائر الأعضاء من الأحزاب كانوا أو من المستقلين .

هذه يا حضرات الزملاء هى المشاعر التى حفزتنى الى الكلام فيكم بمناسبة

انتهاء هذه الدورة : ورجائى أن تكون هذه الآراء نبراسا نهتدى به على الدوام فى أعمالنا المستقبلة .

كما يسرنى أن أشيد بالجهود الطيبة التى بذلها مجلسنا الموقر فى انجاز الأعمال المعهودة اليه . فقد كانت دورتنا بفضل جهودكم موفورة الثمرات . إذ سلخ المجلس فى نظر الأعمال المعروضة عليه تسعة شهور وأربعة أيام عقد فيها ستا وسبعين جلسة . وأنجز النظر فى ستة وخمسين مشروع قانون وستة وأربعين اقتراحا بقانون كما أنجز فيها خمسة وسبعين اقتراحا برغبة .

ولقد كانت رقابة حضراتكم على أعمال الحكومة ملحوظة النشاط فى هذه الدورة إذ بلغ عدد الاستجوابات الموجهة للحكومة ثلاثة وعشرين استجوابا وبلغ عدد الأسئلة مائتين وسبعة وستين سؤالا معظمها تميز بالأهمية والمناسبة والبعد عن العنت أو الاحراج .

فاذا انتقلنا من أعمال المجلس الى أعمال لجانه . لايسعنا إلا الثناء على حضرات رؤسائها وأعضائها على ما انفقوا من الجهود الكبيرة فى انجاز الأعمال والتوفر على البحث والتمحيص . وتقديم ثمرات أعمالهم الى المجلس لتكون مادة المناقشة فيه .

وبودى أن أشير بنوع خاص الى الجهد الصادق الذى بذلته لجنتا المالية والعدل فان الأولى قد عكفت على دراسة سبعة عشر مشروع قانون تقدمت بتقاريرها عنها الى المجلس الموقر . كما توفرت على دراسة أربعة وثلاثين اعتمادا اضافيا فوق ما تعلمونه حضراتكم مما يبذل عادة فى بحث ميزانية الدولة والدور الهام الذى تقوم به هذه اللجنة فى مناقشتها . ولعلى أعبر عن رأى حضراتكم جميعا فى اسداء جزيل الشكر ووافر الثناء الى حضرات رئيس هذه اللجنة وأعضائها على ما بذلوا وانفقوا فى سبيل الخدمة العامة طيلة هذه الدورة .

أما لجنة العدل فقد أنجزت دراسة ثانية مشروعات بقوانين . وثلاثة اقتراحات بقوانين وتقدمت بتقاريرها عنها جميعا الى المجلس ولايخفى على حضراتكم مقدار ما يحيط بأعمال اللجنة من دقائق الفنون القانونية والتشريعية وما يقتضيها

ذلك من زيادة التحرى والبحث والاستقصاء فجاءت تقاريرها القيمة عنوانا على الجهود الموفقه التى بذلت فى عملها فاستحق حضرة رئيسها وحضرات اعضائهم بذلك ثناء حضراتكم وحسن التقدير

ويسرنى ان اذكر بالثناء فوق ماتقدم ماقامت به لجنة العرائض فى هذه الدورة اذ انجزت النظر فى اربعمائة وواحدة واربعين عريضة وهى نتيجة تستحق ولاشك الشكر والامتنان

على ان الامر لايقف عند حد الاحصائيات التى اسلفت لحضراتكم . وانما تتميز هذه الدورة بالكثير من جلائل الاعمال التى نظرتموها حضراتكم فى خلالها والتى لايفوتنى ان اشير اليها اشارة مقرونة بالحمد والثناء .

فلقد صادفت هذه الدورة اتساع نطاق الحرب واقترابها من حدود البلاد وما استلزمه ذلك من اتخاذ اسباب الحيطة لدرء اخطارها او الاستعداد لها مما اضطر الى عقد دورة غير عادية للنظر فى المراسيم والمراسيم بقوانين التى صدرت فى عطلة البرلمان مما يتصل بهذه الحالة فكان من بين ماعرض على حضراتكم فى تلك الدورة غير العادية مرسوم اعلان الاحكام العرفيه ومراسيم بقوانين خاصة باحصاء المؤن اللازمة لرجال الجيش والسكان المدنيين وبالتدابير الاستثنائية التى تتخذ لتأمين سلامة البلاد وبمنع تصدير بعض المنتجات والبضائع وبأنشاء نظام تفتيش السفن بميناء الاسكندرية وبتسعيرة الاصناف الغذائية ومواد الحاجيات الاولية وبتنظيم اوامر الاستيلاء بموجب الاحكام العرفية وبتنظيم العمليات الخاصة بالنقود واوراق النقد الاجنبية وغير ذلك مما هم وجل من الشؤون . فلم يتوان مجلسنا فى سرعة النظر فى هذه المسائل الهامة وتقديم اصدق العون للحكومة للقيام بواجباتها على احسن وجه

فلما كانت الدورة العادية اقبل المجلس على القيام بواجبه بالتوفر والاخلاص الذى مكنه من سرعة انجاز الاعمال مع تحرى الدقة والضبط والمصلحة العامة فى كل ماعرض عليه

ولم يتوان عن النظر فى المشروعات بقوانين التى تتطلبها حالة الاحتياط

للطوارىء فبادر الى الموافقة على مشروعات القوانين الخاصة بالوقاية من الغارات الجوية وجوازات السفر واقامة الأجانب بمصر واضافة احكام جديدة الى قانون العقوبات خاصة بجرائم الاعتداء على جرحى الحرب والمنشئات الصحية للجيش وحماية شعار الهلال الاحمر والشعارات والأسماء المشبهة والمحافظة على النظام والتأديب فى البواخر وأخيرا مشروع قانون الجنايات والجنح المضرة بامن الحكومة من جهة الخارج .

وقد عمل المجلس الموقر على تدعيم اسس الحياة الاقتصادية فى البلاد فبادر بانجاز مشروعات القوانين بمد اجل الامتاز الخاص باصدار اوراق النقد الممنوح للبنك الاهلى المصرى وفرض ضريبة ايلولة على التركات وفرض ضريبة اضافية للدفاع ومنح تيسير للوفاء بالديون العقارية المقسطة .

وكان للفلاح نصيب موفور من نشاط حضراتكم . فقد نظرتم فى هذه الدورة مشرعات بقوانين على اعظم جانب من الاهمية بالنسبة لحالته . منها تخفيف الضريبة عن صغار ملاك الاراضى الزراعية ومنح الحكومة حق ضمان بعض القروض الممنوحة على القطن ، والترخيص للحكومة فى ضمان بعض القروض على القطن والتأمين الحكومى للقطن المحلوج ضد الاخطار الناتجة عن اعمال الحرب

ولقد كان لهذه الدورة فضل انجاز قانون نقابات العمال الذى طال عليه الزمن ولم يتحقق له الظهور الاعلى ايديكم . فكان ذلك عنوانا كريما على عطف المجلس على طوائف العمال ورغبته فى تحسين احوالهم وتنظيم شؤونهم . واخيرا توجت اعمالكم بالموافقة على مشروع القانون بالغاء صندوق الدين فزال بذلك آخر مظهر من مظاهر التدخل الاجنبى فى شؤن البلاد

هذه ياحضرات النواب بعض الامثلة على ماتميزبه نشاطكم فى هذه الدورة وهى عنوان على تحرى المجلس لكل ماهم وجل من شئون البلاد وسرعة النظر فيها وتحقيق المصلحة المنشودة على اكمل الوجوه

حضرات النواب المحترمين

اذا كان لنا أن نغتبط بهذه النتائج السعيدة التى انتهينا اليها فى أعمالنا ، فللحكومات التى تعاقبت فى هذه الدورة نصيب كبير من الفضل فى انجاز هذه الاعمال . إذ أن الحكومة فى أكثر الاحيان هى التى توجه النشاط البرلمانى وتمده بمادة فى العمل والانتاج

لذلك وجب على أن أنتهز هذه الفرصة لاشيد بالروح الطيبه التى أبدتها الحكومات المتعاقبة فى هذه الدورة فى التعاون مع المجلس تعاونا أساسه الاحترام المتبادل والاخلاص الصادق . فلقد كانت تلك الحكومات تعرض على المجلس أعمالها فى صراحة وجلاء وتستلهم منه العون والتأييد والثقة . وكان المجلس بدوره لايبخل بكل أولئك اعتمادا على اخلاص رجال تلك الحكومات ووطنيتهم وثقته بهم

ولعله مهما اختلفت وجهات النظر فى بعض المسائل السياسية فى هذا المجلس فانه مما لاشك فيه أن حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء وحضرات الوزراء يستحقون شكرنا وثناءنا على ماقاموا به من جليل الخدمات للبلاد . ويطيب لى أن أقرر أنه مهما اختلفت آراؤنا فلن يصرفنا ذلك عن الاقرار بفضل المحسنين والاشادة بذكر المخلصين وبهذا الروح تضيق الفروق وتتوجه الجهود على الدوام إلى خدمة الوطن خدمة صحيحة دون أن تعرقلها أو تعبث بها نوازع الاهواء

ولايفوتنى ياحضرات النواب المحترمين أن أذكر ماقام به حضرات زملائى أعضاء مكتب المجلس الذين أدوا واجباتهم فى هذه الدورة على اكمل وجه من الاخلاص والتعاون وكانوا مثالا كريما من أمثلة الزمالة الصادقة التى لاتتأثر باختلاف النزعات وانى لأنوب عن حضراتكم فى ابداء عظيم الشكر والامتنان لحضراتهم جميعا على ماأسلفوا من عمل صالح مشكور

كما يطيب لى أن أذكر بالثناء والاعجاب ماقام به حضرة السكرتير العام السابق للمجلس من الاعمال فى الدورة الماضية وابدى مزيد اسفى لحرمان

المجلس من كفاءته واخلاصه بسبب رغبته فى الاحالة على المعاش . وقد ضرب حضرته المثل فى كيف يكون الموظف المخلص النابه الذى تزدان به وظيفته والذى يجمع بين احترام ومحبة رؤسائه ومرؤوسيه على السواء .

كما أثنى أطيب الثناء على جميع موظفى سكرتيرية المجلس الذين واصلوا الليل بالنهار فى القيام باعمالهم ، فادوها على أحسن وأكمل وجه مما استحقوا عليه جميعا الشكر والثناء

حضرات النواب المحترمين

هذه صحيفة الحياة النيابية فى هذه الدورة تلك الحياة التى تؤيدها البلاد والتى يحيطها جلالة الملك المعظم بعطفه السامى وحدبه الكريم ، وانا لنبتهل الى الله أن يوفقنا جميعا الى حسن القيام عليها لنؤدى واجبنا نحو بلادنا ومليكنا الساهر على اسعاد رعيته أحسن الاداء . كما نسأله تعالى أن يهيىء لبلادنا أسباب السعادة والهنـاء

* * *

رثاء نبيل لنبيل

(فيما يلى نص الكلمات البليغة التى
ألقاها الشهيد أحمد ماهر فى تأبين المغفور
له محمد محمود باشا)

ان الأيام تمر ولا تزال ذكرى الرجل العظيم تتجدد من عام الى عام وتصعد فى درجات التكريم والاحترام مرتبة فوق مرتبة وكذلك شأن العظماء لا تقف حياتهم بانتهاء أيامهم فى الدنيا وانما تستأنف السير فى التاريخ بقدر ما أودعت صفحاته من عمل جليل وأثر كريم. وعبرة نافعة وسنة صالحة.

والتاريخ ناقد بصير وقاض عادل لا يخضع لسنة المجاملة ولا يتأثر بضجة الحياة ولا تنفسح سطوره إلا للباقيات الصالحات. وكثيرا ما ضاق وجه الحياة بسعى ساعين ونضال مزاحمين. فلما زالوا تجاهلهم التاريخ فلم يشغلوا من سجله سطرا ولم يحتلوا من صفحاته مقاما.

كان محمد محمود باشا بصيرا بهذا مؤمنا به. فكان أعزف الناس عن الضجة الفارغة والصخب والزيف وعاش متعلقا بالمثل العالى، والعمل المنتج الباقى.

وليس معنى هذا أننا عشنا دائما على وفاق فى الرأى بل كثيرا ما اختلفنا واحتفظ كل منا برايه وفكرته ولكن الذى لا جدال فيه ولا ريب هو أن محمد محمود باشا لا يصدر فى عمله إلا عن عقيدة صادقة وايمان. ولهذا كان محل احترام أنصار رأيه وخصومه على السواء أخطأ أو أصاب والخلاف فى الرأى من طبائع البشر ولاعيب فيه انما العيب أن تعتقد خطأ رأيك ولكنك تتمسك به عنادا وتجبرا واستغلالا لحسن ظن تابعيك ومريديك. ونكاية لخصمك واثارة للاحقاد العامة وتطليقا لصالح أمتك من تحقيق شهوتك، ذلك ما برىء

(٢) الشهيد وهو يخطب

(١) الشهيد و بجانبه المغفور له محمد محمود باشا

منه محمد محمود باشا فاستحق الاحترام والتكريم وضرب به المثل العـــالى لمن عاصره ولمن جاء بعده .

شهدته مصر حاكما إداريا فرأت فيه الساهر على واجبـه الحريص على نفع أمته النزيه الشريف يضرب أصدق المثل على صلاحية المصرى وأهليتـه لعظائم الأمور وجدارته بحفظ الأمانة واقتداره على حماية الضعيف حتى يصل الى حقه وكبح المعتدى حتى لا يطمع فى جانب ضعف ولا يأمن حد القانون

وشاهدته منا ضلا عن قضيتها فى طليعة من حملوا لواء المطالبة بالاستقلال وجاهدوا فى سبيله . وهكذا ترقى ذكرى العظماء فى مراتب الخلود عاما بعد عام .

حضرات السادة :

عند ما دعتنى اللجنة القومية لالقاء كلمة فى رثاء المغفور له محمد محمود باشا شكرتها . وشكرت الظروف التى هيأت لى فرصة أداء واجب أخير لصـــديق الراحل العظيم . ولم تكن رغبتى فى الكلام أخذا بما جرت به عادة الناس من التماس العزاء فى الفجائع بالرثاء . ولا سعيا وراء التحدث عن طيبات الفقيد ومآثره وانما فعلت لأن فى ذمتى لذلك الرجل النبيـــل أن أنشر ما طوى من فضائله وما غاب عن علم الكثيرين من مستور نبله ومحامده . فقد زاملنا الفقيد العزيز شطر حياته الأخير وتكشفت لنا نفسه عن أرفع مثل من أمثلة التفانى والتضحية وانكار الذات . فما كان أحرانا أن نستوحى للعبرة والمثل من حياته كتابا عامر الصفحات شامل العظات هو أغلى ما أورثه فقيدنا العظيم لبلاده وأمته .

واذا كانت حياته رحمه الله مما لا يحيط بمآثرها بيان أو يشتملها قول فقد حرصت ان أقصر قولى على ناحية من أمجد نواحى تلك الحياة العامرة بالمآثر والطيبات . تلك هى ناحية جهاده فى سبيل بلاده . اذ لا نكاد نذكر مرحلة من مراحل الجهاد إلا وللفقيد العظيم فيها أثر مشهود . ولم تظفر البـلاد بخير أو توفيق إلا وكانت يده رحمه الله من بين الايدى العاملة فيه والمهيئة له .

اسمعوا لى يا سادتى أن أحدثكم عن موقف فقيدنا العظيم فى المفاوضات

الأخيرة التى انتهت بعقد المعاهدة المصرية الانجليزية :

عند ما عرض على هيئة المفاوضين المصريين مشروع المعاهدة ومضوا فى بحثه وتقليب الرأى فيه كان يبدو على الفقيد فى خلال حديثه مع بعض منا نوع من القلق والحيرة نتيجة لما كان يلحظه على بعض نصوص المعاهدة من التراوح بين الشك واليقين وما كان يخشى أن يكون فى هذا التراوح ماينتقص من حقوق بلاده أو يعطل لها مصلحة . وكان رحمه الله يبصرنا بعواقب الثقة فيما تتراوح به نصوص المعاهدة . حتى لقد أوشك دوننا أن يرفض ما عرض علينا مبالغة منه فى الخوف على حقوق بلاده وزهدا منه فى ما ظنه نفعا سريعا قد يعقبه الندم .

ولقد سلخنا أياما نجاهد الفقيد علنا نثنى عناده فلم نوفق إلا أن نعاود معالجة ما كان يشكو منه ويتبرم ، وكان لموقفه رحمه الله وما أضفاه على الموقف من روح المبالغة فى الاستمساك ما هيأ لنا فرصا فزنا بها بالكثير لخير بلادنا ، وحتى بعد أن لانت قناته لرأينا بقى مقيما على تبرمه وقلقه . ووضع نصب عينيه أن نلتمس فى قابل الأيام فرصة استدراك ما فات فى مفاوضاتنا . حتى لقد غدا موقف الفقيد من المعاهدة برنامج حياته كلها . فلقد كرس شطر حياته الأخير لاستكمال نواحى النقص فيها ورفع ما ظن فيه حيفا ببلاده واجحافا بحقوقها . فلما ولى الحكم مضى فى سنته وراح يلتمس السبل للوصول الى بغيته ، ففاوض وسافر وجاهد رغم ما كان ينتابه رحمه الله من آلام ذوت بجسده ، ولكنها لم تنطفىء جذوة الوطنية المتقدة فى جنانه .

واذا كانت المنية قد عاجلته وقطعت عليه سبيل كفاحه وجهاده فأحرى بأصدقائه وأنصاره أن يتبعوا جهاده بجهادهم وكفاحه بكفاحهم وتضحياته بتضحياتهم وأن يتخذوا منه مثلا يحتذون حذوه وينسجون على منواله ليحققوا لبلادهم ما صبت اليه نفسه رحمه الله من مجد وسعادة وهناء .

واذا عرضت حديثى لحكمه فاسمحوا لى أنا الذى زاملته قرابة عام ونصف عام أن أحدثكم عن مآثره وما خفى من فضائله . فان عظماء النفوس لا يلحون على الأيام أن تنشر بين الناس فضائلهم ولا يصطنعون لذلك الوسائل والأساليب

عند ما دعى المغفور له محمد محمود باشا لولاية الحكم كانت البلاد فى مسيس الحاجة الى من يسمو بمقاصده فى الحكم عن شهوات النفس . ويبسط العدل فى أرجائها سواسية بين النـــاس ، فجهد رحمه الله حتى أعاد الطمأنينة الى النفوس وأشاع بينها المودة والتراحم وجهد فى ضم صفوف المتخاصمين المتباعدين ومد يده لسائر مواطنيه عله يفوز بجمع الكلمة وتوحيد الصفوف . وأحاط حكمه بألوان من المهابة والوقار ما كان أشد حاجة البلاد اليها فى ذلك الزمان . فمضى الناس جميعا يلتمسون من سيرته أحسن الأمثال وعمت أرجاء البلاد صنوف العدل والانصاف وبلغ رحمه الله من انكار ذاته مبلغا يذكر له على الأيام ، فكان لا يلتمس من الحكم نفعا لنفسه أو لذويه ولا يختص بعطفه ورعايته إلا من يترسم فيه الصدق والاخلاص .

ولقد كان من آثار تلك السياسة الحكيمة أن كان الناس ينسون منازعهم الحزبية فى سبيل اسداء العون الخالص لذلك الحكم الرشيد ، تحولت فى عهده الحزبية من التنافر والتعاون ما أجزل فائدتها وما أعظم خيرها ، وهكذا كانت البلاد تمضى فى صورة أحزاب مختلفة ولكنها متعاونة متساندة لا يرجو أحدها لأخيه الا الخير والنجاح . ولما رغب رحمه الله أن يزيد من أواصر التعاون وأن يشرك العاملين فى ادارة زمام البلاد وعرض على الهيئة السعدية ذلك لم تتردد فى تلبية ندائه اطمئنانا الى حكمته وقدرته ونزاهته فأسدت لحكومته أخلص المعاونة وكان رحمه الله يتخذ من نفسه أخا للجميع وصديقا للجميع ، فلم نكن نلحظ فيه رئيسا حزبيا وانما كنا نلمس فيه زعيما قوميا وصديقا أبيا ، اتصف حكمه بسداد الرأى وسعة الحيلة ونزاهة القصد . ولقد تطورت الزمالة بيننا الى صداقة ظفرنا بها وسعدنا بآثارها ، وأصدقكم يا سادتى أن حوادث الأيام وتقلبات الزمان لم تزد تلك الصداقة بيننا الا توثقا ونماء وهكذا يبارك الله فيما بين المرء وأخيـــه ماقام على الاخلاص والصدق ونبالة القصد . حتى أننا عندما فجعنا بفقده أحسسنا بخسارة البلاد فى زعيم كما أحسسنا بخسارتنا فى صديق حميم .

وقد كان رحمه الله لا يرفق بنفسه ولا بصحته اذا ما جد فى شؤون البلاد

ما يستدعى جهده وتوثبه . فقد بقى يغالب المرض الذى أورثه له طول الكد والعمل وبالغ الهم والتفكير ، ولم يكن يرضى أن يصرفه ذلك العارض الثقيل عما كانت البلاد محتاجة فيه اليه . ويمكننى أن أقول لحضراتكم أن فقيدنا العظيم قد خر صريع المرض فى أشرف ميدان من ميادين الحياة وهو ميدان الكفاح والجهاد فى سبيل الله والوطن . ولو ركن الى الراحة والسكينة والتمس من نعم الله عليه وبسطة عيشه ملاذا فى آخر أيامه لما عابه أحد ولكن النفوس الكبار لا تعيش إلا فى ظلال المعانى السامية والآمال الكبار . فبقى رحمه الله طول حياته والى آخر نسمة منها وليس له هم وليس له أمل إلا أن يشهد بلاده فى بسطة من السعادة والهناء .

ولما غادر الحكم بقى على حاله شديد الاحتفال بشؤون بلاده ، وبقينا ولا غنى لنا عن رأيه ومشورته كلما اختلفت بيننا وجوه الرأى ، فكنا نلتمس لديه الحكمة والموعظة وكان لا يبخل وهو على سرير مرضه أن يغالب العلة ليشترك وايانا فى السعى فى خدمة بلاده وبتحقيق السعادة لها . ولقد كانت سياسته على الدوام مطبوعة بطابع من الصدق والصراحة والاخلاص فلم يكن يميل الى المتابعة أو يجنح الى المجاملة حتى لقد أصبح فى آخر أيامه أشبه بزعيم قومى منه برئيس حزبى كانت البلاد فى أشد الحاجة اليه يوم مضى الى جوار ربه .

كان المغفور له محمد محمود باشا أحد الزعماء الذين علموا الناس أدب السياسة فليس فى ماضى حياته كلها ما يعيب عفة لسانه أو يخرج به عن الادب والحشمة والوقار حتى فى الايام التى ألحت الخصومة على الناس فأخرجتهم عن طابع الادب والوقار ، فانظروا يا سادتى الى الرجل الذى سلم لسانه كما سلمت يده عن شوائب الضعف والانحراف وقد مرت به أيام كان القول الرخيص أروج تجارة فى الاسواق .

هذا بعض خلق فقيدنا العظيم وهذه بعض نواحى حياته ان كان الناس على علم بها فلا شك أن قد خفيت عليهم وقائعها وأسرارها .

وكان الله يا سادتى قد أراد أن يعجل الثواب للفقيد العظيم على ما أحسن

فى دنياه فوهبه ذرية صالحة — أولاده الكرام — كملهم لله بالادب وحلاهم بالعلم وأفاء عليهم من روح أبيهم وشمائله فغدوا من خيرة من أنجبتهم البلاد شبابا . نفع الله بهم وطنهم وعوضهم عن فقد أبيهم العظيم بمقدار ما أحسن لبلاده وقومه وما أسلف من الطيبات .

فليسجل التاريخ ان كان لمصر من بين زعمائها زعيم نبيل عاش حياته لوطنه وقضى نحبه فى سبيل وطنه . وليقرأ أبناؤنا وأحفادنا فى تلك الحياة الغالية كتاب التضحية والنبل والاخلاص .

* * *

مأساة ٤ فبراير

نص للاحتجاج الذى ارسله المغفور له
شهيد الوطن احمد ماهر احتجاجا على
بريطانيا بمناسبة ماحدث يوم ٤ فبراير
سنة ١٩٤٢

ياصاحب السعادة :

أتشرف بأن أبلغ سعادتكم باسم جميع زملائى أعضاء الهيئة السعدية المجتمعين بهيئة جمعية عمومية فى ٦ — ٢ — ١٩٤٢ استنكارها الشديد للاعتداء الذى وقع منكم بصفتكم ممثلا لدولة بريطانيا على سيادة مصر واستقلالها .

ولقد كان ذلك الاعتداء المقصود المدبر ذا دورين لايقل أحدهما عن الآخر بعدا عن المشروعية وافتقارا الى المبرر ، ففى ٤ فبراير وبعد محاولات قصدتم بها الى الضغط والتأثير وجهتم الى حضرة صاحب الجلالة الملك انذارا نهائيا تطلبون فيه أن يعهد جلالته قبل الساعة السادسة من مساء ذلك اليوم الى مصطفى النحاس باشا بتأليف الوزارة المصرية وأنه فى حالة الرفض يتحمل جلالته مسئولية ماينجم عن ذلك .

وفى الساعة التاسعة من ذلك اليوم قرنتم التهديد بالتنفيذ فحاصرت القوات البريطانية القصر الملكى دون سابق انذار وجردت الحراس من سلاحهم ودهمت بابه الخارجى وفى هذه الاثناء حضر القائد العام للقوات البريطانية فى مصر بين أصوات النفير واقتحم القصر الملكى محوطا بجماعة من الضباط المسلحين وفى صحبتكم فتهيأ لكم بذلك أن تفرضوا على جلالة الملك بالتهديد ارادة حكومتكم وجاءت وزارة النحاس باشا وليدة هذا الاعتداء الشنيع .

هذه هى الوقائع واضحة لاتحتمل الانكار كما أن وصفها طبقا لاحكام القانون

الدول لايحتمل الجدل أو اللبس . ذلك أن فرض شخص بذاته على رئيس دولة مستقلة تختاره وتعينه دولة أجنبية لتأليف الوزارة يعتبر بلاشك تدخلا مباشرا فى شئونها الداخلية تأباه قواعد القانون الدولى وهو فى الوقت نفسه خرق لاتفاق دولى هو المعاهدة المصرية البريطانية الممضاة فى عام ١٩٣٦ والمسجلة فى عصبة الأمم تلك المعاهدة التى ضمنت استقلال مصر وسيادتها .

لذلك لم يسع المؤتمر الذى دعى الى قصر عابدين والذى ضم سبع عشرة شخصية سياسية رفيعة منها ستة من رؤساء الوزارات السابقين ورئيسا مجلس الشيوخ والنواب القائمين ورئيسا سابقان لمجلس النواب ومن بينها سبعة ممن وقعوا المعاهدة المصرية الانجليزية — أقول لم يسع هذا المؤتمر الا أن يصدر بالاجماع فى هذا الشأن القرار الآتى » .

« يتقدم المجتمعون الى جلالة الملك معلنين أن فى توجيه الانذار البريطانى اخلالا كبيرا بالمعاهدة المصرية البريطانية وباستقلال البلاد ومن أجل ذلك لايسع جلالة الملك أن يقبل مامن شأنه أن يخل بالمعاهدة أو باستقلال البلاد » .

هذا هو الحكم الصريح القاطع الذى أصدره هؤلاء المصريين العظام وكان من بينهم النحاس باشا نفسه والذين تولوا خلال العشرين سنة الأخيرة زمام الأمور فى البلاد ومعظمهم ممن تعاونوا معاونة صادقه مع الانجليز وكانوا من الداعين لتوثيق الصداقة بين مصر وبريطانيا .

ولقد زاد فى أثر ذلك الانذار ماقترن به من التهجم المسلح على سراى عابدين وهى المقام الذى يجب أن تظل حرمته فوق كل مساس . فكانت تلك الحركة العسكرية الفريدة فى تاريخ العلاقات بين البلدين اعتداء صريحا على سيادة مصر طبقا لأحكام القانون الدولى .

أفلا يحق لنا أن نتسائل بعد ذلك . . أليست بريطانيا اليوم فى حرب دفاعا عن مبدأى سيادة الدول وحرمة المعاهدات وانتصارا للعدل والمثل العليا التى يجب أن تقوم عليها علاقات الشعوب وحماية للأمم الصغيرة من بطش القوة . فكيف اذن تقع الحكومة البريطانية فى ذلك التناقض الصارخ

أنه مما لاشك فيه أن المعاهدة المصرية البريطانية قد انتهكت حرمتها فليس فى نصوصها ما يسمح للحكومة البريطانية بالتدخل فى شئوننا الداخلية . ولقد بلغ ذلك الاعتداء حدا من الوضوح والجلاء جعل النحاس باشا يلتمس الوسائل — عبثا — ويجهد نفسه ليخفى حقيقة أو يخفف من وقعها فكان أن اصطنع من ذينك الخطابين المتبادلين بين سعادتكم وبينه قبل أن يتم تشكيل وزارته ستارا لاخفاء الحقيقة غير أنه كان جهدا ضائعا إذ ولد هذان الخطابان على شيء بعد ذلك الاعتداء الذى شهدته البلاد فانما يدلان على تأكيد حدوث الاعتداء بدلا من التستر عليه .

أن مصر بامضاء معاهدة الصداقة والتحالف بينها وبين بريطانيا تلك المعاهدة التى اعترفت باستقلال مصر وسيادتها قد اعتقدت أنها ختمت عهد الاضطراب فى العلاقات بين البلدين وعلى الرغم من قيام بعض الصعوبات واحتكاك المصالح بعض الاحيان مما يحصل عادة ويحل سريعا فى مثل هذه الأحوال. فان المعاهدة بقيت إلى العهد الأخير مرعية الجانب من ناحية مصر وناحية بريطانيا على السواء .

غير أنه فجأة وبلا سبب ظاهر ترى مصر نفسها وقد عادت القهقرى إلى عهد الاحتلال والحماية حيث كانت الوزارات لاتقوم ولاتزول الا برضاء ممثل بريطانيا فى مصر على أنه حتى فى ذلك العهد لم يصل الأمر إلى تلك الصورة الصريحة السافرة التى اخترتموها سعادتكم فى هذا الاجراء الأخير .

فما هى الضرورة القصوى التى حملت الحكومة البريطانية على ذلك التحول الكبير ذى الاثر البعيد وعلى التنكر للمعاهدة على تلك الصورة وما هو السبب الذى حملها على هدم المبادىء العليا التى اعلنتها والتى يحارب العالم اليوم من أجلها . .

لقد حاولنا جاهدين البحث عن ذلك الدافع فلم نظفر له بوجود .

فهل نكصت مصر عن القيام بالتزاماتها ؟ كلا فمنذ قيام الحرب لم تف مصر بما فرضته عليها المعاهدة بدقة واخلاص فحسب بل تجاوزت ذلك الى تقديم

مساعدات لم تكن مما تضمنه التزاماتها .

ولم يفت الحكومة البريطانية فى مناسبات عديدة خلال الثلاث السنين الأخيرة ان تعلن اعترافها وارتياحها للمعونه التى تقدمها مصر فى سبيل قضية الديمقراطية كما تشهد بذلك التصريحات الرسمية وشبه الرسمية التى ألقاها رجال الحكومة الانجليزية . وحتى سعادتكم . . ألم تشيدوا خلال الأربعه عشر شهرا التى سلخها حسين سرى باشا فى الحكم بالمعاونة الصادقة المستمرة التى قدمتها مصر ؟ ألم تعلنوا ارتياحكم لذلك المرة بعد المرة والكرة بعد الكرة . ألم تبدوا هذا الارتياح منذ أسابيع بل منذ أيام قليلة قبل الأزمة الأخيرة وبعد استقالة حسين سرى باشا ؟ ألم تنوه الصحف اللندنية التى تعبر بلا شك عن رأى الدوائر الرسمية بالأثر العظيم الذى كان لمعونة الوزارة المستقيلة لمعونة الحلفاء ؟

انه لمن التناقض العجيب أن تعمدوا سعادتكم الى الحزب الذى طفق يعمل علنا وبكل قوة طورا داخل البرلمان وطورا خارجه سواء بنشر وثائق أو بالقاء خطب تذكرونها جيدا ضد كل مساعدة تقدم لبريطانيا العظمى . ذلك الحزب، الذى كان يوجه سهام نقده الى الوزارات المتعاقبة منذ قيام الحرب لما يسميه تفانيها فى مصلحة بريطانيا والذى كان يتهم بريطانيا بتسخير المعاهدة لمصلحتها على حساب مصر — أقول انه لمن التناقض العجيب أن تعمدوا الى القوة لتسندوا مناصب الحكم الى ذلك الحزب .

نعم ان سعادتكم الذين أسندتم اليه مناصب الحكم لأنه لا يمكن لكائن من كان أن يدعى أن موافقة جلالة الملك على ذلك وفى الظروف التى أوضحتها كانت موافقة حرة غير مكرهة .

هذا أما حالة البلاد الداخلية فلم يكن من شأنها أن تسبب لكم شيئا من القلق اذ أن الهدوء فى الأقاليم والمدن لم يكن أكمل ولا أشمل مما كان عليه فى الأيام الأخيرة فعلى الرغم من ظروف الحرب والقيود التى فرضتها وعلى الرغم من الأزمة الاقتصادية والصعوبات الناتجة من التموين بقيت البلاد ناعمة بالهدوء والسلام . اذا استثنينا بعض المظاهرات الضئيلة التى قام بها فريق من الطلبة

عندما قدمت وزارة حسين سرى باشا استقالتها . وحتى هذه فقد كان أكبر جانب فى تنظيمها والتشجيع على استمرارها راجعا الى ذوى المصلحة الكبرى فى سقوط الوزارة تلك المصلحة التى ظهرت وتأيدت بحلولهم محلها بمجرد سقوطها.

انكم يا صاحب السعادة لا تستطيعون أن تقنعونا بحال أن النحاس باشا لم يكن على علم بالنيات الخفيـــة التى اعتزمتموها وإلا فهل كان من المعقول أن تحتموا تشكيل وزارة وفدية بذلك الالحاح البالغ وتجازفوا فى هذا السبيل بتقديم انذار تؤيدونه بالقوة المسلحة لو لم تكونوا على يقين سابق وتأكيد صريح باتفاق النحاس باشا معكم اتفاقا تاما على تلك الخطة المبيتة . من العجب أن يتصور المرء خطورة لو أنكم بعد أن قطعتم فى سبيل خطتكم ذلك الشوط البعيـــد اصطدمتم بنزول النحاس باشا عن رأى السادة المؤتمرين بقصر عابدين وقبوله رأيهم وتنحيه آخر الأمر عن الدور الذى عهد انذاركم اليه لا يمكن أن يتصور الانسان أن تتركوا توقع ذلك للمصادفات .

ولقد قيل فى تبرير ما حدث بل على الأصح فى الاعتذار عما حصل أنكم بتداخلكم هذا انما تعملون وفق الأوضاع الديمقراطية لتقديركم أن الوفديين يمثلون الأغلبية . وهو عذر ما أوهاه . فلم يكن فى موقفكم الرسمى أو الشخصى طول الأربعة السنين الأخيرة مايفيد تنكركم للنظام القائم أو تبرمكم به من أجل ذلك كان من العجب انتظاركم طول هذه المدة حتى أوشك الدور التشريعى على نهايته ثم كشفكم أخيرا وفجأة عن رأيكم وعواطفكم واتخاذكم موقفا معينا فى هذا الخلاف الذى هو من اختصاص الأحزاب المصرية فيما بينها .

وعلى أى حال فنحن نود أن نقرر من جانبنا أن لا شأن لكم فى مثل هذا النزاع الذى يعتبر من صميم شؤوننا الداخلية والذى يجب أن يدور النقاش عليه والتصرف فيه بين المصريين وبرأيهم دون سواهم . هذا هو مبدؤنا وسنبقى على الدوام مستمسكين به حريصين عليه .

فعند ما أخذ النظام سنة ١٩٣٧ يجنح شيئا فشيئا الى الفاشيستية حل الامر فيما بيننا نحن المصريين كما أن الموقف الذى خلفتموه بحركتكم العنيفة الاخيرة

سيحل فيما بيننا نحن المصريين وان كنتم تعتبرون أول المسؤولين عنه .

وعلى ذكر الديمقراطيـــة فى ظل الوفديين الاخيرين اسمحوا لى أن أعود بذاكرتكم الى صروف الارهاب التى فرضت على البلاد فى عهد الوزارة النجاسية السابقة بواسطة فرق القمصان الزرقاء التى صورت تقليدا لفرق الهجوم النازية

فاذا طرحنا الماضى ونظرنا الى الحاضر فانى أسائل سعادتكم هل رأيتم كيف كمت الصحف كما . وكيف أخفيت عن الرأى العام الاحداث الكبرى الجارية فى البلاد واختلطت عليه الامور وقلبت الحقائق فقد كان لى الشرف أن أوجه لكم غداة اعتـــدائكم المسلح بصفتى رئيسا لمجلس النواب احتجاجا على ذلك فمنعت الرقابة أية أشارة اليه فى الصحف وعقد الحزب الذى أتشرف برئاسته جمعية عمومية وكذلك عقد حزب الاحرار الدستوريين وأصدر كل من الحزبين قرارات ورسم خططا للعمل وأعد بيانا للنشر . فهل رأيتم من هذا فى الصحف شيئا . وهل قرأتم كلمة فيها عن رأى هذين الحزبين الكبيرين فى الاحداث الهامة المحيطة بالبلاد . أو حتى رأيا فرديا لكائن من كان من رجال السياسة المصريين من غير الوفديين .

فهل هذه هى الديمقراطية التى كنتم تتمنون بسط ظلالها على بلادنا ؟

ولكى تصنع الحكومة الجديدة الديمقراطيـة على أساس ثابت شرعت فى اجراء انتخابات عامة فكانت فاتحة أعمالها أن ضمت رسميا الى اللجان المختصـــة بتحديد الدوائر أعضاء من غير الموظفين الى كل منها وهو عمل لم يسبق له مثيل فتبين عند نشر الأسماء أن سائر من عين من الأعضاء من كبار الوفديين ضمانا لاشراف الوفد على عمليـــة الانتخابات . فما أعجب هذا العمل وكم ينتظر من أمثاله وشر منه فى عملية الانتخابات . أن الأحكام العرفية بما تحمل من صفوف التحكم ستلعب ولا شك دورا هاما فى هذا الميدان . كما أن الرقابة ستأخذ على عاتقها اسدال ستار من الصمت على كل ما يجرى من عبث بالقانون .

فما سبق جميعه لم نستطع أن نتبين العلة الحقيقية أو على الأقل العذر فيما وجه لمصر من اهانة ، تلك الاهانة التى ليس ثمة من حافز عليها أو دافع اليها .

قد يكون للحكومة البريطانية مآخذ على مصر ولكن لم يكن مثل هذا حاصلا بين بريطانيا وحلفائها الآخرين . كما هو حاصل بينها وبين باقى أجزاء أمبراطوريتها . أليس هذا مما تقتضيه الظروف والملابسات . وهى على ما تعلم فى الوقت الحاضر من الاضطراب والعناء .

على أنه مهما تكن المآخذ التى كانت تشعر بها الحكومة البريطانية بالنسبة للمصريين قائمة على أساس ومهما بولغ فى أهميتها بالنسبة لظروف الحرب فلم تكن تستوجب بحال التدابير العنيفة التى لجأتم اليها وما جرته وتجره حتما من الاضطراب .

ان العمل الذى قمتم به يا صاحب السعادة بالغ الخطر سواء فى ذاته أو فى مداه ونتائجه الحتمية .

فاقدامكم على الاخلال بالمعاهدات القائمة واستهانتكم بالقواعد المقررة فى القانون أضر اضرارا أدبيا بسمعة بريطانيا كما أضر بقضية الديمقراطية أشد الضرر وكذلك ألحقتم بعملكم هذا أذى بالغا بمصر سواء بجرح كرامتها الوطنية أو بخلق حالة داخلية بالقوة ستسبب بلا شك رد فعل وما يصحبه من عدم الاستقرار والاضطراب السياسى .

وأخيرا . أضررتم بالصلات بين البلدين فتأخر بذلك قيام عهد من التعاون الصادق الوثيق بينهما .

ان الهيئة السعدية وهى من أشد أنصار الديمقراطية لم تتأخر منذ الساعة الأولى عن بذل معاونتها الكاملة لقضيتها ولم تن عن التأكيد بأن بريطانيا فى الظروف العالمية الحاضرة تعتبر المعقل الاخير للحريات الديموقراطية وأن فى تأييد الاولى نصر للاخيرة . لذلك تأسف الهيئة أشد الاسف إذ ترى أنه بسبب خطتكم ستصبح مهمة الداعين الى هذه المبادىء صعبة كثيرة العقبات .

أما بعد . فان الهيئة السعدية كانت تعمل على الدوام لتوثيق الروابط بين بريطانيا ومصر على اعتبار أن مصالح البلدين مشتركة ، وبالرغم مما تحس به من مرارة الحادث الاخير ، فانها تأمل أن تتيح الظروف إصلاح ما أفسد

وأرجو يا صاحب السعادة فى الختام ان تتقبلوا فائق الاحترام .

صفحة من التاريخ ...

(على أثر تأليف الوزارة النحاسية فى ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ قررت الوزارة اجراء انتخابات عامة لمجلس النواب فبعث المغفور له الدكتور أحمد ماهر الى رفعة النحاس باشا هذا الكتاب يطلب فيه رفع الأحكام العرفية لأنه لم تجر انتخابات عامة فى بلد من بلدان العالم تحت الحكم العرفى :)
وفيما يلى نصه :

حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا رئيس الحكومة

قررت حكومتكم اجراء الانتخابات العامة لمجلس النواب الجديد الذى دعى الى الاجتماع يوم ٣٠ مارس سنة ١٩٤٢

ومنذ وليت وزارتكم الحكم لم يسمح لأحد من معارضيها أن يعلن رأيا ، أو يصحح واقعة ، أو يناقش بيانا ، مما تعرضتم له وجعلتم الصحف جميعها وقفا على نشره بحكم الرقابة الصحفية

ولعلكم تذكرون ما كان من اعتراضكم الشديد واحتجاجكم الدائم على آثار الحكم العرفى ورقابة الصحف خاصة فى حرية الرأى ، مع ما كان مباحا لكم من نقد لأعمال الحكومات المختلفة

فاذا كان هذا أمر الحكومات السابقة معكم فى عهد الحكم العرفى ولم تكن هناك انتخابات يمهد لها ، ولا أحداث جسام كالتى وقعت بالبلاد أخيرا ، ورأيتم يومئذ أن ما سمح لكم به غير كاف ، أفلا يكون من واجب العدل عليكم أن تسمحوا اليوم لغيركم بمثل ما سمح لكم به ؟ .

لقد أخذت حكومتكم من أول يوم لها توجه الرأى العام الوجهة التى تراها

صالحة للدفاع عن وجودها ومواقفها واستعملت في ذلك كل وسائل النشر والدعاية من خطابة وكتابة، وكيفت الوقائع وصورتها على غير حقيقتها، وعبثا حاولت الهيئات السياسية المختلفة — بفعل الحكم العرفي والرقابة على الصحف — أن تجد منفذا تطل منه برأيها على الجمهور، هذا الجمهور المدعو لاختيار نوابه في الأيام القليلة القابلة والذي لا يمكنه أن يختار وليس أمامه غير رأي واحد يذاع ويعلن. أما بقية الآراء فمكتومة مخنوقة.

وإنا في غنى عن التذكرة بانه لم تجر انتخابات عامة في بلد من بلاد العالم تحت الحكم العرفي. فاذا طالبنا بذلك فانما نطالب حقا طبيعيا تواضعت عليه الامم جميعا بلا خلاف

على انه لا يفوتني ان الفت نظركم الى بوادر العدوان التي وقعت من انصاركم على معارضيكم جهرة في وضح النهار وخفية في غسق الليل، بل تكبون عدوانهم تحت نظر البوليس وهو لا يتحرك لنجدة من يعتدى عليه حذرا من سلطان الحكومة وشعورا بانها لا تقصد جديا الى منع ذلك.. ومهما يكن من بلغ ضغط المعتدى عليهم لشعورهم فانهم والحالة هذه ملزمون بالدفاع عن اموالهم وانفسهم فتسود الفوضى نتيجة لتخلي الحكومة عن حماية القانون، وهو ما لا يرضى لبلده ذو قلب او ضمير

ولرفعتكم ان تسألوا عما وقع من عدوان مساء أمس على منزل حضرة عبد الحميد البنان بك نائب الجمالية السابق وما يحدث كل يوم من عدوان مثله وشر منه على سواه في غير جهة كالجيزة وغيرها

اذا كان هذا يقع الان قبل المعركة الانتخابية، وفي عاصمة البلاد، فلنا أن نسائل أنفسنا ماذا عسى ان يقع في الريف خصوصا يوم يشتد التنافس بين المرشحين من اجل ذلك اراني واجبا على ان أبادر الى مطالب رفع الاحكام العسكرية عن كل ما له علاقة بتوجيه الرأي العام في الانتخابات وفي اجرائها، وأرجو ان تعلنوا ذلك من الان ليجد كل مواطن فرصة لاداء واجبه والتمتع بحق من أقدس الحقوق العامة

رفض

وقد رفض رفعة النحاس باشا هذا الطلب بكتاب قال فيه « انكم تحاولون ايقاظ الفتنة بعد ان انمناها وتجديد الازمة بعد ان ازحناها »

واختتم كتابه قائلا : « اما ان تطلبوا وقف الاحكام العرفية والرقابة الصحفية بعد ما بيناه ، فهو وحده دليل سوء النية وليس لنا من رد عليه الا الرفض المطلق الصريح وتفضلوا سعادتكم بقبول فائق الاحترام »

وقد رد المغفور له الدكتور ماهر باشا على هذا الكتاب بالكتاب التالى الذى حيل بين نشره فى الصحافة طيلة العهد النحاسى وهذا نصه

القاهرة فى ٢٦ — ٢ — ٩٤٢

حضرة صاحب المقام الرفيع

ذكرت فى كتابى اليكم بتاريخ ١٤ فبراير سنة ١٩٤٢ انكم منذ وليتم الحكم لم تسمح لأحد من معارضيكم أن يعلن رأيا ، أو يصحح واقعة ، أو يرد على حملاتكم الظالمة التى وقفت الصحف على نشرها بحكم الرقابة الصحفية ، وطالبتكم بما يقضى به أول الواجبات عليكم ، وهو أن تسمحوا لغيركم بمثل ماسمح لكم به وأنتم خارج الحكم . فذكرتم فى ردكم أنكم كنتم تتكرون باسم الأمة مجلس النواب السابق الذى تدعون أنه زيف عليها . ولو كان ما تدعونه حقا لاقتضى منع رفعتكم من الخطابة والنشر . على أن من بين الحكومات السابقة التى شملها اتهامكم من ظفرت بثقة نوابكم وتأييدهم فى المجلس السابق . فهل أنتم تجدون حقا حين تطعنون على الحكومات التى استحقت تأييدكم وثقة نوابكم .

أمن يدعى الحرص على سلامة تمثيل رأى الأمة ويرضى لنفسه أو لتلك الأمة . أن تدعى الى انتخابات تحت سيف الحكم العرفى المصلت ، دون أن يسمح للمعارضة أن تبين سبب هذه الانتخابات كما نرى ، وكما هو الحق ، وكيف جرت الحوادث بفرض الحكومة القائمة واملائها من سلطة أجنبية ، املاء أضر باستقلال البلاد ونال منها ؟

أهل ترون المجلس الذى يولد فى هذا الجو المظلم ، والحقائق محبوسة بفعلكم عن الناخبين ، مجلس يمثل ارادة الأمة .

وما دمتم تريدون أن تحتكروا لأنفسكم تمثيل الأمة ، والكلام باسمها ، والتعبير عن رأيها ، فما الذى يخيفكم أن يعلن لها ما حصل من اعتداء مسلح على استقلالها .

ألستم تدعون كل يوم أنكم أنقذتم الموقف ومنعتم الكارثة . فلم لاتريدون نشر حقيقة وقعت ليزيد تعلق البلاد بكم ، وتأييد الأمة لكم ان صح ما تدعون أم تخشون بيان الوقائع مجردة عن كل تعليق ، لعلمكم أنها تنطق وحدها بأنكم مشتركون فى تدبير هذا الاعتداء المسلح على استقلال البلاد . وان ذلك كان الطريق الذى منه وصلتم الى كراسى الحكم .

كتابى هذا بين نقطا لا يرتقى اليها الشك أعود فأذكرها مختصرة .

بينت أنه لم يأخذ بلد من بلاد العالم بفكرة اجراء انتخابات عامة فى ظل الحكم العرفى واننا نطلب حقا تواضع الناس عليه قاطبة . وجاء ردكم خلوا من نفى الأساس الذى بنيت عليه طلبى هذا . وقلت لكم أنكم طالما ملأتم الدنيا صراخا برفع الأحكام بل انكم فوق ذلك ناديتم بألا ضرورة لها مع قيام الحرب ورفض رجالكم فى المجلسين الموافقة عليها . ولكنكم اليوم ترون الوطنية تأبى أى انكماش لظل الحكم العرفى ، حتى فى فترة الانتخابات ، فأين كانت وطنيتكم هذه يوم عارضتم قيام الأحكام العرفية ، وملأتم الدنيا صراخا بأنها اجراء ظالم لا مبرر له .

وتدعون بعد ذلك أنه ليس أحرص منكم على حرية الانتخابات وحرية الرأى فهل خيل لكم أن بالعقول مسا حتى نصدق دعواكم .

تقولون انكم ببقاء الحكم العرفى تدفعون الفتنة .

أية فتنة هذه التى تخشونها ؟ والفتنة لا تقوم إلا فى ظلكم وحماكم . ولا وكر لها إلا بين أتباعكم .

ونذكركم بالعدوان الذى وقع على رجال المعارضة ، فتقولون بأنها حادثة

فردية وكل الى النيـــابة أمرها ، والحوادث كثيرة متعددة تسترونها بالرقابة الصحفيـة عن الجمهور . ولو سمح بنشرها — وأنتم تعلمونها — إذن لزاد الرأى العام علما بمبلغ جرأتـكم على الحق . وأنتم اليوم المسئون عن الامن العام .

لقد حوصر قصر الملك . فلم يسمح للناس بعلم ذلك . فماذا يكون ما تخفونه مما يقع على الأفراد الى جانب هذا ؟

وعاودتكم الأدوار القديمة بهواجس الدسيسة من اعراض عـذاب ضميركم بذكرى ولايتـكم الحكم . وهى ذكرى أليمة ستبقى جاثمة على صدركم ، أثقل من أدوات الحرب التى أحاطت بالقصر الملـكى . وأملت اسمكم املاء لولاية الوزارة بالانذار المسلح المشئوم . ولنا أن ننتظر من مثل هذه الاعراض صورا أعجب من هذا وأغرب ، فهى جزاء الله العـاجل لـكل من اجترأ على حقوق البـلاد جرأتـكم . .

وانـكم لتعلمون أنى إذ أقول هـذا انما أورد ما سبق لى أن حكمت ، على قبولـكم الحكم فى تلك الظروف القائمة حكما صريحا . فى مواجهتكم ، وبحضور جمع من عظماء مصر فى القصر الملـكى لم ينـكره واحد منهم ، وأسمعتـكم أنـكم جئتم الى الحـكم بسند الحراب البريطانية . وطلبت منـكم ان تتدبروا مقدار مسئوليتـكم بإقدامكم على ولاية الحكم . والقصر محـــاصر بمختلف القوات العسكرية البريطانية تأييدا لانذار صريح بإسناد الوزارة اليكم . ليس فقط أمام ضميركم ومليـككم ووطنـكم . بل أيضا أمام ربكم وأمام التاريخ .

ولا زلت يا صاحب المقام الرفيع عنـــد رأيى . ولن اتخلف عنه . فما أنا بحاجة الى دس ولا دسيسة . وكل من يعرفنى يعلم أننى رجل أواجه بما أعتقد . وأعلن كل ما فى نفسى .

واذا كنتم تعتقدون أن رأيى باطل . فلماذا لا تسمحون بنشره على الجمهور وتفندونه .

تقولون لو أن الامر متعلق بشخصكم لنازلتمونا فى الميدان والظروف وبالأسلحة

التى نختار لننظر أينا أعز قبيلا . وأولى بكم أن تقولوا : لولا أن الامر منعلق بشخصنا لنازلناكم الخ .

أنشر نص الانذار البريطانى يا صاحب المقـــام الرفيع . وتعال تنزل الى الميدان نعرض أمرنا على الناخبين . وسنرى أن لا قبيـل لك من المصريين . بل لترين قبيلك صفوف الدبابات والحراب الانجليزية التى حملتك الى الحكم حملا وأملت اسمك املاء لم يسجل تاريخ الحكم أخزى منه ولا أذل .

لم يطر بزوال السلطان لبكما تدعون بل الصحيح انه من أجل الحكم وسلطانه طار لب رفعتكم . فقبلتم الحكم على أسنة الرماح البريطانيـة . وعلى حسـاب استقلال البـلاد . وزين لـكم أن تستروا تلك المأسـاة بكتابين تبادلتموهما مع السفير البريطانى تدعون أنكم رددتم بهما على مصر حقوقها وصنتم كرامتهـا وأنقذتم استقلالها الذى أضاعوه .

فكيف ضيع الاستقلال ؟ ألاتسمحون للرأى العام بالاطلاع على تفاصيل هذه المأساة ليعرف أمرها . ويتحاشى فى المستقبل الوقوع فى مثلها . ثم ليعرف لـكم هذا الفضل الـكبير الذى شاء تواضعكم أن تخفى مقدماته وتعلن نتائجه كيف يؤمن الناس بالانقاذ وأنت تكتم عنهـا الكارثة التى أنقذت البـــلاد واستقلالها منها .

نحن نرى أنك طرف فى مأساة العـــدوان على الاستقلال . وأن وجودك فى الحكم أكبر الدليل عليه ، وأن الـكتابين لعبة تنم عن شىء واحد هو محاولة ستر الحقائق عن الجمهور ، بل نرى فيهما فوق ذلك دليلا مؤكدا للعدوان واقراره من جانبكم ، فلمـاذا لا تذاع الوقائع كاملة ، لماذا لا تنشرون محضرا كاملا من جلسة الاستشارة فى سراى عابدين ، لماذا لا ينشر نص الرد الذى أشير به من الحاضرين — ورفعتكم من بينهم — على جلالة الملك .

أنشر كل هذا أولا وتعال بعد نحتكم الى الجمهور .

أنت اليوم تحمى عملك بالحكم العرفى ، وأنت أول القائلين بأنه لا تتحقق فى ظلاله حرية ولا تصح انتخابات عامة فكيف تدعو معارضيك الى ما تـكلت

عنه ، مع فارق أنهم سمحوا لك من حرية القول بما حرمته عليهم تحريما مطلقا .

أرأيت بعد ذلك أن مانعك الوحيد من اجابة طلباتنا الحقة لم يكن صالح الوطن ، وانما هو صالحك الشخصى فى اخفاء مسؤوليتك والسبيل الذى وردت به الى الحكم .

استتر بالحكم العرفى قليـــلا أو طويلا فان حكم التاريخ لا فرار منه ولا معدى . .

بعدما أوغلت فيه من ظالم التهم . وباطل الدعاوى ، رجعت فى آخر خطابك تقول أنك لاتميل الى أن تطيل جدالنا . ولعمر الحق ماهديت إلا الى قول قوم نوح حين أخذتهم حجة الحق فماروا فيهـا « قالوا يا نوح قد جادلتنـا فاكثرت جدالنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصـــادقين وقد جاءهم من الله ما يستحقون وأنجى الله نوحا والذين آمنوا وكانوا يتقون»

وتفضلوا يا صاحب المقام الرفيع بقبول فائق الاحترام

احمد ماهر

رئيس الهيئة السعدية

يوم الثورة

(من خطاب للزعيم الشهيد القاه فى نادى سعد زغلول يوم الاحتفال بذكرى الجهاد الوطنى سنة ١٩٤٣ وقد حالت الاحكام العرفيه عن نشر هذا الخطاب)

... ان يوم ١٣ نوفمبر يوم عيد فاذا احتفلنا به فانما نحتفل بالاغراض النبيلة التى اجمع عليها الشعب المصرى وصمم على تحقيقها والوصول اليها فهو يومنا بحق يوم نهضتنا يوم كرامتنا وحريتنا يوم ثورتنا، يذكرنا بالنهضة ورجالها وحركتنا القومية وزعمائنا يذكرنا بالجهاد وضحاياه وبالشهداء الذين قدموا رقابهم على مذبح التضحية فى سبيل مصر واعزازها فلنقف برهة خاشعين لهذه الذكرى المجيدة مترحمين على تلك الدماء الزكية التى أريقت على أرض الوطن من القوة الغاشمة

والحق أيها السادة فان هذا اليوم لا كسائر الايام بل هو يذكرنا بسعد وصحابه وبتلك الزيارة التاريخية وما جرى بعدها من أحداث .

ففى ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ تقدم الى ميدان الجهاد الوطنى ثلاثة من رجال مصر المعروفين هم زعيمنا الخالد الذكر سعد زغلول والمرحوم على باشا شعراوى وعبد العزيز فهمى باشا الى الوكاله البريطانية لعرض المطالب المصريه فكانت هذه الزيارة هى الخطوة الأولى فى سبيل الجهاد ، وانقلبت الحركة الى قوة كان لا يستطيع الأنسان فيها ان يملك مشاعره واندفع ابناء الأمة الى التضحية فكان كل فرد يضحى مصالحه وسعادته بل حياته فى سبيل حرية البلاد واستقلالها .

ولقد ظلت الأمة تجاهد وتناضل حتى وصلت الى عقد معاهدة التحالف بينها وبين بريطانيا العظمى

وقد قلت فى حينها انها خطوة فى سبيل الاستقلال فلو تصرفنا فى الأمور وأحسنا العمل وسرنا فى الحكم سيرة قومية صالحة يمكن أن نصل بسرعة الى الغاية الكبرى التى من اجلها مات شبابنا واستشهد شهداؤنا ونفى زعماؤنا فى انحاء العالم

غير ان أصحابنا بالأمس رأوا غير مانرى فغرتهم الدنيا واتبعوا هوى الشيطان، فاختلفنا معهم فى الطريق الذى رسموه لأنفسهم وسرنا فى طريقنا الذى رسمناه لأنفسنا نعمل فيما يجب ان يكون لنحقق لبلادنا ما نرجوه لها من مجد وعزة وكرامة

انظروا حضراتكم كيف يعمل النحاس باشا وكيف يفهم العدالة والمساواة ! والديمقراطية ! وطلبت احزاب المعارضة أن يسمح لها باقامة سرادق للاحتفال بعيد الجهاد الوطنى فى احد ميادين القاهرة جريا على العادة المتبعة فرفض النحاس باشا ذلك وحرم على معارضيه اقامة السرادق

أما هو فقد أجاز لنفسه وللحزب الذى يرأسه فأباح لنفسه أن يعقد اجتماعا يدعو اليه الناس ليستمعوا الى خطابه ويذيع هذه الخطب بالراديو

أما نحن فيعز على رفعته ان نستمعل حتى هذا الميكروفون فى داخل حجرات النادى ، فقد أرسل الى زميلى وصديقى سعادة النقراشى باشا ضابطا يقول له لامحل لاستخدام الميكرفون فى هذا الاجتماع !!

هذه هى العدالة التى يفهمها النحاس باشا وانصاره والتى يتغنون بها تبدو ظاهرة واضحة فى عمل صغير : لانهم يخشون من كلمة الحق فتضطرب بها قلوبهم . وماعلم هؤلاء القوم أن كلمة الحق تصل الى صدور الناس والى قلوبهم حتى ولولم يستمعوا لها مباشرة ، لان هذه الكلمة السامية ينتشر ضياءها فى ضمائر الناس فتضىء القلوب الطاهرة فيذكرونها بدافع من ضمائرهم ووجدانهم

« الشهيد فى حفلة تكريمه بحلوان بمنزل الوجيه مناع بك جاد الله فى ١٩ اكتوبر سنة ١٩٤١ »

لم يعد للعقل ايها السادة أن يستسيغ الفاظا او كلاما يقال ثم لايجد لهذه الالفاظ معانيها ومدلولاتها الصحيحة

هاهم ترون يجوبون المدن والقرى ويقيمون مؤتمرا يخطب فيه ثلاثة أيام ويجلب اليه الناس بالطرق غير المشروعة وعلى حساب الدولة . وكان الواجب أن تقام العدالة والمساواة بين الناس

وليت هذا فحسب بل ذهبوا الى أقل من هذا فعلى حساب التموين أباحوا ذبح اللحوم فى غير مواعيد الذبح ارضـــاء لبطون انصارهم هؤلاء الذين لايدركون المعنويات بل دائما ينظرون الى الماديات .

أن الذى اذكره حضراتكم انما هى امور بسيطة جدا نذكرها لكم وعن تقدير هؤلاء الناس للعدالة والمساواة بين افراد الأمة .

الاســـتقلال الذى نفهمه هو حرية الشعب فى تصريف شؤونه وتدبير مصالحه بنفسه يديرها ويوزع العدالة بين بنيه بدون تفرقه ولا محاباه

وأمر آخر ، رفعت احزاب المعارضة مذكرة بطلب رفع الاحكام العرفية فاذا كان الأمر ، لم ترفع الأحكام العرفية لأنها تحمى ظهره وتحمى تصرفاتهم وان النحاس باشـــا يعتقد ما دامت الاحكام العرفية موجودة فانه يتصرف فى الحكم كيف شاء لا رقيب عليه ولا وازع يمنعه من ارتكاب ما هو مخالف لروح الحق والعدل والحرية .

واعتقد ايها السادة انه عندما يظن النحاس باشا ان الحكم قد افلت من يده وانه أخذ فى الزوال لايتردد مطلقا من أن يرفع الاحكام العرفية اعتقادا منه انه يستطيع ان يعترض وينشر مايمكن ان ينشره من أقاويل

ولكن من يريد ان يخدم وطنه باخلاص ومن يريد أن يصدق فى خدمة بلاده ويحترم ضميره ويخشى ربه انما يطلب النور والضوء ولا يطلب الظلام .

اما الذين يتذرعون بالحكم العرفى ويستندون الى حرابه فهم اولئك الذين يخشون الفضيحة ويريدون الفرار منها بهذا الاستهتار

« الشهيد فى حفلة تكريمه بحلوان بمنزل الوجيه مناع بك جاد الله فى ٩ أكتوبر سنة ١٩٤١ »

أيها السادة :

لا هزل اليوم ولا متسع للهو ولقد وضح لكم أعمال هؤلاء الناس وظهر لكل مصرى افعالهم فدعوا العابثين فى عبثهم ولهوهم وتجارتهم . فالى الجهاد المستمر ولاغذاء لتلك النفوس وأذكائها الا بذكرى زعمائنا ودماء شهدائنا فقد دنت الساعة فسيروا كما سار الاولون من المجاهدين والشهداء رافعين راية الجهاد ملتفين حول عرش البلاد وتاجها المفدى والله معكم

* * *

بين الماضى والحاضر..

(من خطاب للشهيد الكريم أحمد ماهر باشا
فى الحفلة الانتخابية لتأييد مرشح الهيئة
السعدية الأستاذ عزيز بك مشرقى فى ٢٨
ديسمبر سنة ١٩٤٤) .

... لقد هز الخطباء من قبلى مشاعركم وأثاروا فى نفوسكم ذكريات ماضيكم الجميلة الباهرة . ذكريات الأيام الوطنية العظيمة وما حفلت به من مواقف الجهاد الكريمة والتضحيات الغالية العزيزة ويسرنى انهم أثاروا فى نفوسكم هذه الذكريات ومهدوا إلى أن أطالبكم بالتفكير فيها وتدبرها والاعتبار بها والاستعداد لمثلها .

« تصفيق شديد »

اخوانى وأبنائى :

انقضت مدة منذ أن تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك فعهد الى هذه الوزارة بالحكم ، وقد قطعنا هذه المدة فى الاستجابة لظلامات الناس والعمل على رد الحقوق الى أهلها ورفع الظلم عن المظلومين وانصاف المضطهدين وتلافى آثار ذلك كله وما جره على البلاد من ويلات .

وانى لأرجو أن نكون قد انتهينا من هذه المهمة أو كدنا . لنتفرغ للاهتمام بما هو أدعى للاهتمام . وهى حقوق البلاد واستكمال حريتها واستقلالها بعد أن أشرفت الحرب على نهايتها وأصبح الصلح على الأبواب . فوجب أن تستعد مصر لتقول كلمتها وتحافظ على حقوقها وتطالب بما يريد لها أبناؤها من عزة ومجد وكرامة لتصل ماضيها المجيد بمستقبلها السعيد ان شاء الله ويكون حاضرها هو عقدة هذا الاتصال .

« تصفيق »

واجبى

أبنائى :

ان الهتافات التى ترددونها والثناء الذى توجهوه الينا ، هذه أشياء جميلة ولكنها تحمل فى ثناياها ما يدعو الى الغرور . وانى أطالبكم بألا تعملوا على أن يدخل الغرور نفسى . ذلك لأنى أريد أن أقوم بواجبى كاملا نحو هذا الوطن أريد أن أعمل تحت رقابتكم لا بتأييد هتافكم وتصفيقكم .

لقد حمل زعيمنا المغفور له سعد زغلول علم الجهاد وقاد الحركة الوطنية فى ظروف شديدة والتفت طبقات الشعب من حوله . لا تطالب جماعة لنفسها بشىء ولا تجرى وراء منفعة خاصة . وانما بذل الجميع نفوسهم وقلوبهم ودماءهم وفلذة أكبادهم فى سبيل وطنهم لا يريدون على تضحياتهم جزاء ولا شكورا الا تحقيق مصالح هذا الوطن العزيز .

هذه الفضائل الوطنية الكريمة هى التى أطالبكم بأن تتحلوا بها فتعملوا على نشرها لأنها قوام النجاح فى كل دعوة وطنية . أطالبكم بذلك وأنا أعلم أن الاستقلال والحكم الدستورى ليس ألفاظا نرددها ونستعيدها ونصفق لها ، بل معانى يجب أن نتدبرها ونعرفها حق المعرفة . لنصل بتحقيقها الى ما نبتغيه من عزة وكرامة للوطن المفدى . وللمصريين كافة اداء لواجبنا نحو الأجيال المقبلة من أبنائنا الذين سيخلفوننا على تراثنا القومى ويحملون عنا راية هذا البلد سائرين الى الأمام .

نسيان الماضى

نريد أن نمضى الى الأمام وألا نلتفت الى الوراء نريد أن ننسى الماضى ونتجه بقلوبنا وجهودنا الى المستقبل الباسم الزاهر ان شاء الله نريد أن نتحلى بالفضيلة فضيلة الاقدام الذى عرفها قائد الاسلام الكبير طارق بن زياد عندما بلغ بجنده بلاد الاسبان حين خاطب جنده قائلا (ان العدو أمامكم والبحر من ورائكم

وحين لم يكن له من الأعوان الا قلوب أولئك الجند العامرة بالايمان . العامرة بالاقدام والرغبة فى التضحية بالنفس والنفيس من أجل الفكرة الغالبة والعقيدة الراسخة .

لقد أدى سعد رسالته وقاد الحركة الوطنية الى أن لقى ربه راضيا مرضيا فخلفه من أقمناه خليفة . خلفه مصطفى النحاس باشا فاذا كانت سيرته فى ذلك التراث المجيد الذى تركه سعد وبناه سعد وأنصاره من المجاهدين الصادقين. خلفه مصطفى النحاس باشا وكنا حوله نؤيده ونعمل معه لخير هذا البلد الأمين ما استطعنا الى ذلك سبيلا حتى انتهينا الى عقد المعاهدة المعروفة فى سنة ١٩٣٦ بيننا وبين بريطانيا وقد قلت فى ذلك الحين أنها لا تحقق كل أمانينا الوطنية . .

دعوة للاتحاد

قلت لهم لنطوى الماضى بسيئاته ولنترك الخلافات الحزبية ولننس ما كان بين الأحزاب من خلاف فى وجهات النظر ولنبدأ صفحة جديدة فى العمل لمصر معتمدين على هذا الاتحاد الشامل والاجماع المتين . قلت ان مصر محتاجة الى سواعد أبنائها جميعا والى عقول أبنائها جميعا وكفاءتهم جميعا وان فى العمل لمستقبل مصر متسعا لجميع الجهود والكفايات ولكن أصحابنا بالأمس رفضوا النصيحة ولم يعمل بها منهم أحد وكان ذلك فى الواقع مبدأ الخلاف بيننا فقد شعرت حين ذاك أننا لا نستطيع أن نسير طويلا جنبا الى جنب . ومع ذلك فقد حاولت جهد الطاقة أن أؤخر ساعة الفراق التى كان يؤلمنى أنها لابد آتية على حين أنه لم يكن بينى وبين النحاس باشا ما يحملنى شخصيا على الشكوى فأنا أعرفه منذ زمن بعيد يرجع الى سنة ١٩٠٣ وعملنا معا فى الحركة الوطنية طوال تلك السنين فكان من المؤلم لى حقا أن أفكر فى أن الحوادث بل أن الواجبات الوطنية ستلزمنى بالابتعاد عنه لأنى أعرفه لأنه لا خير فى الشقاق والتفرقة مهما تكن الدواعى والأسباب ولكن الانسان مضطر الى الموازنة بين المصلحة

والضرر وبين الخير والشر، وبين الشر وبعضه، وهو ملزم بالرضى بأخف الضررين وأهون الشرين.

وعلى الرغم من أنى دعوته الى ذكر جهادنا القديم وماضينا ودماء شهدائنا وأن نتعظ بذلك ونعتبر به ونجعل منه رائدنا فى خدمة وطننا وتحقيق مصلحة بلادنا فانه أبى عنه فى أواخر سنة ١٩٣٧

عند ذلك بدأت مع اخوانى جهادا جديدا فى سبيل الوطن لكفالة حقوق اخواننا المصريين فى المحافظة على الحياة الدستورية الصحيحة والحكم الديمقراطى الذى تقضى مبادئه أن نشعر كل مصرى بأن له من الحقوق ما لسواه من الأفراد مهما سما مركزه وعلا مقامه.

استأنفنا جهادنا وكانت نواته تكوين الهيئة السعدية من اخوان تضافروا فى الماضى واشتركوا فى تحمل آلام الجهاد. وفى مقدمتهم زميلى وصديقى معالى محمود فهمى النقراشى باشا الذى، لا أريد أن أتكلم عنه لأنى لا أريد أن أتكلم عن نفسى ومنهم صديقى معالى الاستاذ ابراهيم عبد الهادى الذى ترونه بينكم الآن وقد ابيض شعره وشاب ولكنه ما يزال بحق زعيم الشباب لأنه شاب فى سنه وفى قوة قلبه وفى قوة ايمانه ومعهم صديقى الدكتور نجيب اسكندر وهو ممن قامت الحركة الوطنية على أكتافهم وضربوا فيها بسهم وافر وتعرضوا لأخطارها وكان موظفا كبيرا ترك وظيفته ليخدم بلاده فلاقى فى سبيل ذلك ما لاقى من أذى وعنت أثر فى صحته. ولكنه ما زال محتفظا بوطنيته وايمانه وقد انضم الينا وأيد حركتنا كثير من الاخوان الذين لا يريدون على جهادهم جزاء ولا شكورا، دائما يسعون لتحقيق مصلحة الوطن وبلادهم بما يملكون من جهد وما تعمر به قلوبهم من يقين وايمان ومنهم أمين بك سعيد نائب بولاق وهو رجل اشتغل بالتجارة ونجح فيها ولكنه عرف أن عليه واجبا نحو وطنه فساهم فى خدمته بأوفر نصيب ومنهم الأستاذ مصطفى العسال اشترك فى البرلمان سنة ١٩٣٨ فكان غيورا على مصالح الشعب وبخاصة طوائف العمال. فجعل همه أن يعمل على رفع شأنهم وتحقيق مطالبهم ومساواتهم باخوانهم فى البلاد الأخرى وكان معه فى هذا العمل صديقى

الاستاذ مشرقى بك مرشح الهيئة فى دائرة شبرا الذى بذل جهادا مشكورا فى هذا السبيل .

لذلك عندما حان الوقت الذى وجب أن ترشح فيه الهيئة السعدية لهذه الدوائر الثلاث : شبرا وروض الفرج وبولاق رأينا من واجبنا — لا نحو اخواننا الاعزاء ولكن نحو بلادنا — أن نتقدم الى الناخبين بأولئك الزملاء الصادقين ليساعدونا على تحقيق وجوه الاصلاح المرجوة وأن نطلب اليكم اعادة انتخابهم تقديرا للعاملين من أبناء الوطن .

اخوانى وأبنائى :

لا أريد أن أغادر هذا المنبر قبل أن أشير الى عمل الهيئة السعدية فى تقديم مرشحيها فهى لا تقدم مرشحا الى الناخبين إلا بعد تدقيق شديد وبحث . لاننا نعرف ثقل العبء الدقيق الذى يطلب الى النائب أن يحمله وخصوصا فى الايام الخطيرة المقبلة ، ولاننا نريد اخواننا نثق بهم وبكفايتهم واخلاصهم .

ولا ننسى فى هذه المناسبة مرشحنا فى دائرة الازبكية فهو على جانب عظيم الثقافة العالية ونبت كريم وهما ضمان للناخبين فوق ما نعرفه فيه من وطنية صادقة واخلاص متين هو صديق وولدى جفرى بك غالى .

على مثل هؤلاء الاخوان الصادقين فى وطنهم تعتمد الهيئة السعدية فى القيام بواجب رجائها نحو مصر المقدسة لان العبء ثقيل يحتاج أن تتكاتف جميع القوى على حمله وأن يشعر المصريون جميعا بواجبهم فى هذه الظروف الخطيرة فيبتعدوا عن عبث العابثين ولهو اللاهين الذين لا يقدرون الموقف حق قدره والذين كانوا يطمعون أن يعيدوا مأساة ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ حين أعيد النحاس باشا الى الحكم .

الدعوة الى العمل

لا أريد أن أحكم على عمل النحاس باشا فى الحاضر بعد أن بينت لكم عمله

فى الماضى وما تعرفونه من فساد فى أيام حكمه لانى لا أريد أن أزيد عوامل الشقاق وأنا أدعو الى أن نعمل جميعا على هدى ما يمليه علينا الواجب نحو بلادنا التى نفتديها ويفتديها كل مصرى بحياته اذا اقتضى الامر ذلك .

أريد الأكفاء من الرجال لأننا فى حاجة الى الاخوان المخلصين الذين أثبتت الأيام اخلاصهم وكفاءتهم ولقد سمعت من أحد خطبائكم أننا فى غير حاجة الى الكفايات ولكننا فى حاجة الى المخلصين ولئن صح هذا فما بالكم اذا اجتمعت الكفاءة والاخلاص ألا يكون ذلك أدعى الى الكمال . وها نحن نقدم لكم الكفاءة والاخلاص ممثلة فى مرشحى الهيئة السعدية فمن الخير لكم ولبلادكم أن تعملوا على نجاح الأكفاء المخلصين .

والله يهدينا ويهديكم الى سواء السبيل

* * *

آخر خطاب انتخابى

(ننشر فيما يلى الخطاب الوطنى العظيم الذى القاه الفقيد بتاريخ ٥ يناير سنة ١٩٤٥ فى الحفلة الانتخابية الكبرى التى اقيمت تأييدا للأستاذ مصطفى احمد العسال)

« فى هذه الليلة خطب الفقيد كما لم يخطب من قبل . . كان يتكلم والدمع يترقرق فى عينيه ولم يكد يتم خطابه حتى اغمى عليه وظل أياما يحس بثقل الجهد الذى حمله نفسه وكأنما هذا الخطاب خطبة الوداع لأنها أودعها برنامجه السياسى وأحاطها بسياج من الدعوة الى القومية وأنكار الذات كما ختمها النصح الأبوى الرقيق بأسلوب مؤثر يغلب عليه الرفق والحنان »

اخوانى . سادتى :

اشعر بتعب شديد يظهر لحضراتكم من نبرات صوتى . ولكنى لم أرد أن تمر هذه الحفلة العظيمة التى اجتمعتم فيها لتأييد زميلى وصديقى الاستاذ مصطفى العسال من غير أن يكون لى شرف الحديث اليكم ولو قليلا .

أن حضراتكم جميعا من ناخبى هذه الدائرة وابنائها ، وهى وأن جمعت كثيرا من ابناء المهن المختلفة إلا انها تجمع عددا كبيرا من العمال ولهذا يحق أن نعتبرها دائرتهم ، كما انه سرنى كثيرا أن اسمع هتافات عمال السكة الحديد وعمال الصحة وغيرهم من طوائف العمال لتأييد زميلى وصديقى العسال .

وانى ارجوكم أن تنصتوا قليلا وأن تقتصدوا فى هتافاتكم وتحياتكم لتسهلوا على مهمة الكلام

سمعت نداءات تتجاوب (يحيا منصف العمال) ولكنى اريد بعد أن اتم مأموريتى وأن أؤدى ما استطيعه من خير لبلادى أن اسمع الهتاف لمنصف البلاد والوطن (تصفيق وهتاف)

والآن وقد انتهينا من عملية ضرورية هى العمل على تحقيق المساواة بين جميع المصريين ، الآن وقد انتهينا من ذلك اود ان اتكلم اليكم عما يجب

عنينا نحو بلادنا العزيزة التى لااريد ان ينساه واحد منكم فى صحوه أو نومه، فى ساعة عمله أو فراغه .

يجب أن اذكر لكم أن العالم يمر بأوقات عصيبة وأن هناك حربا ضروسا لانعرف متى تنتهى وأن كانت الآمال تبشر بان هذه النهاية قريبة إن شاء الله

ولهذا كان علينا ان ننظر إلى المشاكل التى ستقابلنا بعد الحرب والتى يجب أن نعمل لعلاجها من الآن . . يجب أن نستعد لجميع المفاجآت والاخطار التى قد يتعرض لها الوطن العزيز

وفى مقدمة المسائل التى سنعنى بها مسألة العمال الذين يشتغلون فى المنشآت الانجليزية والامريكية التى تعمل لحساب الحرب

هؤلاء العمال يزيد عددهم عن نصف مليون عامل فلا يجوز ان يترك واحد منهم فى الشارع أو لايجد القوت الضرورى له

هذه هى المشكلة التى اريد أن اتحدث اليكم عنها الآن وهى تحتاج الى مجهودات شاقة ، فنحن نريد أن نعرف عدد العمال المشتغلين بكل حرفة . . نريدان نستفيد من هؤلاء العمال ومن خبرتهم وأن نجعلهم يعملون لحساب وطنهم ولخير مصر وحدها ان شاء الله (تصفيق)

فاذا كانت هذه المشكلة الهامة ستواجهنا فعلينا أن نستعين باهل الخبرة فى هذه المسائل ومنهم صديق الاستاذ مصطفى العسال

ولقد شاهدته بنفسى مضحيا بكل وقته وراحته وجهده ، لنصرة العمال والعمل على رفع شأنهم ، ومستوى معيشتهم . ولهذا نود أن نستفيد من اخلاصه لقضيتهم وحماسته فى العمل لخيرهم وأن نعرف رأيه فى جميع شؤونهم (تصفيق)

وهو مع غيره من اخوانه المتصلين بالحركة العمالية سيرشدوننا الى مايجب عمله لاجل العمال ، كما بينت لكم (هتاف)

لقد لمست دائما فى مصطفى العسال اهتماما زائدا بشؤون العمال فمن يوم لآخر كان يحضر الى مكتبى بمجلس النواب مطالبا بعرض قوانين العمال على البرلمان .

وهو يعتقد ان ماتم حتى الان يعد قليلا بالنسبة الى مايجب عمله (تصفيق)

كان ممكننا ان أكتفى بذلك وان اطلب منكم أن تعملوا على نصرته بعد ذلك فى الانتخابات

ياخوانى . اسمع صوتا يقول : ان الشركات لم تنفذ قواعد الغلاء . وقد يكون ذلك صحيحا . ولكن اعلموا ان للمسائل المالية فى الشركات اهمية تجعل كل شركة تنظم نفسها لهذه الطلبات ولا يمكن أن يتم ذلك فى يوم أو أيام قليلة .

ولكن ثقوا أن الحكومة ستسهر على ذلك .

وستطالب بتنفيذه فى اقرب وقت ممكن (تصفيق)

والآن لنترك هـذه الطلبات الطائفية التى لا يصح أن ننتقص من قدرها ، أو من اهميتها .. يجب ان نهتم من الآن بشؤون وطننا . وأن نعرف أن لمصر علينا حقا

يجب أن نعرف ان المعاهدة التى عقدت بين مصر وبريطانيا ، لم تحقق مانطلبه من حريات واستقلال كامل . ولا أقصد بذلك الانتقاص من قدر أحد ، لانى كنت ولى الشرف احد من اشتركوا فى توقيعها . ولكنا اختلفنا مع هؤلاء الذين قالوا اننا وصلنا الى الاستقلال . وقلت اننا وصلنا إلى خطوة فى سبيل الاستقلال واننا نحتاج بعد ذلك الى جهد شديد ، الى تضحيات شاقة والى تضامن تام بين المصريين جميعا (تصفيق)

لهذا أخاطب المصريين جميعا بلا تفرق فى آرائهم أو اعتقاداتهم الحزبية بان يعملوا لمصر فقط دون غيرها

ان الاوقات عصيبة ، والزمن شديد ، فان لم نكن مستعدين صفا واحدا وقوة واحدة عاملة على تحقيق أمانينا ضاع علينا كل جهادنا (تصفيق)

اعلموا يا اخوانى اننا لا نواجه فى هذه المرة دولة واحدة فقد كان الامر فيما مضى محصورا بيننا وبين انجلترا وحدها . .

أما اليوم فاننا سنواجه مؤتمرا دوليا للصلح يجمع دول العالم كله .. فان لم نحصل على حقوقنا فيه كان موقفنا صعبا فيما يقررونه من هذه الناحية وهذا

ما يجعل الأمر خطيرا بل وغاية فى الخطورة .

لذلك أوجه حديثى الى حضرات العمال والموظفين الذين كانوا يطالبون بحقوق أو بإنصاف . من الجائز ألا يكون ما حصلوا عليه كاملا أو متناسبا مع ما ناله غيرهم من الانصاف . ألا ترون بعد أن نلتم شيئا من الانصاف أن تطالبوا كذلك بإنصاف وطنكم.

(تصفيق وهتاف).

لقد ذكرت لبعض اخوانكم العمال والموظفين الذين قابلونى أننى أرى أن مجال حركتنا الوطنية ، ستشوهه هذه المطالب المادية إن لم نطالب بمطالبنا القومية وكرامتنا وعزتنا .

(تصفيق) .

لذلك أرجو من حضراتكم أن تتركوا لنا وقتا لنقوم بما علينا وعليكم من واجبات نحو البلاد . نريد أن نجد تعضيدا شاملا وتأييدا كاملا لنعتمد على هذا التعضيد وهذا التأييد لنرفع صوت مصر عاليا للمطالبة بحقوقها وكلما كان صوتنا عاليا كلما كانت النتيجة محققة بالنسبة الينا .

(تصفيق حاد وهتاف).

اخوانى :

أننى أشعر أن المهمة الملقاة على عاتقى صعبة وثقيلة ولكنى أعتمد على معونتكم وتأييدكم جميعا واستمد من هذه المعونة والتأييد القوة التى تمكننى على مواجهة دول العالم جميعا .

(تصفيق وهتاف متصل)

عشتم جميعا . . عشتم جميعا . . انى لا أطمع فى وطنيتكم بل أطالبها بهذا التأييد الكامل الشامل لنصل بكم وبالبلاد الى حياة وطنية كاملة والى ما تريده البلاد من عز ومجد وسؤدد .

(تصفيق وهتاف)

نريد أن نعيد لمصر تاريخها المجيد فى العهد الماضى ، مجد الفراعنة ومجد

العرب ، نريد أن نجدد مصر التى كانت أم المدنية فى هذا العالم ، واننا لهذا نطمع فى معونتكم ومساعدتكم وتضحياتكم .

(تصفيق وهتاف)

أود أن أقول لكم أننى سأخرج من هذا الاجتماع ممتلئا بأقوى المشاعر الوطنية وذلك بفضل ما أظهرتموه من رغبة فى التضامن لمصلحة البلاد ناسين مصالحنا الشخصية وشهواتنا الخاصة .

انى متأكد أننى سأخرج قويا بكم معتمدا على عزمكم لكى أطلب ماتريدونه من استقلال تام للبلاد فى ظل مولانا المعظم فاروق الأول حفظه الله .

(تصفيق)

إخوانى :

أؤكد لكم أنى بدأت العمل فى الحركة الوطنية من سنين طويلة مضت وكنت أشعر بحماسة كبيرة ورغبة أكيده وكنت أعتقد أننا واصلون بفضل وطنيتنا واتحادنا الى ما نرجوه لبلادنا ، ولكن مرت الأيام ومضت السنين وتقلبت الحوادث فى السنين الأخيرة فرأيت ما أضعف من حماستى وما قلل من عزمى وذلك لما لمسته من تهافت الرؤساء قبل المرءوسين على قضاء مصالحهم الشخصية وأغراضهم الذاتيه.

ولا أخفى عليكم أننى كدت أيأس ولكن هذه الروح الوثابة والحماسة العظيمة التى رأيتها الليلة أعادت الثقة الى نفسى وانى أرى شبابى وقد عاد إلى وأعدكم صادقا بأننى سأعمل لخير هذا البلد ومن أجل استقلاله كلما يمكن ولو ضحيت بنفسى فداء له .

(تصفيق حاد وهتاف) .

فبمثل هذه الاجتماعات الوطنية الكبرى التى تثير الحماسة فى النفوس أشعر أن الشعب أصبح أقوى عزيمة مما كان قبلا وانه أشد حماسة ووطنية مما كان قبلا.

(تصفيق) .

هذا ما يجعلنى أقبل على العمل لتحقيق الغاية ، وبفضل هذا الاتحاد والتضامن

سنصل الى كل ما نريد من الخير لهذا الوطن العزيز .

فأرجو أن تعملوا لخير بلادكم وقد سمعت من الدكتور ناجى الآن شعرا أثارنى ، بل هو درس فى الوطنية التى يجب أن نغرسها فى أبنائنا منذ ولادتهم فنعلمهم حب مصر وأن يعملوا لمصر ولها فقط . (تصفيق حاد وهتاف)

بهذه الروح ، وبهذه الحماسة الظاهرة الملتهبة سنصل بإذن الله الى تحقيق كل ما نطلب مهما قابلنا من صعاب ومهما واجهنا من متاعب ، فدعوا قلوبكم معى وأنتى أطمع فيما يؤكد لى ذلك ، تعلمون أن الأمة هى مصدر السلطات ويجب أن تكون كذلك دائما . ولن يتم ذلك إلا باختيار المرشحين الذين قدمناهم لكم فامنحوا ثقتكم للذين أستريح اليهم وأطمئن الى وجودهم بجانبى .

انى أبذل حياتى فى سبيل وطنى ، ولكنى اطلب منكم تعضيدا كاملا ولايكون ذلك الا بانتخاب مرشحينا ومن هؤلاء الأستاذ العسال (تصفيق)

اخوانى :

أريد أن أفضى اليكم الليلة بأمر لم أذكره من قبل ويدفعنى الى ذكره ما لمسته من شعور وطنى ومن حماسة أخاذة .

لقد بدأنا الحركة الوطنية جموعا متراصة وقد تعاهدنا واتفقنا معا وأمام نفسنا وضمائرنا على أن نضحى جميعا بأرواحنا لأجل بلادنا . واليوم أعود الى تجديد هذا العهد معكم فان وفقت الى ما نرجوه لهذا الوطن من عز ومجد قبل موتى فانى سأكون سعيدا ، وان مت قبل أن يتم ذلك فانى سأكون سعيدا كذلك . بل أننى سأموت مطمئنا الى أن الراية لن تسقط من يدنا بل سترفعها يد أخرى هى يدكم (هتاف)

الآن وقد عبرت لكم عما يجيش فى صدرى ، وما أطلبه منكم من تأييد وتعضيد لخدمة وطنى ، فان فى استطاعتى أن أقول لكم أن الأساس الذى نبنى عليه هو أهم شىء وهذه القمة المرتفعة التى نريدها لهذا الوطن اذا لم تقم على أساس متين فلن تقوم لها قائمة وأنتم الأساس الذى أريد أن يبنى عليه صرح بلادنا ومجدها والسلام عليكم ورحمة الله .

الالفة والتضامن

(ألقى دولة الدكتور أحمد ماهر باشا رئيس الهيئة السعدية بعد ظهر يوم ١٧ يناير سنة ١٩٤٥ فى اجتماع الهيئة السعدية عقب الانتخابات الكلمة الآتية . فكان لها أجمل وقع فى النفوس .

اخوانى :

أفتتح كلامى بحمد الله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

لقد انتهت الانتخابات على ماأرادت الأمة ، وارادة الأمة محترمة ، فأرجو كلا منكم أن يتناسى ما كان فيها من اختلاف وجهات النظر وأن نجعل وجهتنا دائما المثل الأعلى للهيئة السعدية فندرك جميعا أهمية التضامن والاتحاد فى هذه الفترة الخطيرة فى تاريخ بلادنا العزيزة .

ان الانتخابات ميدان شرف والغالب والمغلوب فيها يجب أن يبيت مستريح الضمير لأنه أدى واجبه وأن ما لحقه فيها من بذل ومن تضحية انما هو واجب الجندى فى ميدان الكفاح .

اخوانى — لكل معركة جرحى وفى سبيل الظفر تلتئم الجراح ، وتطيب النفوس ، ولقد طابت نفوسنا جميعا بهذه النتيجة الباهرة التى كلل الله بها مسعانا فى خدمة بلادنا .

أننى أشعر بثقل المهمة الملقاة على عاتقى وعلى عاتق زملائى وأكتافكم . وبدون تضامننا جميعا لا نستطيع أن نحمل العبء وأن نذلل الصعاب وأنى أقول ذلك لأذكر نفسى فلا تنسى ، وأذكركم لنعمل لتقوية صفوفنا وتضامننا ، والكمال المطلق غير مستطاع ، فاذا أخطأت فقومونى ، واذا بدرت منى بادرة فى حق

احدكم فليصفح مادام القصد اعزاز الوطن

اؤكد لحضراتكم أن ماسيصادفنا ، ومانحن فيه ، شاق صعب قاس. ولايمكن أن ننتصر الا بهذه الروح فيما بيننا وتذكروا أن العفو عند المقدرة له قيمته . أما إذا عفوت وانت ضعيف فلا فضل فى ذلك .

ورجائى أن تعلموا انى اجتهد فى أن اوفق بين وجهات النظر المختلفة . والهيئة السعدية انما قامت بهذا البناء المرصوص على هذه المبادىء الخلقية السليمة .فأملى أن يعمل اخواننا الذين انضموا الى الهيئة السعدية البرلمانية على هذا المبدأ القويم .

انى اقول دائما انى قد اخطئ فارجو أن تساعدونى على أن اعدل عن هذا الخطأ لأسير الى الصواب على صراط مستقيم

وليس هذا الكلام من غير مقابل . ومقابله أن تتحملوا نصيبكم فى المسئولية وأن تؤدوا واجبكم كاملا من غير نظر الى اعتبار آخر

وانى من بعد الان اخصص من وقتى كل ماتسمح به الظروف للقائكم مجتمعين ومنفردين بشرط أن يكون الحديث فى المصلحة العامة

الوقت ثمين والعمل مطلوب ، وبين اسبوع ينتظر العالم نتيجة الحرب القائمة بين الدول وسيعقب ذلك مؤتمر الصلح فيجب أن نستعد لهذا اليوم الحاسم فى تاريخ العالم ومصير بلادنا .فى الماضى كان الخلاف بيننا وبين الانجليز على الاعتراف بالاستقلال لبلادنا . اما وقد تم بيننا ماتم واظهرت مصر ما اظهرت — فى هذه الحرب بجانب حليفتها العظمى — من صداقة خالصة ورغبة اكيدة فى الوفاء بعهدها وضحت بالكثير فى سبيل ذلك فيجب ان يزول شعور عدم الثقة وأن يحل محله شعور بالثقة لا بالمعاهدة فقط بل بما تنطوى عليه النفوس من شرف وما تتحمله الذمم من عهود .

أن الخطوات التى خطوناها فى سبيل استقلال الوطن تحتاج الى استكمال وهذا مانعمل له وما نبذل فى سبيله كل جهد وكل تضحية . ولايتسنى الوصول لهذا الغرض الاسمى الا باتحادنا وتضامننا

والى جانب هذا الغرض الاسمى تواجهنا مشكلات اخرى سببتها الحرب، منها مشكلة العمال العاطلين والذين سيتعطلون بالاستغناء عن عملهم فى المصانع الانجليزية والامريكية ومن واجبنا أن نعد لهؤلاء عملا يكفل لهم الحياة للوطن .

يجب أن نجتاز هذه الحرب دون أن تفوتنا الافادة بعظاتها فننظم تجارة مصر وصناعتها وندرس ذلك دراسة عميقة .

فهناك صناعات جديدة نشأت بسبب الحرب فيلزمنا أن نأخذ بقسطنا منها لنساير الرقى فى العالم وفينا الرؤوس المفكرة والحاجة ام الاختراع.
ويلزمنا ان ننظر لفلاح مصر والعامل فيها نظرة صادقة فى رفع مستوى هذا وذاك .

أن الزراعة فى مصر ، وهى عماد ثروتها ، قد تأثرت فى الحرب ،وارهقت ارض الوطن الزراعية وهذا يحتاج الى مجهود شاق لاصلاحها .

اخوانى : من كل هذا ترون ان الوطن يتطلب مجهود ابنائه كلهم ويستدعى دوام الالفة والمحبة بينهم وانى باذل جهدى والله يوفقنى . وكما أن اليد لاتصفق وحدها فالفرد مهما يعظم عمله لايستطيع أن ينهض بالعبء كما قلت ، وحده.

الى العمل جميعا ، ولنترسم خطى الفاروق الملك العظيم فانه يضرب المثل الاعلى لشعبه فى النهوض وهو بيننا رمز الولاء والوفاء .

اخوانى .

غدا سيفتتح الملك العظيم البرلمان احتفاء بمشيئة الامة .

وبعد هذا ستجرى انتخابات اخرى لمكتب مجلسى البرلمان

فارجوكم — اعتمادا على ماعرفه فيكم من وطنية ومن رغبة صادقه فى التمسك بالتضامن والالفة — أن تبدوا رأيكم فيما سيعرض عليكم. ولا أريد أن افرط فى الجبهة الوطنية ولذلك سار العمل بيننا على التآلف الذى يحفظ حق الوطن ، وحريته واستكمال استقلاله .

أمنيتى ..!

(حديث جرى للشهيد مع احد الصحفيين
فى يوم السبت ١٠ فبراير سنة ١٩٤٥ بشأن الغاء
الأحزاب والدعوة الى الأتحاد وهو فيما يلى)

— مارأيك فى الدعوة الى الغاء الاحزاب ؟

فقال رحمه الله : الغاء الاحزاب يستتبع حتما الغاء النظام البرلمانى ، بل الغاء النظام الدستورى فى مصر . اريد أن أعرف من هؤلاء الذين يدعون الى الغاء الاحزاب كيف يمكن أن يتحقق الحكم البرلمانى الصحيح بدون وجودها ؟

اعتقد أن الذين ينادون بهذا الرأى يريدون أن يعبروا عما يخالج الرأى العام فى مصر من رغبة شديدة فى اصلاح النظام الحزبى فى بلادنا ، وأنا أعترف لك أن النظام محتاج الى مراجعة عامة والى تعديل جوهرى ، فقد التوت الاحزاب عن أغراضها ومقاصدها وبات من الواجب أن يرد اليها اعتبارها وهذا من الأمور الميسورة لأن زعماء هذه الاحزاب قد أدركوا هذه الحقائق كما أدركها رجل الشارع .

— مارأيكم فى الدعوة الى الاتحاد بين الاحزاب بما فى ذلك الوفد ، وهل ترى أن يكون ذلك من غير قيد ولا شرط ؟

— وهل الدعوة الى الاتحاد أمر يمكن المجادلة فى جدواه ؟ ومع ذلك فالاتحاد قائم فعلا بين كافة الاحزاب ماعدا الوفد وانى أرحب بكل فكرة ترمى الى الاتحاد العام ، بل انى ادعو اليها ، وفى يقينى أننا سائرون الى هذا الطريق . طريق الاتحاد الكامل الشامل الذى يخدم الاهداف القومية العليا التى تتطلع البلاد اليها .

ان شرط الاتحاد الذى تسأل عنه هو الاخلاص للوطن وحده ولو أدى

الى فناء الشخصية وانكار الذات !

ـ لماذا لم تنفردوا بالحكم بعد ظهور نتيجة الانتخابات لكى تخلق المعارضه فى مجلس النواب ؟

ـ أن هدفى من تأليف الوزارة كان هدفا قوميا ، وانى اعتقد اعتقادا جازما أن الحكم القائم على أساس الحزب الواحد فى ظروف الحرب العصيبة يضر البلاد ولا ينفعها . ولهذا حرصت على أن يظل كيان الحكم قوميا بعد الانتخابات كما كان قبلا وليست هذه هى سياستى وحدى بل هى ارادة البلاد بأجمعها ، وقد استلهمتها من حكمة صاحب الجلالة مولانا الملك يرعاه الله

وما من شك أن قيام المعارضة فى البرلمان وخاصة فى مجلس النواب أمر ضرورى جدا للحكومة نفسها ، واذا كان اضراب الوفد عن الاشتراك فى الانتخابات قد حرم المجلس من قيام حزب معارض فيه فان روح الديمقراطية السليمة التى هى أساس الأحزاب الحاكمة الآن ستكفل قيام المعارضة الضرورية من نواب الحكومة وأنصارها أنفسهم واذا كانت المعارضة الوفدية غير ممثله فى مجلس النواب فان حرية الصحافة التى تقرر إعادتها كفيلة بأن تحقق للوفديين حرية التعبير عن آرائهم بواسطة صحفهم أو صحف غيرهم . . .

ـ ماهى الفرصة التى ندمت على ضياعها ؟

ـ الفرص الضائعة كثيرة . . . ولكن الفرصة التى ضاعت وندمت على ضياعها ندما عظيما هى الفرصة التى أتاحتها لنا الظروف فى سنة ١٩٤١ للاشتراك فى الحرب مع حلفائنا دفاعا عن أراضينا وحدود بلادنا عندما اجتاحها العدو المهاجم . . . نعم اننا اشتركنا اشتراكا فعليا فى وسائل الدفاع بل فى وسائل الهجوم ، ولكن اشتراكنا لم يكن على الوجه الذى يحقق آمالنا

كنت مدرسا وصحفيا ووزيرا ثم رئيسا للوزارة . . . فأى هذه المناصب كانت أحب اليك من سواها ؟

ـ انى احب الحرية فى العمل وفى التعبير عن الرأى ، وقد كنت أشعر بكامل حريتى لما كنت مدرسا ثم صحفيا . . . وكنت يومئذ رجلا سعيدا . . .

ثم ضحك — رحمه الله — وقال : هل تريد أن تبادلني ؟ !

وهممت أن أوافق لولا نفحة من التواضع ألهمتني أن أقول : استغفر الله يا باشا !

— هل تحققت كل أماني حياتك ؟

— لا . . .

— ماهي إذن أمنيتك الكبرى التي تريد أن تحققها ؟

— هي استكمال استقلال مصر ، وتخليصها نهائيا مما بقي حولها من قيود وأغلال . . . وانى أشعر فى قرارة نفسى أن هذه مهمة تثقل كاهلى وينوء بها ظهرى ، ولكنى عولت على أن أعمل على تحقيقها واهبا فى ذلك نفسى ودمى وعقلى .

* * *

وقد صدق « أحمد ماهر » كل الصدق فى وعده ، فوهب ولم يسترد الهبة ، ووعد ولم يخلف الوعد وتعاهد مع بلاده عهدا مقدسا ولم ينكث العهد يرحمه الله .

* * *

آيات خالدة

عبقرية أحمد ماهر

مصورة فى اقواله

فى حياة كل زعيم وفى السجل الجامع لنواحى عبقريته تلمع كلمات أو جمل أو آراء لمعانا خاصة يخطف الابصار والآذان والقلوب والعقول معاً .

وفى حياة الشهيد العظيم أحمد ماهر تجد فى كل ساعة منها آيات تتحدث عن عبقريته ووطنيته ، وتبين نواحى تفكيره وجهاده وغيرته .

الحياة انما هى رأى وكرامة ، فذخيرة المرء فيها هى أن يصح رأيه ، وتعز كرامته ، وأن لا يسخرهما مطية لشهواته ومنافعه ، فان فعل أصابه الهوان والحرمان . وما أرخص الدنيا اذا كان نصيب الانسان منها ، الهوان والحرمان ، فاعملوا يا أبنائى كما يعمل الرجال ، واعتصموا بالشجاعة فى الرأى بل تفانوا فى سبيل الدفاع عنه اذا اقتضى الحال .

« ☆ »

ان بلادنا تطالبنا بالعمل بشجاعة وجد ومضاء فى طريق التقدم وبجانب الأمم التى تسير فى هذا الزمن بخطوات العمالقة .

« ☆ »

على كل منا أن يحاسب نفسه على ما يقدم لهذا الوطن من خدمات تساهم فى اعلاء شأنه ورفع قدره بين الممالك .

« ☆ »

يجب أن نعتصم بالخلق القوى والرجولة والتضحية وانكار الذات ونتسلح لها بالتضامن والاتحاد

« ☆ »

الانسان الذى يبيع ضميره مرة يعيش حياته حائر الرأى سقيم الوجدان

« ☆ »

يجب ويرجو أن نبذل وأن نتحمل لكى نعيش سعداء فى عزة وكرامة كما نرجو ويرجو كل وطنى أمين .

« ☆ »

ليس من الرجولة ولا من الكرامة أن تجعل غيرك يدافع عن كرامتك وعزتك . فالرجل هو الذى يذود عن نفسه وعن بلاده .

« ☆ »

غاية ما يتمناه كل مصرى صميم أن يرى سياسة التوفيق بين حريات الناس ومصالحهم ومظاهر الرجولة والأخاء والصداقة هى السائدة

« ☆ »

ان الأمراض تنتاب الحالة الاقتصادية كما تنتاب جسم الانسان ويجب فى علاجها أن نخرج عن الطريق المألوف أحيانا ولكن بأقل حد ممكن

« ☆ »

انى أسعى أولا لارضاء ضميرى فان رضيت الجماهير بعد ذلك فانى أشعر بالسعادة الحقيقية

أما من يؤثر ارضاء الجماهير على ارضاء الضمير فهـــذا خطر يجب تجنبه والحذر منه .

« ☆ »

ان الأصل فى الأمم الحية التى تريد أن تحافظ على كيانها واستقلالها أن تستعد للمفاجآت بما تملك من وسيلة لدرء اخطارها قبل أن تقع فعلا ، وكل بلد يطلب الاستقلال ويعمل للمحافظة عليه يجب أن يستعد للدفاع عن هذا الاستقلال وأن يحتمل فى سبيل ذلك كل تضحية مهما غلت

« ☆ »

ان هذه القدرة جعلتنا نؤمن بأن القوة المعنوية فى الشعوب، أقوى من أى

قوة مادية لأن الأولى تستمد قوتها من العزيمة الوطنية والايمان بقضية الوطن!

« ✡ »

ان الخلاف فى الرأى فى مسألة من المسائل لا يقف حائلا دون التعاون والتعاضد فيما سواها من الشؤون الأخرى كلما اقتضت مصلحة البلاد ذلك .

« ✡ »

ان كل بلد أصابته نوازل الخلافات عصفت به الأحداث ولم يقو على مقابلة الشدائد التى تنتابه فى هذه الأيام.

« ✡ »

ان ايماننا بالديمقراطية عميق وهو كل يوم يزداد تمكينا من قلوبنا بسبب ما تتعرض ديمقراطيتنا له من خطر السياسيات المناوئة والمكائد التى تحاك له فى الظلام

« ✡ »

لا خير فى بلد لا تنجب الا رجلا واحدا ولا بد للأمة التى تريد البقاء . وجود آلاف من الرجال الاكفاء حتى يمكن للبلاد أن تنهض بهم .

« ✡ »

لا قيمة لحياة الانسان مالم تعزز بالكرامة والايمان بالواجب .

« ✡ »

اننى أقدس حرية الرأى واحترام آراء اخوانى مؤيدين ومخالفين . ولست ممن يغضبهم مخالفة آرائهم وصدرى يتسع لكل رأى ، وبين الذين خالفونى أصدقاء أعتز بصداقتهم ولكن خذلانى كما يسميه — بعض خصومى ليس

معناه نزول عن رأيي ولا تسليمي بوجهة النظر الأخرى لأن المسألة في اعتقادي لها خطرها فالدفاع عن البلاد من أهم مميزات الاستقلال

« * »

على الحكومة أن تعلن الدفاع على صورة محددة ، تدفع الجدل وتصرف الأذهان والتشكك والخلاف في التقدير وتجمع القلوب حول فكرة واحدة واضحة هي الدفاع عن أرض الوطن .

« * »

دعوا الرأي العام يسقط الدعوى ويبقى الحق الصراح .

« * »

ليس لهؤلاء أن يحكموا على أحمد ماهر ولا على وطنيته لأن الوفد قائم على مبادىء وللعمل على تحقيق أغراض وطنية كبرى لا للعمل على التمسك بأشخاص مهما ساءت تصرفاتهم ولا على فكرة الخضوع والعبودية لزعيم أو رئيس أيا كان لأن طالب الحرية والاستقلال انما يطلب كرامة واستقلالا في الرأي فلا يرضى الخضوع إلا إذا اقتنع .

« * »

ليست أرض لقومي أن تكون عقائدهم وآراؤهم رداء يخلعونه ، كلما قامت بنفوسهم رغبة أو أملت عليهم مصلحة ، فذلك هو الضعف والهوان والتسلط والسلطان .

لقد نصبنا أنفسنا حربا على المتحكمين المتسلطين على الآراء وفزنا أو كدنا نفوز بانقاذ حرية الرأي من سطوة الاحراج واطلاق العقائد مما كانت ترسف فيه من قيود واغلال .

لم يعد للعقل اليوم أن يستسيغ ألفاظا أو كلاما يقال ثم لانجد لهذه الألفاظ معانيها ولامن مدلولاتها السامية شيئا .

« ✡ »

من يريد أن يخدم وطنه باخلاص ، ويحترم ضميره ويخشى ربه ، لا يطلب إلا النور والضوء ولا يطلب الظلام .

« ✡ »

لاأعرف فى المصلحة العامة غير رأيي ووطنى

« ✡ »

سبيل الكرامة والعزة هو أن نعمل كى نعيش رجالا أو نموت رجالا إن اقتضى الأمر ذلك .

« ✡ »

إن قدر لنا أن ننال النصر إن شاء الله نلناه أبطالا وان كتب علينا الهزيمة لاقدر الله واجهناها رجالا .

« ✡ »

ان المصريين يدفعهم ما هو معروف عنهم من الكرم على الاسراف والتبذير ، وهم لو علموا قيمة ما يمكن أن يقتصدوه الآن لحرصوا على ما يزيد على نفقاتهم الضرورية ولا امتنع تبعا لذلك التضخم المالى الذى يسبب الغلاء الذى نشاهده ونحسه جميعا .

« ✡ »

ان الفائدة الاقتصادية والسياسية والأخلاقية لن تتحقق الا اذا اعتمدنا على

أنفسنا وعززنا روح الرجولة فى الشباب ، أما ان يسود البلاد شعورا بالضعف والتخاذل فأمر لا يتفق وصالح الوطن واحترام شبابه

« ☆ »

اننا لا نريد أن تكون المشروعات ارتجالية ، بل ينبغى أن تكون وليدة بحث وتدقيق ، حتى اذا صدرت كان من الميسور تنفيذها ، وجنت الأمة من ورائها الثمرات التى تنشدها .

« ☆ »

لقد جربنا فوجدنا أن الانجليز كانوا يقنعون بحاولة السيطرة السياسية دون أن يشاركوننا أرزاقنا أو يسلبون أموالنا . أما البلاد الأخرى فقد عملت جالياتها على التغلغل فى حياتنا ومشاركتنا فى وسائل العيش .

« ☆ »

ان المبادىء الدستورية الصحيحة تقضى بأن كل عمل تقدم عليه وزارة دون أن تتقدم الى المجلس وتحصل على ثقته هو عمل باطل .

« ☆ »

ليس هناك محل للمناقشة فى تصريحات الحكومة الا بطريق الاستجواب اما أن يطلب أحد الأعضاء الكلمة ليقول كلام لا نعلم مداه ولا موضوعه فهذا لايجوز لأن ذلك مخالف لما جرى عليه العرف فى جميع البلاد ومخالف للائحة الداخلية أيضا التى يسير عليها المجلس

« ☆ »

ان ايجاد وزارة جميع أعضائها محايدون مع حل مجلس النواب معناه تسليم

البلاد لحكم دكتاتورى لا يعرف أحد متى تنتهى مدته لأن أحد لا يعرف متى تنتهى الحرب وهى قد تبقى سنتين وهذه كلمة لا تتفق مع شعور الامة ولا مع الاوقات العصيبة التى تمر بها البلاد .

وقد ارتاحت البلاد لاستمرار الحياة النيابية حتى بعد انتهاء بحث الميزانية ليكون البرلمان بجانب الحكومة ترفع اليه فى تقرير الخطه التى تسلكها فلا يصح فى ظروف كهذه أن يكون الحكم متروكا لوزارة دكتاتورية بغير برلمان .

« ☆ »

يجب أن تكون وجهتنا العدالة المطلقة المجردة من أى اعتبار آخر .

« ☆ »

ان التضخم المالى مرض يجب أن نعالجه بقدر الامكان فلا نقدم عليه الا بحساب ، ولاشك أن الدول القوية اقتصاديا والتى لها من توفير أبنائها واقتصادهم المال الكثير يمكنها أن تخرج عن الطريق المستقيم شوطا ما لتعود اليه لأنها تجد أساسا سليما يمكنها من أن تعود الى الطريق السليم ، أما الدول الضعيفة فى اقتصادها الهزيلة فى وفرها فانها اذا ما عرضت نفسها للاهواء كانت اصابتها قاتلة والمثل من هذا ليس ببعيد :

وتاريخ مصر الحالى اقرب الى أنظارنا والى مداركنا من أى تاريخ آخر

« ☆ »

الشباب هو عدة الامم عند ما تشتد بها الخطوب وتحيط بها الشدائد ، وهو دائما السباق الى النجدة والتضحية ، الضارب أحسن الامثال فى كل عمل جليل كريم لخدمة الوطن ، لذلك يلذ لى كثيرا أن أتحدث الى معشر الشباب .

إن بين الوزارات اربعا أرجو الله ان يهب وزراءها روحا من لدنه فيخلقوا بها مصر الجديدة التى تحلم بها على ان لاتضن وزارة المالية - دكتاتورة - الوزارات بالأموال اللازمة لمشروعاتها العديدة اما هذه الوزارات الأربع فهى الشؤون الاجتماعية والمعارف والصحة والدفاع الوطنى .

« ☆ »

نحن لانكون مستقلين حقاً الا إذا شعر كل فرد منا سواء أكان نائباً أم غير نائب بأنه يتمتع بحرية الرأى بالتعبير عنه باللسان أو القلم كيف شاء وأين شاء فى مجلس النواب ، وفى غير مجلس النواب متى كان رائده مصلحة الوطن ، فان ثورتنا الوطنية لم تقم قومتها الخطيرة إلا من أجل الحرية وللذود عن الحرية ومن أجل العدالة والكرامة فان الوطنية عدل وكرامة .

« ☆ »

لم نطلب الاستقلال الا لأمرين : « الأول » أن نشعر أننا أحرار فى بلادنا نتمتع بكامل الحرية فى تدبير شؤوننا . وابداء الرأى فى مصالحنا دون أن يسيرنا مسير ، أو يسيطر علينا مسيطر . و « الثانى » أن نحصل على مانستحقه من سيادة وكرامة ، فنرفع عن كواهلنا ذلك العبء الثقيل ، بل العار المخجل وهو الحماية والاحتلال .

« ☆ »

نحن الآن — بعد المعاهدة — أصبحنا فى عهد جديد ، عهد ينبغى لنا فيه أن نحارب شهواتنا وأغراضنا الشخصية . فلقد كنا من قبل نحارب الأجنبى للدفاع عن حريتنا ، أما اليوم ، فيجب أن نحارب أنفسنا ، فلا نقدم المصلحة الشخصية على المصلحة العامة

« ☆ »

لا ضرر من حرية التعبير عما يخالج كل شخص فى أية مسألة من المسائل ولو كان من أشد المعارضين ، بل قد تكون المنفعة محققة فى أغلب الأحيان متى كانت المعارضة نزيهة لا يقصد منها غير المصلحة الوطنية

« ✡ »

فى اعتقادى أن نظام العلاوات الدورية ، ونظام الأقدمية فى الدرجات والمرتبات نظام سبب للحكومة مشكلات كثيرة ، ثم هو من أهم الأسباب فى ضعف الأداة الحكومية ، وخمود روح المنافسة والنشاط . وتخالجنى دائما فكرة لم أستقر فيها على رأى نهائى ، وانها جديرة بالدرس ، وهى أن يوضع الكادر للوظائف لا للموظفين فيكون مرتب الوظيفة ثابتا لا يزيد بأقدمية الموظف ، ولا بما عنده من شهادات عالية ، بل يزيد بما يبدى من كفاية ونشاط فى عمله ، على أن ينقل عند الترقية الى وظيفة أرقى .

« ✡ »

العبرة فى المسائل والمشروعات العامة بالتنفيذ ، فمن السهل أن يفكر الانسان ، وأن يقول ، ولكن ليس من السهل أن ينفذ . وقد كنت دائما أرحب وأؤيد كل مشروع تستفيد منه البلاد من غير أن يؤثر ذلك فى تأييدى العام للحكومة القائمة أو معارضتى لها .

« ✡ »

اننى لا أجد فرقا بين « اعلان الحرب » و « اعلان حالة الدفاع » فقد كانت الحرب فى العصور الماضية مقيدة بقوانين ، فكان لاعلان الحرب معنى قانونى معروف . أما اليوم فقد صارت بعض الدول تعتدى على البعض الآخر من غير أن تعلن الحرب عليها كما فعلت المانيا مع بولندا وهولندا وبلجيكا وكما فعلت اليابان مع الصين ، فاعلان الحرب وقيام حالة الدفاع سيان .

رب قائل يقول : لم نجازف بأنفسنا وأموالنا ، وهذه حليفتنا تقوم بواجب الدفاع عنا ، ويمكننا أن نعفى البلاد من عبء هذه الحرب »

ولكن هل يليق هـــذا بأمة كريمة لها ماضيها المجيد ، هل يليق أن نبقى متفرجين على مآل البت فى مصيرنا والحكم على وجودنا . هل يقبـــل مصرى مهما كانت قوته أن يبقى متفرجا على هـذا النضال الذى تؤدى نتيجته فى النهاية الى البت فى مستقبل البلاد ؟

انى أربأ بكل مصرى أن يكون هذا شأنه . وأعتقد أن مصر ستثبت للعالم انها أمة حية مستقلة ذات سيادة وكرامة .

« ✡ »

أن يوم ١٣ نوفمبر يوم مجيـد واذا احتفلنا به فانما نحتفل بالأغراض النبيلة التى أجمع عليها الشعب المصرى وصمم على تحقيقها والوصول اليها .

« ✡ »

يوم ١٣ نوفمبر يوم الضحايا يوم ثورتنا وعزتنا وكرامتنا يوم عزيز علينـا مجيد فى تاريخ نهضتنا .

« ✡ »

ان حياتى كلهـا كانت حربا مستعرة وانى أعتبر كل يوم من حياتى مربحه محاكمتى فى عام ١٩٢٥ هبة من الله

« ✡ »

انه لا يشرفنى أن أكون رئيسا لحزب من الهميان ولا راعيا للأغنام فلا أقبل مطلقا أن يقول أحدكم ماسمعته الآن وأننى أغتبط كل الاغتباط أن يكون

حزبي زملاء وأندادا وأن تكون حرية الرأى والصراحة التامة هى حق كل منا بل والمبدأ الثائر فينا .

* * *

من الظاهر أن سنة بقاء الأصلح تتضمن بالضرورة فكرة الخصب والانتاج لأبعد من حد الكفاية لأنه اذا تهيأت للاحياء فرصة وجود المكان الذى يضمها والغذاء الذى يكفيها الى درجة يتسنى معها لكل العضويات التى تولد أن تعيش فى دعة وسلام فما لاريب فيه أن معركة التناحر على البقاء تضع أوزارها . وبذلك لا يكون فى الطبيعة من هو صالح أو من هو أقل صلاحية للبقاء من غيره ما دامت مطالب الحياة فوق حاجة الجميع

أما اذا وجد مائة من الأفراد فى بيئة لا يسع فراغها ولا يكفى غذاؤها أكثر من خمسين فردا فان الخمسين فردا الباقين لا بد من أن ينتابهم الهلاك ويمضى بهم العدم . أما الخمسون فردا الذين يتسنى لهم البقاء فانهم انما يبقون لأنهم أقدر من الخمسين الذين لم يقووا على مجالدة الأعاصير أو لأنهم أمتن بنية أو أنسب تركيبا من حيث الكفاية الطبيعية للبقاء

* * *

ان من يتصدى لنقد الشعر دون أن يدرك معنى الفن لن يزداد فى نقده إلا ضلالا وعن الحق إلا بعدا والشاعر فنان . ومن حق الشاعر أن يكون حرا ومن حقه ألا تعد تصرفاته الشخصية مهما كانت وصمة عار تؤاخذ عليها شاعريته مهما سمت أو دنت .

* * *

ان التطور لا بد منه والانقلاب لا محالة واقع لهذا كان الواجب علينا أن نوجه خطى هذا الانقلاب الى وجهة يستفيد منها المجموع وخاصة اذا سلمنا بأن المرأة تطالب بحق .

ان الانتخابات ميدان شرف والغالب والمغلوب فيها يجب أن يبيت مستريح الضمير لأنه أدى واجبه . وان ما لحقه فيها من بذل ومن تضحية انما هو واجب الجندى فى ميدان الكفاح .

« * »

ان مغالبة العواطف ومجاهدة الأهواء ضرب كريم من الجهاد الوطنى فى كثير من الأحوان .

« * »

المهم أن نكون يدا واحدة ونحن جميعا أخوة فى سبيل مصلحة بلادنا وهذا ما يسعى اليه كل مصرى وكل سياسى مخلص لبلاده .

« * »

أصارحكم أنى فى مركزى هذا لا أمثل حزبا ولكنى أعمل لصالح الجميع . وأسعى جهد طاقتى لتحقيق العدالة المطلقة والمساواة لأبناء الأمة غير ناظر الى أى اعتبار من الاعتبارات .

« * »

أرجو أن تتأكدوا من عدالة توزيع التموين . ومن أن كل مواطن قد نال حقه كاملا . وأن تعنوا ببحث كل شكوى تصل اليكم من هذه الناحية لتحققوا العدالة للجميع على اختلاف مذاهبهم وجنسياتهم .

« * »

ولقد كان أمر الله قدرا مقدورا . فمنذ أن اضطرمت النهضة المصرية طلبا للحرية والاستقلال . وكلما كتبت الامة فى صحفها سطورا من البطولة والفداء .

والصبر والثبات . كانت الاقدار تهىء للبلاد فى شخص المولود الجديد « جلالة الملك فاروق » ذلك الامل الذى طال انتظاره . والرجاء الذى انعقدت عليه الضمائر . وأقسمت الامة لتبلغنه . وان عظم الجهاد . وان اشتدت الخطوب .

من خطبة دولته فى عيد الميلاد الملكى .

« ☆ »

انكم بهتافكم لرمز الوطن . الملك المحبوب . تحيون كل مصرى وتحيوننى تحية خالصة يرتاح لها قلبى . وينشرح لها صدرى .

من كلمة لدولته وهو يزور شيخ الازهر

« ☆ »

ان الخطوات التى خطوناها فى سبيل استقلال الوطن تحتاج الى استكمال . وهذا ما نعمل له وما نبذل فى سبيله كل جهد وكل تضحية . ولا يتسنى الوصول الى هذا الغرض الاسمى إلا باتحادنا وتضامننا .

« ☆ »

« وأشعر بتطلع مواطنى الى اليوم الذى يستمتعون فيه بمساواتهم فى الحقوق والواجبات . وأجد القوة على مواجهة هذه المهمة الجسيمة . وقبول هذا التكليف الملكى الكريم فى ثقة جلالتكم وسامى عطفكم وصادق حبكم لشعبكم »

(من الكتاب الذى رفعه الى جلالة الملك بعد تكليفه الوزارة)

« ☆ »

ان سياستى نحو الصحافة هى بلا شك سياسة حرية ورغبة فى مساعدتها على تأدية واجبها لان هذا يعد أكبر عون ومساعد لحكومة تريد أن تعمل وتنتج للخير » .

« انى أعلم أن الرقابة على الصحف مهمة شاقة وأمر غير محبب الى النفس فاجتهدوا فى تخفيف هذا الأمر على زملائكم الصحفيين واجعلوا من الرقابة تعاونا على خدمة الصحافة واعلموا أنى أحب النقد وأرحب به فمن أراد أن يعمل وينتج لأمته فعليه أن يصغى الى النقد الصحيح القائم على الوقائع »

« * »

ان مصر أمة مسالمة تؤمن ايمانا ثابتا بالمبادىء الديمقراطية وتريد أن تعيش فى ظل النظام الديمقراطى .

« * »

انى وقد أعطيت سلطة الحاكم العسكرى أقول لكم فى صراحة ووضوح وجلاء ، انى لن ألجأ الى الأوامر والأحكام العسكرية ، إلا فى الأحوال الضرورية التى أعدت لها هذه الأوامر والأحكام ، بل أحاول أن أتبع القوانين بقدر الامكان فذلك هو نظام الحكم العادل الذى ينبغى أن تحكم البلاد على أساسه حكما ديمقراطيا شوريا دستوريا ، ونظام الحكم الديمقراطى هو الذى أرجوه دائما أن نحكم به ، ليتمتع بمزاياها كل مصرى وعلى هذا الأساس سأنسى انى حاكم عسكرى .

« * »

لا تقبل يدا غير يد والديك ، فتقبيل يد الكبير أو الوزير مما لا يتفق مع الكرامة أو الرجولة . انا جميعا مصريون ، لا فرق فينا بين وزير وصغير . وقد تكون أنت وزيرا فلا تجعل كرامتك فى تقبيل يد شخص لا يفضلك . فالجميع هنا سواء .

« * »

ان الوزارة فى مسيس الحاجة الى الوقت والهدوء لتمضى فى سعيها لمصلحة الجميع وليكن شعارنا الامل والعمل فى هدوء وسكون

« • »

ان الوزارة ستتحاشى كل المحاشاة سياسة الانتقام لذات الانتقام وهذا بالطبع لا يغل يد الحكومة عن استرداد الحقوق المسلوبة والانتصاف للطبقات المظلومة ووضع كل انسان فى موضعه الطبيعى فلا محاباة ولا مداجاة ولا إفراط ولا تفريط .

« • »

الحرب تضحية وشر وبلاء ولكنها تضحية فى سبيل الشرف ، وشر يدفع به شرور ، وتصان به العزة القومية والكرامة الانسانية والمصلحة العامة.

« ✡ »

خير لكل وطنى محب لبلاده أن يموت شريفا رافعا رأسه الى السماء من أن يعيش ذليلا راكعا أمام الأعداء .

« ✡ »

أمنيتى فى الحياة هى استكمال استقلال مصر وتخليصها نهائيا مما بقى حولها من قيود واغلال وانى أشعر فى قرارة نفسى أن هذه مهمة تثقل كاهلى وينوء بها ظهرى ولكن عولت على أن أعمل على تحقيقها واهبا نفسى ودمى وعقلى . فى سبيلها .

« ✡ »

ان البلاد تمر بأوقات عصبية تدعو الى التقارب لا الى التباعد وأنى أرغب الى الصحفيين أن يعملوا على هذه الغاية بالأدب

المجاهد يحمل عنقه على كفه ويبيع روحه لوطنه بيع السماح فأما الهدف واما التلف .

« ✡ »

أن اليوم الذى يبدأ فيه المحارب لوطنه بفقد جزء من ايمانه او يتشكك فيه هو اليوم الذى يجب فيه القاء السلاح والتسليم للعدو . اذ يصبح كل نضال بعد ذلك بغير دافع قوى ولا حافز معنوى وبالتالى لاخير فيه ولارجاء .

« ✡ »

الروح المعنوية هى فى الواقع أقوى سلاح للشعب المجاهد وأكبر عدته بل هى شعلته المقدسة التى لن تطفىء .

« ✡ »

من حق مجهود الشعب أن يستنير وأن يعرف مقدار الخطر الذى يحدق به وأن يستعد لكل احتمال .

« • »

أننى أقف فى وجه كل محاولة لمنع تحسين حالة الفلاح واصلاحها .

« • »

دعاء

اللهم اعطنا الستر والقناعة والقدرة على الوفاء لك ، ولعبادك اللهم واجعل منى رجلا صالحا نافعا لأمته .

« • »

اللذة التى تجعل للحياة قيمة ليست حيازة الذهب ولا شرف النسب ولا علو المنصب ولا أى شىء من الأشياء التى تجرى وراءها الناس عادة ، وانما أن يكون للأنسان قوة ذات أثر خالد فى العالم .

« • »

الضريبة يجب أن تكون اعباؤها وتكاليفها واحدة بالنسبة للافراد . بمعنى أن كل فرد يجب أن يتحمل الضريبة التى يتحملها غيره ممن اتحدت ظروفهم وحالتهم العدالة الاجتماعية لاتتحقق إلا فى تشريع يوضع لحالة مستمره ولنظام دائم.

« • »

يجب علينا أن لا نربط العدالة الاجتماعية ونقيدها بقيود ونسيرها فى طريق لانحيد فيها يمنة ولايسرة . الواقع انها تتكيف بالظروف ، فاذا اقتضت الظروف باتباع نظام خاص اتبعناه واذا ماتغيرت الظروف وتعدلت الاوضاع عدلنا عنه الى نظام أكثر توافقا وأوفر انسجاما مع الحالة الجديدة التى تقوم فى بلد من البلدان فالعدالة الاجتماعية اذن هى التى تتغير بتغير الظروف بل نتبعها ونلاحقها لنسير معها جنبا الى جنب .

« ✲ »

أن التفكير الانسانى يتغير ويتطور بتغير وتطور الظروف المالية والاقتصادية والاجتماعية

« ✲ »

مما لاشك فيه اننا جميعا نحترم القوانين التى تصدر ولكن ليس معنى هذا عدم جواز توجيه أى انتقاد اليها أو بيان أنها صدرت خطأ او التحذر من سن تشريع مثلها . هذا حق لى وحق لكل نائب بل هو حق لكل مصرى كبر اوصغر اما الاندفاع فى الكلام فلا يؤدى الى نتيجة مطلقا ولا يمكن أن يحرم انسانا من حقه

نبوءتان للشهيد

منذ ست سنوات حينما كان الغزو الألمانى فى عنفوانه ، جلس الفقيد مع بعض الأشخاص يتناقشون فى مستقبل العالم ازاء قوة ألمانيا .

وكان من رأى أغلبية الحاضرين فى هذا اليوم أن ألمانيا بعد أن تيسر لها أن تغزو أوروبا وشمال أفريقيا حتى أصبحت تهدد مصر فى حدودها الغربية ، وتهدد بريطانيا فى سواحلها ومستعمراتها ، ليس من المنتظر انتزاع هذه الأراضى منها أو أضعاف قوتها .

كان هذا رأى أغلبية المتناقشين فى هذا اليوم . وكان الشهيد احمد ماهر يخالفهم فى هذا الرأى على طول الخط ، وقال :

ان ألمانيا لن يطول صمودها لهذه الحرب وسوف تنضم أمريكا الى بريطانيا كما ينضم اليهما عدد من الدول ، ولن تمض خمس سنوات حتى تكون ألمانيا قد جلت عن المناطق التى احتلتها فى أوربا وافريقيا ثم تبدأ فى الانهيار .

هذا ما قاله أحمد ماهر منذ ست سنوات وكأنه كان يتنبأ .

* * *

وفى الأسبوع الثانى من شهر فبراير سنة ١٩٤٢ قال : أنا أعلم سلفا ماينتظرنى من صعاب وعقبات . ولكنى خلقت لأكافح ، وأنى لن أموت نائما ، بل أموت وأنا واقف على قدمى .

وقد كان : وكأنما رحمه الله كان ينفذ ببصيرته الى غياهب المستقبل ويقرأ ما سطره له المقدور .

من حياة والد الشهيد

ولد المغفور له محمد ماهر باشا فى صفر سنة ١٢٧١ هـ ، ولما بلغ أشده ألحق بالمدارس الابتدائية ، فتعلم فيها اللغة العربية والقرآن الكريم ، وبعد اتمام الدراسة الثانوية نقل الى مدرسة المهندسخانة ، فكان قدوة حسنة لزملائه فى الجد والاجتهاد والحرص على الوقت ، وحسن المعاشرة ولين العريكة ودماثة الأخلاق . فاكتسب محبة أساتذته واحترام أقرانه . ولما نال دبلوم تلك المدرسة انتقل الى مدرسة أركان الحرب ، فأظهر من البراعة والمهارة والمحافظة على النظام والقانون والقواعد العسكرية ، ما جعل رؤساءه ينظرون اليه بعين الاعجاب والاجلال ، وفى سنة ١٨٧٤ م عين ضابطا فى أركان حرب الجيش . لولعه بالخدمة العسكرية . ثم انتدب فى سنة ١٨٧٥ ضمن رجال حملة الكولونيل كولستن لاستكشاف بلاد كردفان وخط الاستواء . ثم عين حاكما على « بورولا توكا » من مديريات خط الاستواء . ثم عين مديرا لدارفور وكردفان وفى سنة ١٨٧٨ نقل الى وظيفة وكيل مفتش فى المساحة الجيولوجية بوزارة المالية فمكث بهذه الوظيفة الى أن انتهت الثورة العرابية . ثم أعيد الى الجيش وألحق بالاورطة الثالثة ورقى الى رتبة (صاغ قولا غاصى) . وفى سنة ١٨٨٤ رافق حملة الكولونيل بار الى سواكن . وهناك كلف بتأليف أورطة من السودانيين للمحافظة عليها . وفى أثناء إقامته بالسودان تقرر تسيير حملة الجنرال قرنهام . فحضر معها موقعة تل طماى . وأبدى من ضروب الشجاعة وأساليب الاقدام والبسالة ما أدهش العقول وحير الافكار . فرقى على أثر ذلك الى رتبة (بكباشى) ونقل الى الأورطة التاسعة . ثم انتدب وكيلا لمحافظة سواكن عام ١٨٨٥ فوطد أركان الامن بها ، وأصلح حالها ، ونظم شؤونها . وفى مارس سنة ١٨٨٨ رقى الى رتبة (قائمقام) وعين قومندانا لأورطة الأساس بالعاصمة . ثم رقى بعد سنتين الى رتبة (ميرالاى) وعين وكيلا لمحافظة اسوان . وفى ابريل ١٨٩٢ عين محافظا للاسكندرية وانعم عليه برتبة (اللوا) فمكث بهذه الوظيفة سنة ونصف

سنة كان موضع اجلال سكان المدينـــة ، وطنيين وأجانب ، لما اتصف به من النزاهة والاستقامة ، والأخذ بناصر المظلوم ، وكبح جماح الظالم ، ولقـد أثنت عليه الصحف العربية والافرنجية حينذاك ، وفى سبتمبر سنة ١٨٩٣ عين وكيلا لوزارة الحربية والبحرية ، ورافق سمو الخديو فى زيارته لمديريات الوجه القبلى والحدود ، وكان سندا قويا له عنـد ما وقعت حادثة الحـدود . يكاد ينفرد دون سائر الوزراء والـكبراء بالنظر اليها نظرة وطنيـــة مصرية . يعارض الانجليز ولورد كتشنر أصدق المعارضة . ولذلك أقصى عن وكالة الحربية . ونقل محافظا للقنال عام ١٨٩٤ . ولـكنه لم يلبث طويلا حتى انتدب فى ١٥ نوفمبر سنة ١٨٩٤ محافظا للعاصمة . وظل فى هـــذا المنصب الى أن اختاره الله الى جواره فى ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٠٢ ولم يتم الخمسين . رحمه الله رحمة واسعة . وبارك فى ذريتـه الصالحة النافعة .

وقدظل ذكره ماثلا فى الأذهان . متداولا فى المحافل . يحول بخاطر النـاس . شيوخهم المعاصرين له . وشبابهم المزاملين لأبنائه . والمارين أمام داره الـكبرى التى كانت تقيم وحدها فى شارع العباسية عند ابتداء تنظيمه وقبيل مرور مركبات الترام فيه .

وكان وجه امتياز محمد ماهر باشا على سائر معاصريه من المصريين . بل عليهم حتى اليوم . أنه بالرغم من مشـاغله الـكبرى يعنى عناية شخصية دقيقـة بتهذيب أبنائه والاشراف عن قرب على تـكوين خلقهم وتدبير معارفهم وغرس الفضائل فى نفوسهم .

لفت نظر

وقع فى بعض الصفحات أغلاط مطبعية طفيفة يدركها القارىء بفطرته فلزم التنوية .

تطلب النسخ من المكتبات الشهيرة ومن الناشر :

محمد ابراهيم ابو رواع

سكرتير وكيل مجلس النواب

خاتمة

بحمد الله وتوفيقه تم طبع كتاب الشهيد أحمد ماهر (المجلد الأول) فى يوم الخميس ٢٧ رجب سنة ١٣٦٥ هـ الموافق ٢٧ يونيه سنة ١٩٤٦

ويليه المجلد الثانى عن مواقف الفقيد وحياته البرلمانية

محتويات كتاب الشهيد أحمد ماهر

المجلد الأول

صحيفة	الموضوع	صحيفة	الموضوع
د	النطق الملكى	٩٦	حرية الصحافة العربية
ه	الاهداء	٩٩	العمال والوطنية
ز	تمهيد	١٠٤	الأحسان
١	ترجمة حياة الشهيد	١٠٨	اقتصاديات
٤٣	الفاروق	١٢٨	حديث
٤٥	الدستور	١٣٤	ابنتى
٤٨	الديمقراطية وصلاحيتها	١٣٦	أبى
٥٢	زعامة الشعب	١٣٨	شبابنا المتعلم
٥٧	قوة الارادة	١٤٢	صلاحية الرئيس
٦١	سعد الخالد	١٤٦	التربية السياسية
٦٤	قوة اليقين	١٥٧	جهاد الأمة
٦٨	الوحدة القومية	١٦٦	قناة السويس
٧١	الشهيد الأول	١٧١	خطاب سياسى
٧٥	حياة المجاهدين	١٧٥	سياسيات
٧٩	الاستقلال والمساومة	١٨٥	الجهاد الوطنى
٨٣	أيام الذكريات	٢٠٧	يوم الضحايا
٨٧	الموظفون والصحافة	٢١٤	أعلى مراتب الجهاد
٩٢	الوحدة العربية	٢١٦	الرجولة والشجاعة

محتويات كتاب الشهيد أحمد ماهر

المجلد الأول

صحيفة	الموضوع
٢١٩	الواجب الوطنى
٢٢٤	صداقة
٢٢٧	سياسة التعاون
٢٣١	قضية الحرية
٢٣٣	الدكتاتورية عدو الحريات
٢٣٧	كرامتنا
٢٤٠	نداء الوطن
٢٤٩	موقف مصر
٢٥٥	الأزهر وشجرة الحرية
٢٥٨	الاعتماد على الله
٢٦٢	الماضى القريب
٢٦٧	أعمال خالدة
٢٧٤	رثاء نبيل لنبيل
٢٨٠	مأساة ٤ فبراير سنة ١٩٤٢
٢٨٧	صفحة من التاريخ
٢٩٤	يوم الثورة
٢٩٨	بين الماضى والحاضر
٣٠٤	آخر خطاب انتخابى
٣١٠	الأمة والتضامن
٣١٣	أمنيتى
٣١٧	عبقرية أحمد ماهر وآياته الخالدة
٣٣٥	تنبؤات للشهيد
٣٣٦	من حياة والد الشهيد
٣٤٠	الخاتمة

i 14235134
B 12733325

MAY 1974

DT
107.2
M3
A6
v.1

2 MAY 1988

AUC - LIBRARY

DATE DUE